# بنات البيزنس



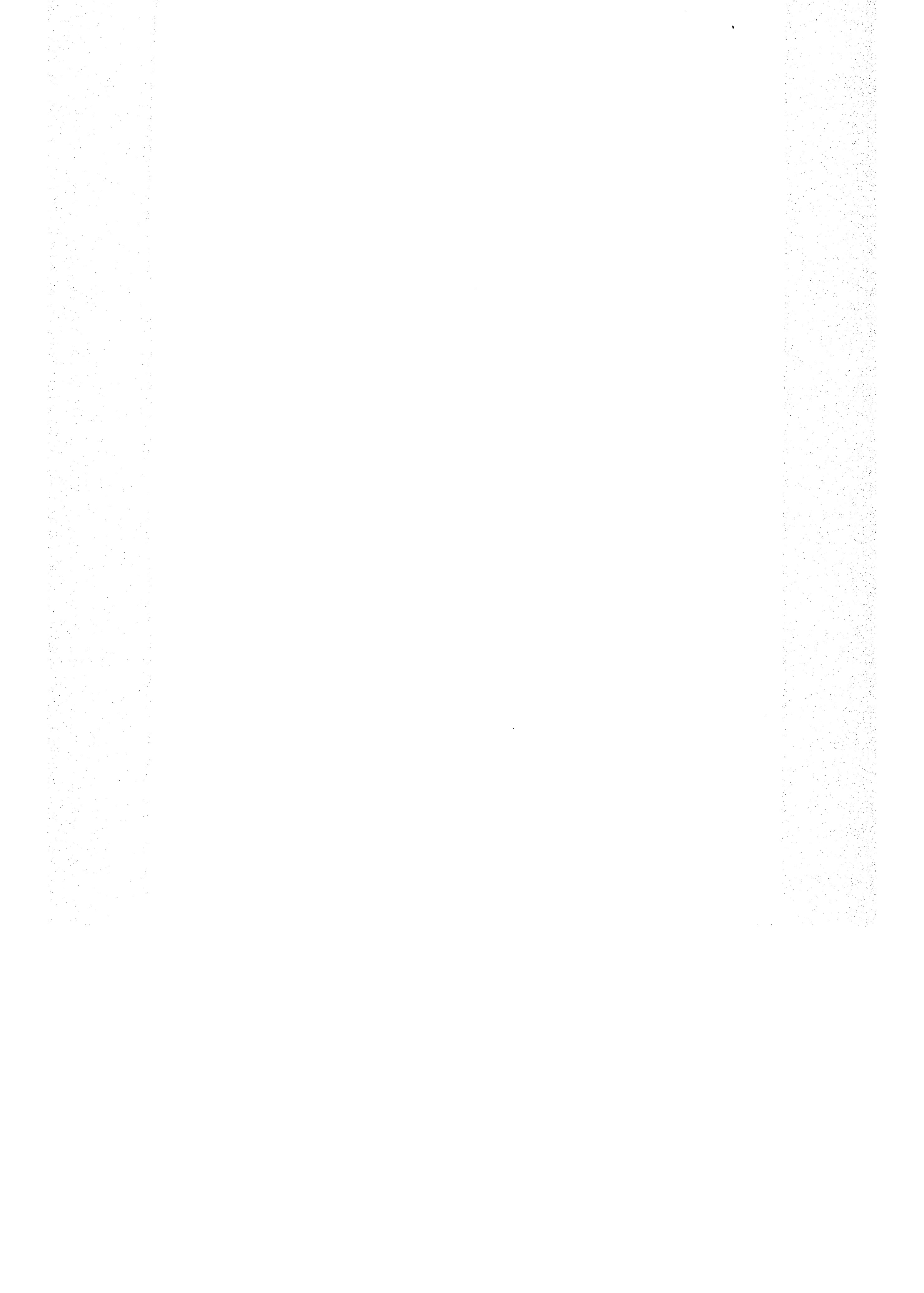

التسويق والمبيعات
القاهرة تليفون: ٣٠٣٢٣٤٤ - ٣٠٣٢٣٤٢ - ٠١٢/٢١٥٧٤٦١

# بنات البيزنس

## عـــادل حـــمـــودة

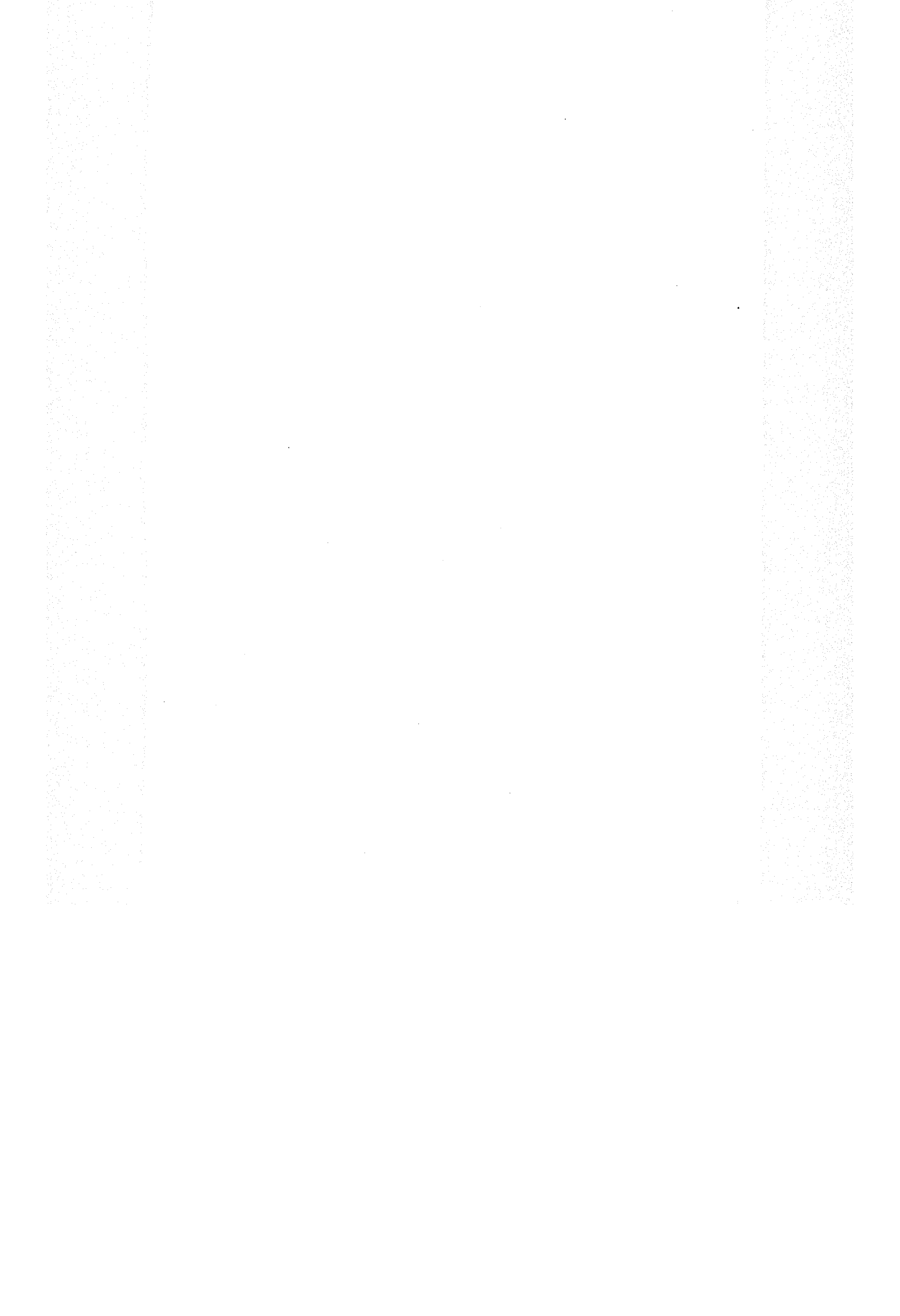
رقم الإيداع: ٢٠٠٦/١٤٠٩٩
الترقيم الدولى: 977/5930/39/4

تصميم الغلاف والإخراج الفنى: شاهر وهبه
التنفيذ: القسم الفنى «جريدة الفجر»
مطابع «الأهرام» التجارية. قليوب





# ١- بنات البيزنس



1

## بيزنس الدعارة
## وبيزنس الطهارة لعشيقة رجل العدالة

**الكلام الكثير فى فراش الجنس.. مثل الكلام الكثير عن الحكومة فى عناوين الصحف اليومية ومحطات التليفزيون والراديو الرسمية.. ينتهى بالفشل.. والملل.. والزهق.. مثل الكلام الكثير على مائدة القمار.. لا يجلب سوى سوء الحظ.. والخراب.. والخسارة.. مثل الكلام الكثير فى مفاوضات الإسرائيليين والفلسطينيين.. لا يجلب سوى الضربات العسكرية والعمليات الانتحارية.**

**إن الجنس لعبة من ألعاب الإشارات الكونية.. الضوئية.. اللاعب المحترف فيها هو الذى يضع على شفتيه قطعة سميكة من البلاستر.. ولا يثرثر.. يحتفظ بقدرته على الصمت مهما تكن سخونة الرغبة.. وحرارة الجسد.. وهزات الزلزال فى شرايينه.. وأعصابه.. بمقياس ريختر.. يكفى أن يرسل ذبذبات مكثفة عبر الأثير، كى تحرض المرأة على الاقتراب.. والاندفاع.. والاستسلام.. بل والاستمتاع.. إن المرأة تتميز عن الرجل بقدرتها على الوصول إلى قمة النشوة دون لمسة واحدة أحياناً.. مجرد سيطرة الإثارة على العقل.. تكفى.**

إن الكلام الكثير فيه مقتلنا.. فالجنس إضاءة سريعة.. مثل فلاش الكاميرا.. إضاءة عمرها ثانية.. أو جزء من الثانية.. برق.. رفة جفن.. التماعة سيف.. انقضاض صقر مدرب على الصيد.. لا يعطى الفريسة فرصة للهرب.. ولا للتحرر من الشلل.. مثل ذلك الرجل الذى كان يسيطر على منصب كبير فى

النيابة العامة فى وقت من الأوقات .. كان يكفى أن يمد يده فى اللحظة التى تراه فيها المرأة سيدًا تتكسر الرقاب لرؤيته حتى يجدها جاهزة.. منتظرة.. وعندما فقد منصبه.. فقد جاذبيته.. أصبح الآن مجرد "زبون " مزمن فى "نادى السيارات".. أو " نادى الجزيرة".. يفتش عن فريسة تقبله.. وتشمه.. وتوافق على ترهله.. ونادرا ما كان يصل.. إن السلطة تعطى الرجل ما لايعطيه له مصنع كامل للفياجرا.

كان يعرف جيدا أن من يملك السلطة ليس لديه الوقت كى يكتب الرسائل الغرامية.. ولا يفتح الفناجين كى يتحسس طريقه إلى المرأة التى يريدها.. إنه يستعمل الأسلوب البرقى فى الحصول على الفريسة.. لغة الطلب هنا.. مكثفة.. مضغوطة.. مباشرة.. وربما تكون على طريقة " برايل ".. باللمس.. بطرف الأصابع التى تتحسس البروز: الهضاب والتلال والواحات والمنحنيات: وهو يعرف أن المرأة بطبيعتها تحترم نفسها وجسدها أكثر من الرجل الذى لا يفرق فى فراشه بين الكافيار والخيار.. بين الطهارة والدعارة.. المرأة بالطبيعة تؤمن أنها غالية.. ثمينة.. لؤلؤة.. زمردة.. صدفة يصعب فتحها إلا على من يملك كلمة السر.. القوة.. الشهرة.. الثروة.. الرفاهية.. الهيبة.. القيمة.. السلطة.. إنها تخلع تحفظها لتسيطر على الرجل الذى يسيطر على العالم.. وتتحكم فى المسئول الذى يتحكم فى خلق الله.. فهو يتعرى أمامها.. ينزع أسلحته.. يتلهف عليها.. ينفذ أوامرها: اركع.. يركع.. اخلع.. يخلع.. تحرك.. يتحرك.. انتظر.. ينتظر.. اقترب.. يقترب.. اذهب.. يذهب.. لا إكراه فى الدين.. ولا فى الشعر.. ولا فى الجنس.

فى ذلك الصباح دخل مكتبه منتشيا كعادته.. فكل شىء كما هو.. الحرس الذى انتفض.. المتهمون الذين أحنوا رءوسهم.. والمحامون الذين رسموا ابتسامة المضيفات والممرضات الباهتة بالمجاملة على وجوههم.. ومساعدوه الذين جاءوا إلى مكتبه على عجل.. يحملون الملفات.. وينتظرون التعليمات.. إنه يعرف أن سر نجاحه المذهل والمثير للحسد هو التعليمات.. تعليمات يتلقاها

من فوق.. وينفذها بدقة.. وتعليمات يصدرها إلى من تحته.. ويتابعها بصرامة.. لقد تعلم ذلك الدرس البيروقراطى الموروث من عصور الفراعنة فى الوقت المناسب.. ومن يومها لم ينسه.

كان يحقق فى قضية لفقتها الحكومة لمجموعة من خصومها المعارضين.. وكان التلفيق غير متقن كالعادة.. متسرعاً كالعادة.. بلا دليل كالعادة.. وهو أمر شائع فى مصر.. فليس الهدف من التلفيق العقاب وإنما التشهير.. وليس الهدف منه العقاب بالسجن وإنما يكفى التأديب.. وشد الأذن.. وكاد يصدر قرارا بالإفراج عن المتهمين وهم أدباء وشعراء وكتاب وفنانون تشكيليون اتهموا بقلب نظام الحكم.. فكل ما يملكه ويقدر عليه هؤلاء: لوحة.. أو رواية.. أو مقالة.. أو قصيدة.. وهى ليست مفرقعات.. ولا منشورات.. ولا مظاهرات.. كان لايزال فى مرحلة البراءة والمثالية واحترام العدالة.. لم يكن يتصور أن مثل هذه الابداعات لها علاقة بتكدير صفو الأمن العام، لكن.. قبل أن يوقع قرار الانصراف من سرايا النيابة رن جرس التليفون على مكتبه.. كان المتحدث ضابطاً كبيراً فى أمن الدولة.. طلب منه ألا ينفذ ما فى رأسه.. وإنما ما فى رأس الحكومة.. طلب منه تحويل المتهمين إلى محكمة الجنايات.. وفهم منه أن تلك رغبة من هم أعلى وأقوى.. وهؤلاء لا ينسون من ينفذ تعليماتهم ويستسلمون إلى مشيئتهم ولا يرفضون أوامرهم.. وفى لمح البصر استوعب النصيحة.. ورغم أن المحكمة برأت المتهمين وسخرت ممن أحالوا لها القضية، فإنه شعر بنسمة هواء طرية تمسح بداية الحر فى يونية عن وجهه المتورم.. وعينيه الضيقتين.. وأنفه الحاد.. المدبب.. وصوته الأجش كصوت باب أكله الصدأ.. فقد عرف فى تلك اللحظة أنه سيحصل على الثمن. كان الشىء الوحيد الذى اختلف فى ذلك الصباح أن سكرتيرته لم تكن على مكتبها.. إنها امرأة عجوز.. تسيطر التكشيرة على ملامحها.. وتتكلم مع كل من يمر عليها بصلافة.. وغطرسة.. وقد اعتبر وجودها فى مكتبه بهذه الصفات الخشنة مزيدا من الرهبة التى يضفيها المنصب عليه.. كما أنه بحكم ما فيه لا يريد

سكرتيرة شهية تثير الشبهات والشائعات والتخيلات حوله.. فمنذ أن ماتت زوجته بسرطان الدم وهو يفضل أن يفرغ طاقته ورغباته فى بيته.. حسبما تلقى به الاقدار: خادمة.. جارة.. مطلقة.. عاهرة.. زوجة خائنة.. لم يكن يعترض.. فهو مثل كل من يعيشون ظروفه.. يأكلون.. ويمارسون الجنس.. بالتليفون.. " هوم ديلفرى ".

أكثر من ذلك لم يكن ليقدر على الاستغناء عن تلك السكرتيرة الشمطاء.. فهى كاتمة أسراره الخفية.. وتدير شئونه السفلية.. الخفية.. هى الواسطة بينه وبين أصحاب المصالح الخاصة الذين يدفعون " تحت الترابيزة" ما يطلب منهم.. مقابل تأشيرة منه.. تخرجهم من السجن.. أو تخرجهم من البلاد.. ويمثل أصحاب المصالح محامون من نوعية معينة.. لا يهم أن يفهموا فى القانون.. فالأهم أنهم يعرفون كيف يصلون إلى من يسيطر على القانون.. لماذا يتعبون أنفسهم فى قراءة تحقيقات وكتابة مرافعات وزبائنهم أثرياء قادرون على الدفع.. بل هم يدفعون نسبة ضئيلة مما سرقوه أو نهبوه أو اقترضوه.. وما يدفعونه يعتبرونه عمولة مثل باقى العمولات التى يدفعونها.

وكل شىء بثمنه.. والثمن محدد.. لا يقبل المساومة ولا المماطلة.. تأشيرة السفر للخارج لها ثمن.. الإفراج الصحى له ثمن.. طلب إعادة المحاكمة له ثمن.. وهو لا يقبل سوى النقود السائلة.. " كاش ".. لا يقبل المقايضة.. لا فيللا.. ولا امرأة.. لا سيارة.. ولا عمارة.. " كاش".. وهو يحصل على الفلوس بالجنيه المصرى ويحولها فى اليوم نفسه إلى دولارات يضعها فى حسابه خارج البلاد.. إن مظاهر الثراء هى التى تفتح العيون.. وهو لا يزال فى شقته التى تزوج فيها على نيل حى المنيل بالقاهرة.. لا شىء تغير فى حياته.. وسلوكه لكن.. التغير كان فى نفسيته وتكوينه.. لقد دفع كرامته ونزاهته وشعوره بالاستقلال ثمنا لخدمة السلطة.. ثمنا لطاعتها.. وتجاوزاتها.. وكانت الضحية هى العدالة التى أقسم أن يحترمها.. فمادام خسر نفسه مجانا من أجل الحكومة فليعوض خسارته بالعمل لحسابه بتحويل منصبه إلى شركة قطاع

خاص.. سوبر ماركت.. كل بضاعة فيه لها ثمن.. والدفع قبل الحكم.. دون معارضة.. أو نقض.. أو استئناف.

على الفور جاءوا له بسكرتيرة أخرى.. سكرتيرة مؤقتة.. جاءت ليوم واحد.. لكنها.. بقيت سنوات طويلة على غير المتوقع .. دخلوا أقرب مكتب له.. طلبوا من أول موظفة صادفتهم أن تتبعهم.. خرجت من بين أكوام الملفات والمكاتبات ونفذت ما طلبوا منها دون أن تعرف ما ينتظرها.. وفوجئت بما وجدت نفسها فيه.. لم تتصور أنها ستقابله وجها لوجه.. أو تتحدث إليه كلمة بكلمة.. ولكنها كانت فى أعماقها تشعر أن شيئا ما ينتظرها لا تعرفه.. لا علاقة له بالفقر الذى يحاصرها.. شيئا ما أشبه بالمعجزة ستحصل عليه.. كالذى حدث لمئات من الوجوه التى ترى صورتها فى الصحف والمجلات.. إنهم مثلها.. كانوا فقراء.. معدمين.. ثم عرفوا كيف يقفزون إلى أعلى.. هل سرقوا ؟.. هل قدموا زوجاتهم؟.. هل باعوا شرفهم؟.. هل نافقوا؟.. هل تجسسوا؟.. هى مستعدة لكل ذلك معا.

واستعدت لأهم لحظة فى حياتها.. لحظة الدخول عليه.. لحظة قبولها.. شحنت كل أسلحة الأنثى الموروثة منذ ملايين السنين.. وركزت على أجمل ما فيها.. صورها.. وصدرها.. وهما سلاحان لا تلحق بهما الخيبة فى مواجهة الرجل الشرقى.. فهو مثل المرأة تنتهى معركة السيطرة عليه فى أذنه.

ويمكن أن نصدق أنه سقط فى هواها من أول نظرة.. كانت النظرة إلى صدرها تكفى كى ترسم مستقبلا لا حدود له.. وكان صدرها بالفعل أجمل ما فيها.. وأبرز ما فيها.. وأجرأ ما فيها.. مفتاح نور بدد الضغط عليهما ظلام البدروم الذى تسكنه.. لقد دخلت بصدرها إلى دنيا غير الدنيا.. دخلت دنيا لم تكن تعرفها.. بل لم تكن تحلم بأن تعرفها.

شىء ما يصلنا فى تلك اللحظات، يؤكد لنا أن شرارة الكهرباء قد حدثت.. وأن هذه المرأة التى وضعتها الظروف فى طريقنا ستفتح على يديها كنوزا من المتعة كانت مخبأة لنا.. كانت فى انتظارنا.. مكتوبة لنا.. وحدنا.. لكن الرجل

الذى جاءته تلك المتعة متأخرة تساءل بينه وبين نفسه.. هل لا يزال صالحا للحب وهو يقترب من سن الستين ؟!.

رجع بظهره إلى الوراء، وهو يتذكر أنه عندما كان صبيًا أحب كل أنثى تقع فى طريقه، حتى قطة البيت.. وخادمته العجوز.. وعندما ترك قريته المجهولة فى المنوفية وسافر إلى القاهرة ليدرس الحقوق أحب جارته فى السكن.. وزميلاته فى المدرج.. وبائعة الخبز البلدى الجالسة على ناصية بيته.. وعندما وصل إلى سن الثلاثين وقرر أن يتزوج، وجد أن الحب يجب أن يصبح صفقة تجارية محسوبة.. فاختار ابنة مستشار لامع فى محكمة النقض.. ولحظة أن وصل إلى الخمسين راح يراجع حساباته القديمة.. راح يتذكر أهم انتصاراته.. ونسى أن يتذكر هزائمه.. لكنه.. الآن على عتبة الستين.. فى السن التى يتراجع فيها عقل الرجل بسرعة مذهلة إلى الوراء.. ليبحث عن امرأة بعمر حفيداته.. دون أن يستوعب الخط البيانى للعشق الذى يبدأ بمراهقة الجسد.. وينتهى بمراهقة العقل.

هى أيضا كانت تريده.. تريده كى يرفعها من بيت عشوائى على أطراف القاهرة بالقرب من مقابر البساتين إلى شقة على النيل، تغير فيها هويتها وجلدها وتاريخها وذاكرتها.. لم تكن باهرة الجمال.. لكنها طاغية الأنوثة.. معجونة بقدرة هائلة على تنفيذ طلبات وتعليمات من فى مكانه وعمره وظروفه وغروره.. كانت متأكدة أنه لن يقاومها.. لن يستغنى عنها بسهولة.. لن يستهلكها بسرعة ثم يتركها.. لن تكون " هوم ديلفرى " لوجبة كنتاكى سريعة "جانك فوود ".. يأكلها بشراهة ثم يشعر بالندم.. بل ستكون وجبة شرقية.. كاملة الدسم .. لابد أن يشعر بعدها بالخدر وينام نوما طويلا.

ولم يكن من الصعب عليها أن تتخلص من السكرتيرة الأخرى.. وأن تلعب كل أدوارها.. السمسرة وتلقى الرشوة.. بجانب دور العشيقة التى تحترف المتعة.. لقد فهمت اللعبة بسرعة مذهلة.. وقررت أن تجربها.. كانا فى الفراش عندما جاءت إليه بطلب لسفر متهمة فى قضية من قضايا القروض.. بحجة أنها

مـريضـة.. وعـلاجـهـا لايوجـد إلا فى سـويسـرا.. فـوقع الطلب.. وهـو يبـتـسم ابتسامة مشجعة قائلا : إن هذا التوقيع يساوى نصف مليون جنيه.. وسألها : هل حصلت على أقل من ذلك ؟.. هزت رأسـهـا فى خـجل.. إنهـا لا تزال هـاوية فى إمبـراطورية الفسـاد.. لا تـعرف الأسـعـار.. سـألهـا عن المبلغ الذى حصلت عليـه.. فلم تنطق.. فقـد كـان مبلغـا لا يجوز ذكـره.. ألف جنيـه.. وانتـفض من الفـراش غـاضبـا.. وراح يشـرح لهـا الخطأ الذى وقعت فيـه.. والجـريمـة التى ارتكبتهـا.. إن الفسـاد سلعـة مثل أى سلعـة.. لا يجـوز حرقهـا وإلا تأثرت السـوق ودمرت العلاقـات والمعاملات فيها .. وتعلمت الدرس.. وتفوقت فى أكاديميته.. لتتخرج فيها بعد أسابيع بامتياز.. لكن.. دون مرتبة شرف.

إنها ابنة عصرها.. عصر السرعة.. والايجار.. والتوتر.. والكثافة.. والتقاط الفرص الطائرة فى الهواء قبل أن تسقط ميتـة على الأرض.. وقد شعـرت أن العـيون عليـهـا.. وفـهـمت أن الصـغـار هم الضـحـايا دائمـا.. فـتـاجـر المخدرات الصـغـيـر الذى يبـيع جـرامـا أو جـرامـين من الحـشـيش فى الشـوارع الخلفـيـة المظلمـة هو الذى يسقط ويحـاكم ويسجن، بينـما التاجـر الكبير يتمـتع بالحمـاية والحصـانة.. وصبى الجزار هو دائما الذى يلبس قضيـة الغش والبيع بأعلى من التـسـعـيـرة.. والموظف المتـواضع الذى يحـصل على رشـوة تقل عن ألف جنيـه يقبض عليه، بينما يترك الموظف الكبير الذى يحصل على رشوة بالملايين.

وهى نفـسـهـا شـهـدت تجـربة حيـة بالصـوت والصـورة لحظة القـبض على السكرتيـرة القديمـة.. كـان يجب التخلص منهـا حتى يغسل سـمعتـه.. وتتحدث الصـحف عن أمـانتـه ونزاهتـه وطهـارة يده.. خـاصـة بعـد أن جـمعت سكرتيـرته الجديدة بين المتعة والرشوة.. لقد دبر لها شَرَكًا.. وأبلغ الرقابة الإدارية لتتعقبها بواسطة أجـهـزة التـصنت الحديثـة التى تمتلكهـا.. وفى اللحظة المحـددة وقـعت الضحية فى الفخ المنصوب.. ولم يصدقها أحد فى كل ما قالت واعترفت به عن رئيسـهـا.. " الرأس الكبيـر ".. فـالرجل بنفسـه هو الذى اصطادهـا.. ولابد أن مـا تقوله عنه هو نوع من الهذيان بسبب مـا جرى لها.. أو هو محاولة منها لتوريطه

كى تكبر الجريمة وتتضخم فتخرج منها.. كالشعرة من العجين.

كل الحقيقة التى باحت بها تبخرت.. بل أكثر من ذلك اتهمها بجريمة أخرى.. سب موظف عام.. والتشهير به.. (إذا لم تستح فافعل ماشئت).. وهى قاعدة ذهبية يلجأ إليها فاسدون كبار فى الحكومة.. ما إن تشير الصحف إليهم بشىء تفوح منه رائحة العفن- ولو كان موثقا بالمستندات الدامغة- حتى يسارعوا برفع دعوى قضائية أو يتقدموا ببلاغ إلى النائب العام.. ربما وصلوا إلى شىء يرضيهم: حكم بالسجن.. أو بالغرامة على الصحفى الذى تجرأ وكتب ونشر .. أو على الأقل إصابته بالقلق ووضعه تحت ضغوط قضائية ونفسية.. أو السعى نحو «وساطة» بين الطرفين كى تسكت الصحيفة ولا تعود للنشر.. أو على الأقل يردد هؤلاء الفاسدون الكبار ما يحفظ ماء وجوههم .. فلو سئلوا عما فعلوا تجاه ما نشر.. تكون الإجابة ترضيهم : لقد حولنا الصحفى إلى المحكمة. ولو حكمت المحكمة ببراءة الصحفى تكون قضية الفساد المنشورة قد نسيت تماما.. فنحن أقدم أمة وأضعف ذاكرة.

لم تشأ أن تكون ضحية مثلها مثل غيرها.. أرادت أن تهرب من المصير نفسه.. فتوسلت إليه أن يتركها تفتح مكتبا للمحاماة بعيدا عن الوظيفة الحكومية.. ليكون مكتبها هو المكان المناسب لمقابلة المحامين الذين يأتون.. يعرضون ويدفعون.. دون أن يثير أحد الغبار حولهما.. ووافق على اقتراحها.. بل تحمس له.. وأصبحت سمسارة «قطاع خاص».. من نوع خاص.. إن هناك سمسارا للبيوت.. وسمسارا للأسهم والسندات.. وسمسارا للمتعة.. لكنها سمسارة للعدالة.. حيث يقوم أساس الحكم.. حيث تسقط ورقة التوت عن النظام السياسى إذا ما خدشت أو جرحت أو أصيبت بعطب.. تصبح السلطة عارية تماماً عندما تتحول العدالة إلى بورصة وبقالة ومعرض سيارات قديمة وبضاعة «منكوشة» على الرصيف.

لم تكن فى مكتبها قضية واحدة.. ولو قضية نفقة.. أو قضية تموين.. ولم يكن فيه مراجع قانونية.. أو محامون تحت التمرين.. أو أجهزة كمبيوتر لكتابة

المذكرات والدفوع.. كانت شقة فاخرة فى حى راق.. تلتقى فيها بالمحامين الكبار الذين استسهلوا الطرق الملتوية لانقاذ موكليهم.. خاصة أن هؤلاء الموكلين شديدى الثراء كسبوا الملايين دون وجه حق ولن يضيرهم أن يدفعوا بعضا منها.. وكان هو يحصل على الجزء الكبير من ذلك البعض.. أما هى فكانت قانعة بما كان يلقى به إليها.. فالفتات هنا وجبة دسمة.. أتاحت لها فى سنوات قليلة أن تصبح سيدة مجتمع راقية.. تغير سيارتها كل سنة.. وتملك شقة فى القاهرة.. وأخرى فى الإسكندرية.. وثالثة فى الغردقة.. بجانب شاليهات فى مارينا وشرم الشيخ ومرسى مطروح.. أخذت بعضها على سبيل الأتعاب.. فلابد من تسهيلات فى الدفع للتيسير على الزبائن.

لكن.. شيئا ما كان ينقصها.. تذكرته بعد أن حصلت على كل ما تمنت.. وعرفت أنه لا يستطيع أن يعطيه لها: المتعة.. المتعة كما يجب.. لا متعة الشيخوخة.. الخالية من البالونات الملونة.. والمفرقعات الخطرة.. وبعد أن كانت تحتمله.. أصبحت لا تطيقه.. لكنها ليست من البلاهة حتى تظهر ذلك.. فهى تعرف أنه سيلقى بها فى السجن فى أول لحظة يصل فيها إلى ما تفكر فيه وما تشعر به.. سيكون مصيرها زنزانة فى سجن النساء فى القناطر الخيرية.. على أنها فى الوقت نفسه تطالب ولو بينها وبين نفسها بحقها فى أن تنفجر وتصرخ وتمسح بلسانها أصابع قدمى رجل ما فى خيالها.. لا يأتيها إلا فى المنام.. تريد أن تتجاوز المرحلة التى هى فيها.. مرحلة الشعور بأنها قطعة من السيراميك.. لا قطعة من الجاتوه.

كانت ترتعش منه.. وتخافه حتى التجمد.. فلو وضعت تحت ضرسه فسوف يفتك بها.. بالقانون.. أخطر أنواع الفتك.. فلو خاصمتك السلطة مهما كانت تلجأ إليه هو نفسه للحصول على حقك منها.. لكن.. إلى أين تذهب لو كانت هى ذاتها مصدر الخصومة ؟.. ولم يكن أمامها سوى أن تمارس حياتها على طريقة المراهقات.. الفرجة على أفلام «البورنو» العارية.. والجرى وراء خيال ساخن.. يوصل إلى متعة ناقصة.. ثم أصبحت مثله قبل أن يعرفها.. تحصل

على المتعة.. "هوم ديلفرى": بواب.. خادم.. سفرجى.. سائق.. محام.. كل ما يصادفها فى لحظة الغليان.. لكنها.. كانت مثل ملكة النحل.. تتخلص من الرجل بعد أن تصل معه إلى ما تريد.. لم تكن تكرر الرجل مرتين حتى لا يتحكم فيها ويتمكن منها ويسيطر عليها.. وفى كثير من الأحيان كانت تدفع ثمن متعتها.. تأخذ منه مالا تدفعه لمن يعطيها ما عجز هو عنه.. والمؤكد أنها خطرت على بالها أكثر من مرة فكرة الكفاح وصعود السلم من أوله مع رجل طبيعى من ثوبها.. لكنها.. لم تكن تستغرق فى ذلك وقتاً طويلاً.. فعقارب الساعة لا تعود إلى الوراء.

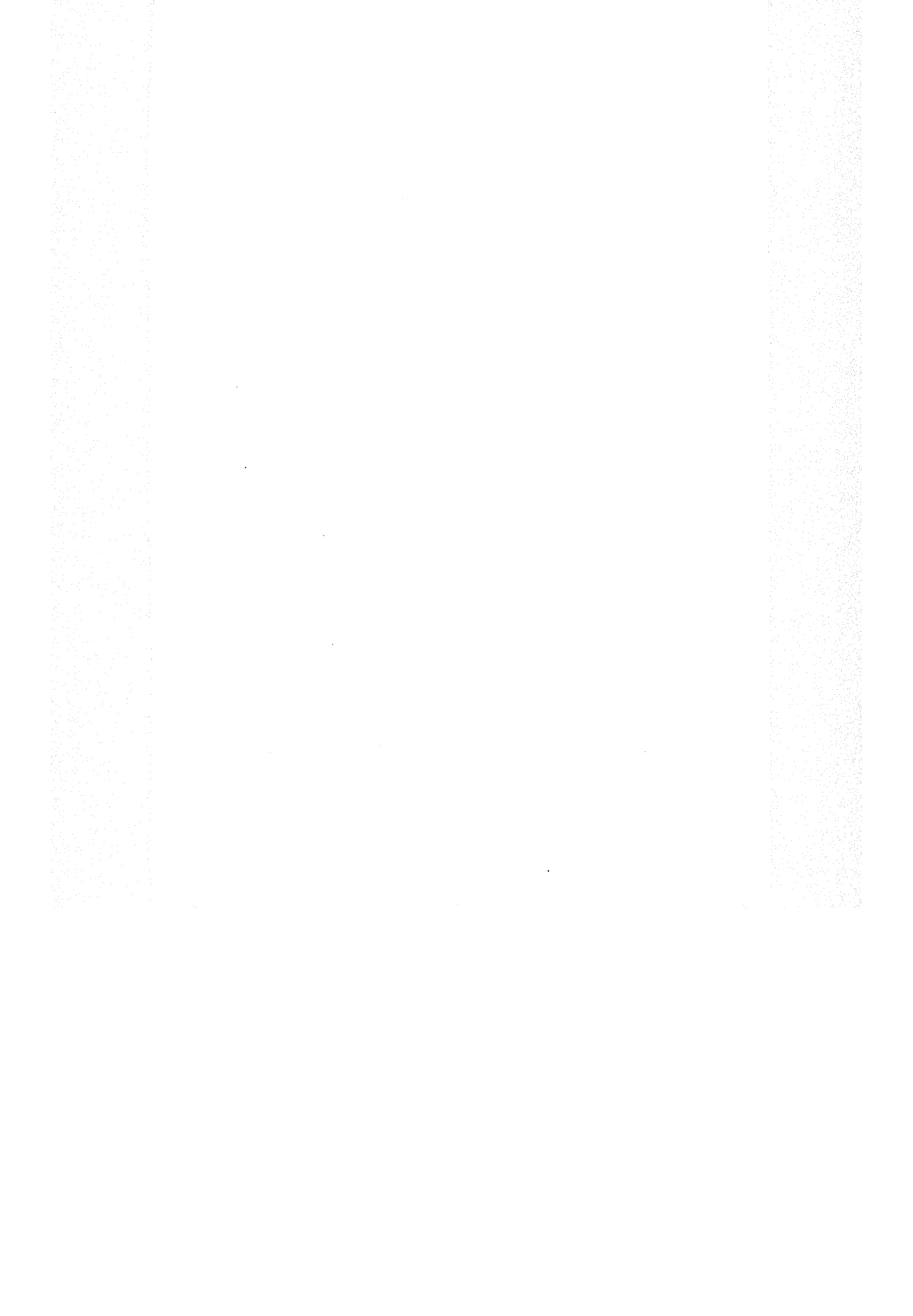
وذات يوم طلب منها أن تتقدم لشراء أسهم فى شركة من الشركات الموضوعة تحت الحراسة.. وتعجبت من الطلب.. فهى قانعة بدور السمسار.. ولاتريد أن تكون سيدة أعمال.. لاتريد أن تكون بنتا من بنات البيزنيس.. لكنه.. أصر.. وكشف لها كل الأوراق والملفات السرية للصفقة.. ورسم لها الخطة المناسبة التى تمشى عليها.. أن تتقدم بسعر حدده لها هى ومعها محام آخر تعرفه وتتعامل معه وتثق فيه.. ليشتريا نسبة ما من أسهم الشركة تتيح لهما التحكم فيها.. ثم يقترضان- بحكم سيطرتهما على الإدارة- أموالا بالملايين من البنوك.. يحصلان عليها بالتحايل حتى تنتهى الشركة للإفلاس ويخرجا منها بما يقبل القسمة على ثلاثة حسب النسب المعروفة.. وكانت الصفقة مغرية.. نحو مائة مليون جنيه فى أقل من ستة أشهر.. سيأخذ نصفها.. ويترك لهما النصف الآخر.. حلال عليهما.. حرام عليهما.. لا فرق.

ونفذت الخطة بدقة.. اشترت الأسهم هى والمحامى زميلها.. وتحكما فى الشركة.. واقترضا بحكم سيطرتهما عليها.. وزورا فى الأوراق كى تصبح الشركة خاسرة ويختفى فى الدفاتر ما نهباه من ملايين.. وقاما برفع قضية إفلاس للقضاء على الشركة والحصول على ما كسبته هى وشريكها.. ولكن.. كانت هناك مفاجأة من العيار الثقيل فى انتظارها.. فقد نشرت صحيفة معارضة ملف الشركة وأوراقها السرية وأثبتت وقائع التزوير والتدليس

واختلاس الأموال والقروض.. وتكرر النشر الذى حمل عنواناً شهيرا فى الصحافة المصرية : " بلاغ إلى النائب العام ".. وجرى التحقيق فى البلاغ.. وتصورت أنه حان الوقت لإنقاذها من السجن.. لكنه.. تحجج بأن منصبه لا يسمح.. خاصة أنها كانت سكرتيرته من قبل.

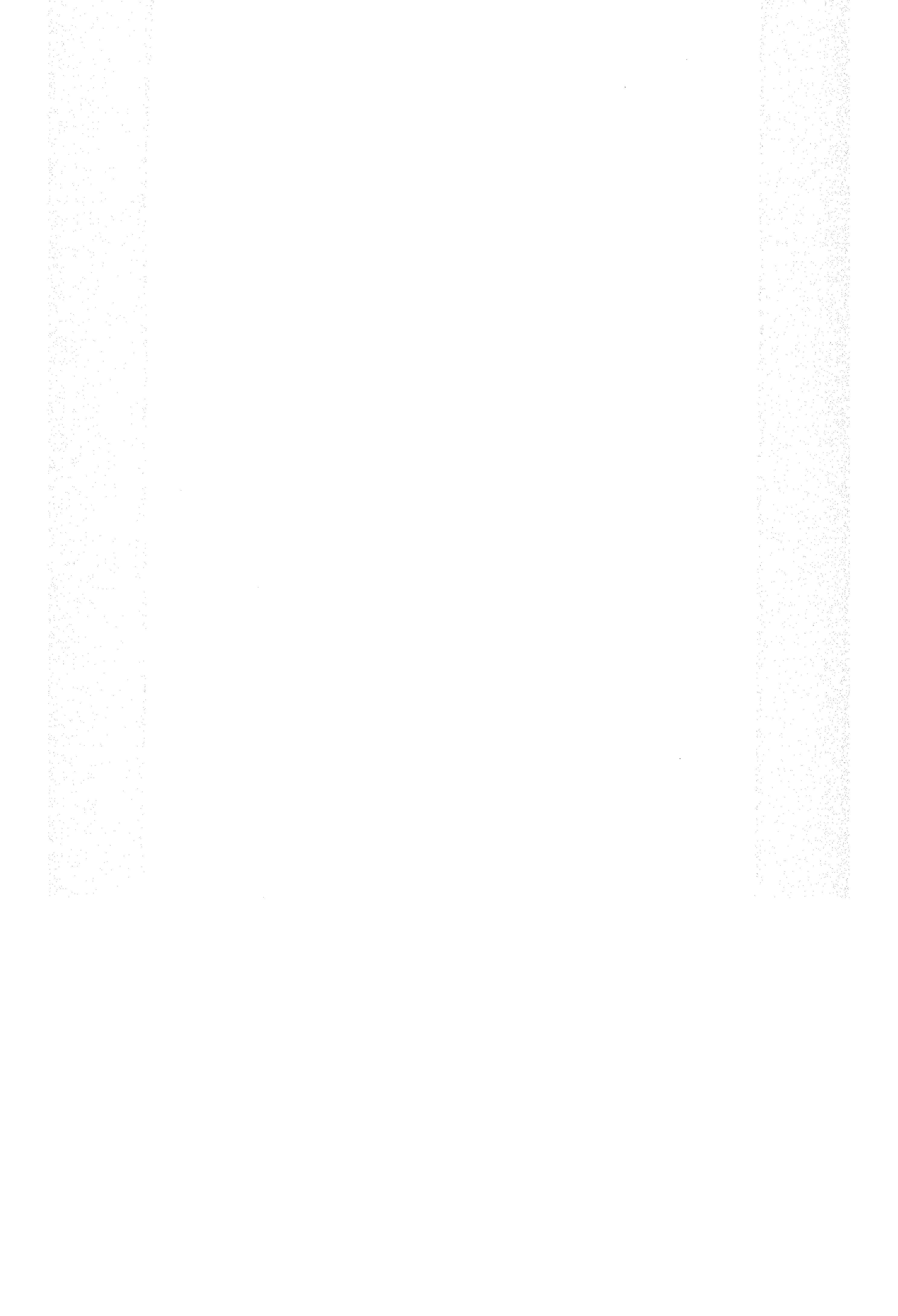
ولعبت كتيبة من الفئران فى صدرها.. لكن.. لم يكن أمامها سوى الاستسلام لمصيرها.. السجن لمدة عشر سنوات.. وفى يوم من الأيام طلب زائر مجهول زيارتها.. ولم تجد ما يمنع.. فالسجين يريد أن يشم رائحة كل ما يأتى من الحرية البعيدة عن الأسوار.. كان الزائر المجهول امرأة.. وجهاً تعرفه.. لكنها نسيته.. كانت السكرتيرة الشمطاء التى قبض عليها فى قضية الرشوة.. زميلتها القديمة فى المكتب الحكومى.. لقد خرجت براءة بعد أن أعادت محكمة النقض محاكمتها.. وجاءت تحمل إليها رسالة منه.. رسالة صامتة.. لا كلام فيها.. مجرد صورة.. صورة لها هى وعشيقها المحامى المحبوس على ذمة نفس القضية.. لقد استسلمت له مرة واحدة فى لحظة ضعف ونسيت.. لكن.. كان هناك من يشك ويراقب وينظر ويصوِّر.. ويفكر فى العقاب.. وينجح فى الوصول إليه.

إن أسطورة بيجماليون لم تعد تناسب عصرنا.. أسطورة الرجل الذى صنع تمثالا جميلا ثم وقع فى هواه وسجد له لم تعد مغرية.. فنحن نصنع أصناما من العجوة نعبدها.. ثم نأكلها.. هذا هو عصرنا.. وزماننا.. ودستور أيامنا.. وقد أدركت هذه الحقيقة عندما صدمت بما عرفت.. ولم يكن أمامها سوى أن تكرر سيرة رابعة العدوية.. وراحت تعظ زميلاتها فى العنبر.. ثم فى السجن.. ثم ذاع صيتها.. وخرجت شرائطها إلى عالم ما بعد الأسوار.. وراح الناس يسمعونها ويتحدثون عن معجزتها.. ووجدت من يعرض عليها مليون جنيه كى تطبعها وتوزعها فى كل أنحاء العالم الإسلامى.. لقد عرفت فى السجن المال الحلال لأول مرة فى حياتها.. إن بيزنس التوبة لا يقل أهمية عن بيزنس الخطيئة.





# ٢-بنات البيزنس



## 2

## الرشوة بالموبايل والجنس بالعمولة على طريقة صلاح نصر!

يحب الإنسان تناقضاته.. ولا يجد بينه وبين نفسه سبباً لإنكارها.. أو التنصل منها.. إن الإنسان نسيج من لحم ودم.. من قوة وضعف.. من وداعة وصرامة.. من عهر وطهر.. وليس «قالب بالوظة».. هو الأبيض والأسود.. الثلج والنار.. القديس والشيطان.. المحافظ والليبرالى.. المجرم والقانونى.. الحضارى والبدوى.. المهذب والسافل. إن التناقضات سنة البشر.. والإنسان الذى لا يتناقض هو آلة حاسبة لا تعرف سوى جدول الضرب ومعادلات الجمع والطرح والقسمة.

بهذا التصور عاش حياته.. عرف خلال أربعين سنة من عمره غالبية أنماط النساء المتناقضة.. الصديقة.. العشيقة.. الطاهرة.. العاهرة.. الشهوانية.. الباردة.. السلطانة.. الجارية.. الوديعة.. الشرسة.. العفوية.. المحترفة.. التى تقول شفتها العليا «لا».. فى حين تقول لك شفتها السفلى «ادخلوها بسلام آمنين».. والوصف لنزار قبانى.

لقد جرب كل أنواع النساء.. وسيطر عليها.. كان وسيماً.. ثرياً.. جريئاً.. قوياً.. يصل إلى ما يريد ولو فى آخر الدنيا.. ولو دفع كل ما وراءه وما أمامه.. إنه لا ينسى تلك الزوجة الخائنة المرتعشة التى رفضت أن تنام معه إلا بعيداً عن بيتها ومدينتها وبلدها بمئات الألوف من الأميال.. فى أستراليا.. وتكلفت المغامرة

عشرين ألف دولار.. فى وقت كان الدولار فيه لا يزيد على ثلث جنيه مصرى.. ولا ينسى تلك الفنانة الشهيرة التى لم يستطع الوصول إليها إلا بعد أن أنتج لها فيلماً استعراضياً.. فى وقت كانت تودع فيه سنوات الرشاقة.. وهذه الفنانة بالذات تعاقدت مع مأذون قريب من بيتها للزواج والطلاق.. فقد كانت تصر على الحلال.. ولو كان لمدة ساعة واحدة.. ولا ينسى تلك «العلقة» الساخنة التى فرضت عليه العلاج شهرا بسبب تلك المرأة ملفوفة القوام التى جرته دون أن يدرى إلى الحى الشعبى الذى تسكنه.. وخرج عليه أهلها وجيرانها بكل ما يصلح للقتل من أسلحة بيضاء وحمراء.. لكنه فى النهاية حصل عليها.

إن خزانة تاريخه ملأى بعشرات الأشكال والأزياء من النساء.. وهو يستمتع بإضافة المزيد منها.. دون أن يتدخل أحد فى اختياراته وأذواقه وألوانه المفضلة.. عرف المرأة الكاكى.. وعرف المرأة الفوشية.. عرف المرأة التايير.. والمرأة البكينى.. وكان قادراً مهما كان سمك الثياب أن يقنع المرأة بالتحرر منها.. وأن تعود إلى عصر سيدة العالم الأولى.. حواء.

لكن.. الآن.. يجلس وحيداً.. وينام بمفرده.. ويأكل نفسه بنفسه.. تعبر عنه أبيات شعر نزار قبانى التى يصور فيها رجلاً فقد خناجره يجلس على سطح سفينة الحياة كاللص يبحث عن طريق نجاة.. ويتساءل فى حسرة: أين السبايا؟.. أين ما ملكت يدى؟.. أين البخور يملأ حجرتى؟.. أين الجنس الذى كان منوماً ومخدراً؟.. إن الجنس لم ينه أحزانه ولا أزماته.. «اليوم تنتقم النهود لنفسها.. وترد لى الطعنات.. بالطعنات.. كل الدروب مسدودة أمامنا.. وخلاصنا فى الرسم بالكلمات».

لقد خلّصت منه تلك المرأة الأخيرة ما فعله فى حياته العريضة.. القديمة والجديدة.. حبس نفسه فى قفصه البشرى الضيق.. وعجز عن ممارسة حريته.. لم يعد قادراً أن يقول ما يشاء.. أو يحرك يديه كما يشاء.. أو يتخلص منها لو شاء.. لقد أصبح مدعى حرية.. وليس حراً كما كان يتصور.. إنه ليس حراً فى صلاته مع يديه وشفتيه وثيابه وكلامه وزوجته.

تزوجها منذ عشر سنوات.. كانت سكرتيرته.. أصغر منه بعشرين سنة.. سافرت معه لعقد صفقة تجارية فى إسبانيا لاستيراد مستلزمات القطط والكلاب.. وهو بيزنس لا يجوز التقليل من شأنه.. يصل فى بلد مثل الولايات المتحدة إلى أربعين مليار دولار.. ويصل فى بلد مثل مصر إلى مائة وخمسين مليون جنيه.. طعام خاص.. ثياب مميزة.. أدوية ومقويات.. وفوط صحية مناسبة.

وجدها على شاطئ البحر أمام الفندق بالبكينى.. قطعة قماش لا تلف يد رضيع.. أو تسد فمه.. كانت تمسك بكتاب تحت الشمس.. ظهرها مكشوف.. وقدماها تلعبان بحرية فى الرمل.. وحشرة صغيرة مثل النملة تزحف على جسدها فجرى إليها لينقذها من لسعاتها.. وكان ما كان.. لكنها لم تكتف بنزوة عابرة.. أصرت على أن تكون علاقتهما مستقرة.

لم يكن صعباً أن يكون لهما باب ومفتاح وفراش وبار مغطى بكل أنواع الخمور.. ودفن نفسه فيها.. وتمنى ألا يستيقظ.. أحبها بجنون.. دخل فى حوار طويل مع جسدها الفارع المشوق.. وتعود عليها.. أدمنها.. لم يفكر فى الحصول على إجازة منها يقضيها كما تعود على شاطئ امرأة أخرى.. وعندما يفكر رجل تجاوز الستين فى ألا يحصل على إجازة من امرأة فإنه يكون قد دخل مرحلة الهستيريا.

سبحا فى الجنس كطائرين بحريين لا وطن لهما.. شهقا.. رقصا.. صرخا.. تبللا.. قطرات الماء دوختهما.. التصقت بهما معا.. لم تعد القطرة منها تعرف أين تسقط؟.. أو على أى أرض تتزحلق.. الرخام كله معجون ببعضه.. غيطان الثلج كلها تشتعل بالنار.. وهو يمسك بشعرها بشراسة إنسان يغرق.. لم يعد بإمكانه أن يكون متحضراً.. فحين تلتصق به يجد نفسه فى الهاوية.

لكن.. الجنس له عمر.. والشهوة تموت فى عمر الزهور.. ورغوة المتعة لا

يبقى منها سوى الذكرى.. وقد حاول أن يستعيدها.. ويستعيد البحر.. لكنه.. نجح فى استرداد البحر.. ولم ينجح فى استردادها.. فما يأخذه البحر لا يرده أبداً.. حاول أن يلصق عشرات التفاصيل الصغيرة القديمة ببعضها.. كقطع الفسيفساء.. لكنه.. فشل.. فكل ما كان يصل إلى ذاكرته.. كان يسقط فى البحر ويغرق.

كان بالنسبة لها مجرد أسانسير تصعد به إلى قمة ناطحة سحاب، فيها شركتها التى كونتها بأمواله وشهرته.. كانت تعرف تاريخه العاطفى.. خلع النساء كما يخلع القمصان.. ولم تشأ أن تكون مجرد قميص يلقى به إلى «الدراى كلين» وينساه.. أرادت أن تكون صاحبة كل شيء.. بما فى ذلك تاريخه وذاكرته وثروته.. لكنها وصلت إلى كل شيء ما عدا ثروته.. فقد كانت مسجلة باسم أولاده.. ويصعب عليه التصرف فيها.. إنه يعرف ضعفه.. يعرف أن هذا الضعف فى لحظة ما قد يفقده كل ما يملك.. فنقل ثروته إلى أولاده لحمايتها.. أودعها هناك كى لا يبددها.. حكم على نفسه بالسفه ونفذ الحكم بنفسه.

لم يسعدها ذلك الاكتشاف.. غضبت.. صرخت.. سبت.. شتمت.. لكنها.. لم تحصل على ما تريد.. نصيبها من الثروة.. حقها فيما يملك.. ثمن ما قدمته له من متعة.. فقد راحت تحسب عدد القبلات والأحضان وساعات النوم معاً وتضرب فى أسعار من عندها. وكانت النتيجة عشرة ملايين جنيه، لم تحصل منها إلا على سيارة وشقة ومكتب شركة صغيرة.. لكنها.. لم تطلب الطلاق.. لا تريد أن تكون بلا حماية زوجية.. إن الزوجة الخائنة أعلى سعراً من المطلقة.. كما أنها هى التى تختار بنفسها مهما تكن شراسة كلاب الصيد.. وتستطيع أن تهرب فى الوقت المناسب مستخدمة حجة زوجها.. لكن.. غالبية الرجال لا يفضلون الزوجة الخائنة.. فهم يشعرون بالإساءة إلى رجل لا ذنب له.. الزوج.. على أن بعض الرجال يرون أنها المرأة المثالية فى العلاقات الجنسية.. فهى امرأة لن تطالبهم بالزواج.. ولن تطالبهم بالخروج والسهر

علناً.. ولن تفضحهم أو تطاردهم.. وقبل ذلك.. مضمونة صحياً.. محدودة العلاقات.. العشيق دائماً والزوج ربما.. وتميل دائماً لأن تكون اللقاءات سرية.. فى «الجرسونيرة».

لكنها.. لم تكن ذلك النموذج التقليدى للزوجة الخائنة.. كانت زوجة خائنة.. وجريئة.. تلتقط الرجال عينى عينك.. وكأنها تنتقم من زوجها الذى خذلها.. وخدعها.. وامتص رحيقها دون مقابل مناسب.. وهى تعرف أنه لن يستغنى عنها.. فهى آخر ورقة خضراء على شجرة الخريف التى بقيت جافة وخشنة فى حياته.

فى ليلة صيف ساخنة اتصلت به من بيت عشيقها الجديد.. وأخبرته أنها ستخلع بعد دقائق ملابسها.. لتمنح نفسها لرجل آخر لا يعرفه.. وحرضته على المجىء كى يرى بنفسه.. وتحدته أن يأتى.. أن يسخن.. ويغضب.. ويصرخ.. ويضرب.. ويقتل.. وينتقم لشرفه الذى يحترق بنار رغباتها.. وأحلامها.

ركب سيارته وهو يتحسس مسدسه.. إنها لحظة رجولة لا مفر منها.. إنه لم يندم على ما ضاع منه بسببها.. فهو لا يحترف الندم.. ولم يأسف على زواجه منها.. فقد لعب على حصان خاسر.. إن المقامرة على النساء كالمقامرة على الخيول.. غير مضمونة النتائج.. ولا تصدق فيها النبوءات.. «فكل رجل ينتقى فرساً وكل امرأة تنتقى جواداً ولا يربح فى نهاية الشوط سوى النساء».. لكنه.. هذه المرة لن يستمر فى اللعبة.. فقد تحولت زهور الحب الصفراء فى قلبه إلى زهور سوداء.. ولا مفر من صبغها باللون الأحمر.. لون الدم.. دمها.. ودم عشيقها الذى تحتمى به.

كان المشهد مؤسفاً.. فتحت الباب بقطعة صغيرة جداً من الثياب الداخلية.. فى حجم ورقة التوت.. أو ورقة «البوستة».. ولو كان عليها لفتحت الباب عارية.. ليموت غيظاً.. أو قهراً.. أو كمداً.. لكنها.. سترت نفسها احتراماً لعشيقها.. واكتفت بما خرجت به.. وقبل أن يخرج مسدسه.. ويضغط على

الزناد.. خرج عشيقها ليراه.. وبجرأة لا تقبلها السينما المصرية، وتعتبرها خيالاً لا وجود له فى الواقع، صرخ فيه العشيق بوقاحة : «ارم ما فى يدك.. لا داعى للعب الأطفال.. السلاح يطول يا شاطر.. تعال.. ادخل.. كل شىء بالتفاهم.. لو تهورت فإنك ستذهب وراء الشمس.. ولن يعرفوا لك جرة».

العشيق.. مفاجأة.. رجل مخابرات سابق.. ترك الخدمة ليصبح مثله مثل غالبية زملائه.. موظفاً مدنياً كبيراً.. وقد اختاروا له شركة من شركات القطاع العام ليمرح فيها على هواه.. ومنذ اللحظة الأولى التى دخل فيها مكتبه وجد كل من يتعامل معه يبالغ فى احترامه إلى حد الرعب.. والخوف.. وربما الفزع.. وهو ما ضاعف من سطوته وغطرسته وقسوته فى التعامل مع كل من يقع فى طريقه.. فنحن نصنع الشياطين.. ثم نشكوا منها.. نصنع الفراعنة ثم لا نعرف كيف نوقفهم عند حدهم.

إن الناس لا تخشاه فى حد ذاته.. فهو نحيف.. منفر.. لا يتمتع بوسامة.. لا يبتسم.. ليس خفيف الظل.. لا يعرف كيف يدير حواراً.. ليس فيه ما يجذب الانتباه إليه.. لكن.. الناس تخشى تلك القوة السرية الرهيبة التى كان ينتمى إليها.. وهى خشية صنعها تاريخ بعيد- لا أعاده الله- فقد خسرنا بسببه الأرض والعرض.. تاريخ تتربع فوقه أسطورة تسمى صلاح نصر.. أشهر وأشطر رؤساء المخابرات المصرية.. وأكثرهم سوءاً فى استخدام سلطته.. فقد كان باسم الأمن القومى يتجاوز حدود الأمان البشرى.. وباسم حماية السلطة السياسية كان يتجاوز الحدود الإنسانية.. والأصول الأخلاقية.. والاعتبارات العائلية.. إنها قوة السلطة المطلقة الغامضة التى لا يراها أحد.. ولا يحاسبها أحد.. فقد كانت الناس تسمع عنه ولا تراه.. تنسج الخرافات حوله ولا تجرؤ على البوح بها.. وقد كشف جمال عبد الناصر شخصيته ـ دون أن نعرف السبب ـ فى رحلة قام بها إلى الهند.. فصوروه.. ونشروا صورته.. وكتبوا فى صحافة العالم اسمه تحتها.. إلا فى بلادنا.. فنحن كالزوج المخدوع.. آخر من يعلم.

وفى تلك الرحلة زار صلاح نصر معابد الهندوس ووجد على جدرانها تماثيل تجسد العلاقات والأوضاع الجنسية بإباحية مذهلة.. فالهنود الأكثر ميلاً بين سكان الأرض ناحية الجنس.. والأكثر تفنناً فى التعامل معه.. ولفت نظره ما عرف بنظرية التسامى والجنس المقدس.. وهى نظرية تتلخص فى أن يمارس الرهبان والراهبات الجدد الجنس بجنون وجنوح حتى الشبع، ثم يدخلون المعابد بعد ذلك ليشعروا بعمق الخطيئة فيخلصون فى الزهد والعبادة.. إنها النظرية نفسها التى تعاملت بها جماعة الحشاشين القديمة مع فرق الاغتيالات السياسية التى كانوا يستخدمونها للقضاء على خصومهم.. كانوا يضعون الشباب فى أماكن هى مثل الجنة.. جنس.. خمر.. حشيش.. قطوف دانية من الفاكهة.. ثم يغسلون عقولهم.. ويقولون لهم : لو نفذتم مشيئتنا - التى كانوا يقولون أيضا إنها مشيئة الله - سيكون مصيركم الجنة.. وها هى العينة أمام عيونكم.. تذوقوها بحواسكم.. عيشوها حتى التوبة.. حتى الاستشهاد.

وقد كان الانحراف الشخصى وراء نهاية صلاح نصر.. فقد قبض عليه.. وحوكم بعد هزيمة يونية بتهمة انحراف المخابرات العامة.. لكن.. المشهد الذى لا ينساه سكان منطقة العباسية.. مشهده وهو يقف بجسده الضخم المترهل مصاباً بأزمة قلبية فى شرفة مستشفى الطيران وهو يصرخ : «أنا صلاح نصر.. سيقتلونى.. سيقتلونى».. لقد جرب مشاعر الخوف التى زرعها فى النفوس.. لكنها.. مشاعر لم تنته، رغم أن المجتمع تغير والنظام السياسى لم يعد يؤمن بمثل هذه الأساليب البشعة.. بل إن شخصية رئيس المخابرات فى مصر أصبحت شخصية سياسية.. معلنة.. يعرفها الناس.. ويحترمونها.

تاريخ الرعب القريب كان سبباً مباشراً فى الخوف من رجل المخابرات السابق.. وكانت دوائر الخوف متسعة.. ومتتالية.. مثل موجات الماء.. وذبذبات الهواء.. الشركة التى يعمل فيها.. النادى الذى يمارس رياضته فيه.. الحى الذى يسكنه.. وهو ما جعله فى حالة انتفاخ مزمنة لا يطيق فيها حتى نفسه.. وفى هذه الحالة تعرف عليها.. أو بدقة أكثر هى التى تعرفت عليه.

إن هناك نوعاً من النساء تثيره قوة الرجل وسلطته وخشيته وسطوته.. نوعاً من النساء يستسلم دون مقاومة.. بل ويسعى بنفسه إلى الاستسلام.. بل إن المرأة فى هذه الحالة قد تصل إلى ذروة النشوة دون أن يلمسها أحد.. مجرد النظر إلى رجل قوى تريده يكفى.. وهى لم تكن من هذا النوع.. فقد كانت تبحث عما هو أهم من الجنس: الثروة.. الثروة التى تجعلها تحصل على كل ما تريد.. بما فى ذلك إشباع رغباتها.. وقد شعرت للوهلة الأولى بأنها أمام الرجل المناسب لما تريد.. فهو يدير شركة مقاولات عامة.. تتعامل مع مئات المقاولين والموردين من الباطن.. ولو نجحت فى أن تعرف منه أسرار المناقصات فسوف تكسب الملايين دون تعب.. أو مجهود.. ولو لعبت دور الوسيط بين الشركة والمقاولين والموردين لتخليص حساباتهم وشيكاتهم، فإنها ستضاعف من هذه الملايين دون أن تتحرك.. ستحصل عليها بالتليفون.

ولم يكن من الصعب أن تلقى بشباكها حوله.. فهى امرأة مدربة.. وهو رجل مغرور.. فالمرأة المدربة تقنع الرجل المغرور بأنه هو الذى اصطادها.. وبسهولة.. وهو ما حدث.. لكن.. الأهم من السيطرة عليه بالجنس.. أنها سيطرت عليه بما هو أبسط وأخطر وأهم.. سيطرت على كل التفاصيل البسيطة فى حياته.. كان لا يعرف كيف يأكل فى المجتمعات والسهرات فدربته.. علمته كيف يضع الفوطة على صدره.. والفرق بين شوكة السمك وشوكة اللحم.. وما هو النبيذ المناسب لكل طعام.. وكان لا يعرف كيف يختار ثيابه فاختارت له.. وأفهمته كيفية تناسق الألوان.. والعلاقة بين البذلة و«الكرافتة» والحذاء والبرفان.. وكان لا يعرف كيف يتصرف بكياسة فنبهته إلى ما يقول وما لا يقول.. لقد صنعته من جديد.. أصبح أكثر أناقة ولياقة وبراعة فى التعامل مع من حوله من نجوم المجتمع.. ودفعت به إلى مد شبكات سريعة من العلاقات الاجتماعية.. وسهلت ذلك عليه بضمه إلى عضوية ناد من نوادى الروتارى.. الموضة الشائعة التى انتشرت فى مصر وهرع كل من يبحث عن دور إليها.

وفور أن دخلت معه الفراش أول مرة عرفت كل أسراره.. إن الصمت الذى تعلمه وتدرب عليه تلاشى من أول قبلة.. وفتح فمه مع أول لمسة.. وراح يعانى من أمراض الثرثرة بعد أول وصول للذروة.. لكن.. أهم ما كشفته فى ذلك الوقت أنها أمام رجل شديد الفساد.. وفساده ليس مثل فساد صلاح نصر شخصى وإنما هو فساد عصرى.. فساد مالى.. وكما تهور صلاح نصر فيما فعل.. تهور هو أيضا فيما سرق ونهب واختلس وارتشى.. كان شعوره بالقوة يجعله لا يبالى بفداحة ما يفعل وميا يرتكب.. وراح يسجل أرقاماً هائلة فى ممتلكاته.. أربعون فيللا فى الساحل الشمالى والعريش وشرم الشيخ والغردقة يؤجرها باليوم ولا مانع أن يكون إيجارها بالساعة.. ستون شقة فى أماكن مختلفة فى القاهرة والإسكندرية يتاجر فيها.. كان يشتريها برخص التراب مستغلاً ما يوحى به من نفوذ.. وكان يبيعها بسعر الذهب مستغلاً النفوذ نفسه.

وأسعدها أن يكون منحرفاً.. فاسداً.. مكوشاً على ما لا يستحق.. هى تريد ذلك بدقة.. فاسد قوى.. منحرف مهيب.. سلطة وثروة فى كيان واحد.. إن رجال الثروة يبحثون عن رجال السلطة ليأخذوا منهم الحماية.. ورجال السلطة يبحثون عن رجال الثروة ليأخذوا منهم ثمن هذه الحماية.. أما هى فحظها من السماء.. السلطة والثروة معاً فى شخص يمكن السيطرة عليه بالشهوة.

وبسرعة مذهلة عرفت طريقها.. ودورها.. دور السمسار والوسيط بين الشركة والمقاولين والموردين.. ووضعت قائمة أسعار متهاودة وسرعان ما راحت ترفعها.. كانت تحصل على نسبة محددة من كل مليم يخرج من الشركة.. والشركة تعمل بالمليارات.. فتحولت الملاليم إلى ملايين.. وكان نصيبه معروفاً ومحفوظاً.. ثلاثة أرباع الرشوة له والربع لها.. واستمرت الأمور شهوراً وشهوراً لا يعكرها شىء.. سوى الزوج الذى كان يرفض ما يراه ويسمعه عن زوجته حتى حانت لحظة الانتقام منها.. فدخل شقة عشيقها وهو يحمل مسدسه.

كانت رائحة الجنس تفوح من كل شىء: الخمر.. الثياب المخلوعة.. الفراش غير المرتب.. دخان السجائر والحشيش الذى يغطى المكان.. وبفُجْر لم يعهده الزوج راحت زوجته تتمشى عارية إلا من قطعة واحدة.. هل كانت تريد أن تقتله؟.. هل كانت تريد أن يشعر بالإهانة؟.. لقد بدت متأكدة أنه لن يقتلها.. لن يمسها بسوء.. فتصرفت بحرية العاهرات بعيداً عن شرطة الآداب.. أما عشيقها فقد جلس غائصاً فى مقعده رافعاً قدميه فى وجه الزوج ويكلمه بطرف أنفه.

لم يكن أمام الزوج الذى ارتعشت يداه وهو يفكر فى استخدام مسدسه سوى أن يعرض عليها الطلاق ويسألها عما تراه من حقوق مناسبة.. لكنها رفضت أن تحدد ما تريد بنفسها.. وتركت الزوج يفتح المزاد.. نصف مليون.. مليون.. مليون ونصف المليون.. رفضت.. ومالت عليه وهى تقرصه فى خده قائلة : «أريدك أنت يا أغلى من حياتى».. ثم استطردت: «إنت عندى بالدنيا كلها».. وتدخل العشيق الفاجر محذراً: «لا تطلقها من نفسك.. هى لا تريد الطلاق.. تريد أن تبقى فى ظلك.. ولو فكرت فى الطلاق فسوف تجد نفسك معلقاً من رقبتك فى مكان مهجور.. ولن يكون العقاب من نصيبك وحدك.. سيمتد إلى أولادك الذين فضلتهم على زوجتك الشابة.. اشرب من الكأس الذى سقيتها منه».

خرج الزوج يبحث عن مكان مفتوح على النيل يستنشق منه هواءً نقياً.. فكل ما دخل صدره من هواء كان فاسدا.. وكل ما تسلل إلى سمعه من كلام كان فاسدًا.. وكل ما شاهده بعينه كان فاسدًا.. وأكثر من الفساد الفُجر.. والفُجر هنا من نوع خاص.. غير شائع.. لا أحد يملك خبرة التعامل معه.. وفشل هواء النهر الخالد فى تهدئته.. فأخذ طريقه إلى السيدة نفيسة ليصلى ركعتين هناك لعل الله يريحه مما هو فيه.

فى اليوم التالى طلبت منه أن يأخذها إلى حفل فى النادى، وهددته بعشيقها إن لم يحضر فى الميعاد بالضبط.. وفى الحفل كان العشيق حاضراً..

وسلم عليه بحيوية وحماس وكأنهما أصدقاء.. ومنذ ذلك الوقت والثلاثة يظهرون معاً فى كل المناسبات والمجتمعات.. والناس تعرف الحقيقة، لكنهم لا يريدون إحراج الزوج، متصورين أنه آخر من يعلم.. وهو فى الحقيقة أول من يعلم.. وربما هى الحالة الأولى من نوعها أن يكون الزوج أول من يعلم.

وأصيب الزوج بأمراض القهر: ضغط الدم المرتفع.. ضيق الشرايين.. سرعة الغضب.. الحزن.. الرغبة فى الانتحار.. لكنه.. لم يكن يشكو.. أو لا يقدر على أن يشكو.. بل إنه عندما أجبره الأطباء على أن يوضع تحت رعاية صحية مكثفة استأذن زوجته وعشيقها فى دخول المستشفى.. وفى الليلة الأولى أخذ حقنة منومة وراح فى سبات استمر ساعات طويلة، كان لا يريد أن يفيق منه.. فليس أمامه سوى السعادة الكيميائية.. السعادة بالأقراص الصغيرة.. المريحة.

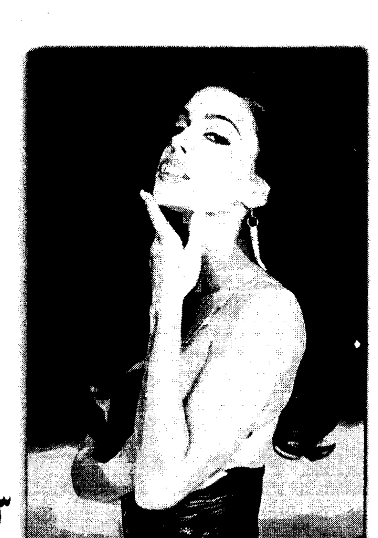
ذات مساء دخل عليه أكبر أبنائه وهو يقدم كلمة ويؤخر كلمة.. ويحمل فى يده زهوراً وحلوى وجريدة.. وشعر الرجل أن شيئاً ما يجب أن يعرفه.. وبصعوبة تكلم الابن.. كشف عن خبر تصور أنه سيكون مؤلماً.. لقد قبض على زوجته هى وعشيقها فى قضية رشوة.. سجلوا لها مكالمات عديدة، طلبت فيها الرشوة نيابة عن رجل المخابرات السابق المنحرف.. وقفز الرجل من فراشه كالحصان الجامح وهو يبكى ويشكر الله على أنه أنصفه.. وعاقب كل من قهره وظلمه.

وبدأت الصحف تكتب عن القضية.. وتنشر تسجيلاتها.. وأسرارها.. وتروى قصص أبطالها.. لكن.. لا أحد عرف الحقيقة.. الخفية.. فقد تصور الناس أنها حكاية أخرى من حكايات الفساد المملة.. فلم ينتبهوا إليها.. إلا مجموعة من المهندسين الشبان فى شركة ضابط المخابرات المنحرف.. أصروا على نشر ما يعرفون.. بل وكونوا تنظيماً سرياً كى يمول الصحف بالخفايا والوثائق.. لقد زهق المصريون من التنظيمات الشرعية التى لا تأتى لهم بحقوقهم بل وتعاقبهم لو طالبوا بها، فكونوا تنظيمات سرية على طريقة ضباط ثورة ٢٣ يوليو قبل أكثر من نصف قرن.. أكثر من ذلك حملت هذه التنظيمات الاسم نفسه:

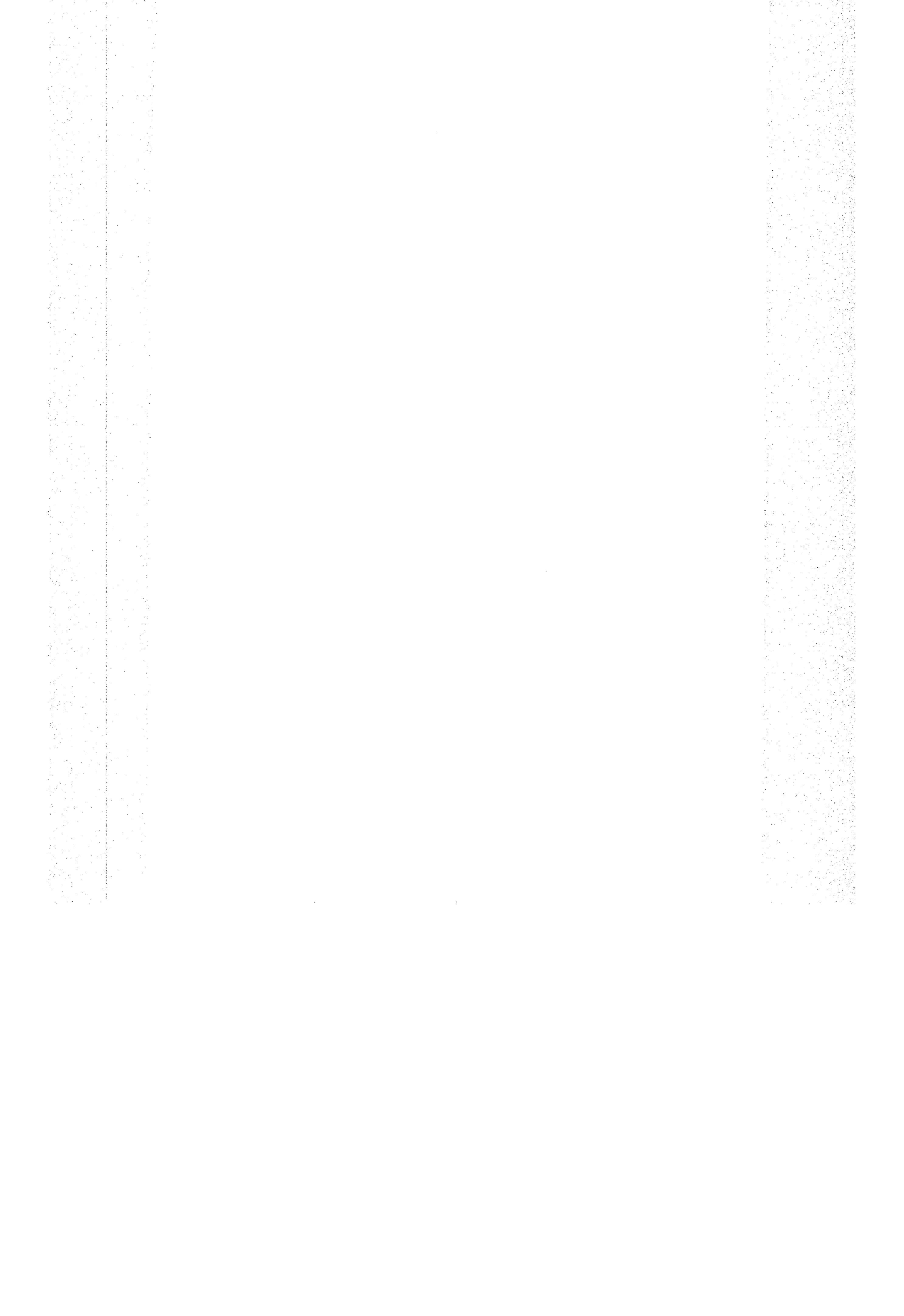
«المهندسون الأحرار».. «الصحفيون الأحرار».

لقد أدرك هؤلاء المهندسون الشبان أن القوة التى يظهر بها رجل المخابرات السابق هى قوة وهمية.. قوة لا وجود لها إلا فى عقولهم ونفوسهم.. ويجب التحرر منها.. إن ضعف الضحية يضاعف من قوة الأعداء عليها.. واستسلامها يزيد من رغبة افتراسها.. وقد لعب الرجل المنحرف على تلك الأوتار.. وعزف عليها.. بل وراح يهدد ويتوعد كل من يتناول سيرته وينشر عنها.. لكن.. كل هذه التهديدات طاشت فى الهواء.. فلا نحن فى عصر معتقلات المخابرات.. ولا نحن لا نزال ننتظر زوار الفجر.. وفاحت الرائحة العفنة.. وزكمت أنوف الشخصيات المؤثرة التى يهمها الأمر.. وطلبت منه أن يستريح قليلا فى بيته.. وآلا يعود إلى مكتبه إلا عندما يطلبون منه ذلك.

أما عشيقته.. فقد قبض عليها وسجنت مؤقتاً على ذمة القضية.. لكن.. بعد أن انتهت التحقيقات لم يوجه إليها اتهام.. الاتهام يجر آخرين معه لا يجوز أن يكونوا فى السجن مهما تكن درجة تورطهم.. وفى هذه الحالة يكون هناك نوعان من العقاب: عقاب من هم أعلى.. وعقاب السماء. أما عقاب من هم أعلى فقد كان طرد رجل المخابرات المنحرف من الخدمة.. أما عقاب السماء فقد كان مذهلاً.. إصابته بسرطان فى البروستاتا وإصابة عشيقته بسرطان فى الرحم.



# ٣-بنات البيزنس



3

## هذا لم يعد جسدي يا طويل العمر!

هى امرأة صعبة جداً.. لا يمكن وصفها بالعصفور.. العصفور يحط على شجرة أو على نافذة أو على كتف رجل، ويطلب منه القبض عليه.. وهى لا تقبل أن يقبض عليها أحد.. ولا يمكن وصفها بالغزال.. الغزال يرقص أمام الصياد رقصة الموت ولا يرى البارود فى يديه ولا يعرف أنه سيقتله.. وهى تعودت أن تقتل وتذبح وتعتقل وتنفى.. ولا يمكن وصفها بالفراشة.. الفراشة تطير أمام الرجال فى الهواء الطلق وتقول لهم أمسكونى.. وهى بحكم سلطانها وسطوتها وجبروتها لا تسمح لأحد أن يتجرأ ويمسك بها.

لكن.. يمكن وصفها بالسمكة.. فالسمكة تأتى إلى الشبكة عندما تريد.. وتأمر بتمزيقها متى تريد.. ولا صياد واحد استطاع أن يقول لك كيف أتت إليه.. ولا كيف سبحت فى فراشه، بعد أن تحول الفراش بقرار منها إلى محيط يصعب إدراك نهايته.. وربما كان وصفها بأنها مثل رجل المخابرات هو الوصف القريب من الدقة.. فهى لا تعطى عنوانها لأحد.. ولا تظهر فى مكان واحد مرتين.. ولا تلبس الثياب ذاتها.. ولا تنزل فى الفندق نفسه.. ولا تترك بصماتها على جسد رجل عرفته وعاشرته وسحقته.

لقد ولدت وفى فمها دستة ملاعق من ذهب وفضة وماس وبلاتين.. ومنذ أن بكت وصرخت وهى تواجه الدنيا أول مرة حتى وجدت نفسها غارقة فى

الحرير والبخور والريش.. وقبل أن تعرف كيف تنطق وتأمر وتشخط كان مئات من العبيد والجوارى ينحنون ويسجدون ويطيعون.. فرنسية للتربية.. هندية للتدليل.. مصرية للتعليم.. تايلاندية للتسلية.. إيطالية للاستحمام .. وعشرات من الخصى من جنسيات مختلفة تبدأ من أوكرانيا وأرمينيا وتنتهى فى الصومال والسنغال وجنوب السودان.

والخصى هو ذلك الفتى الذى ينزعون عنه أعضاء الحياة التناسلية ليكون حارسا أمينا على الحريم فى قصور الأمراء والسلاطين.. وقبل فنون الجراحة الدقيقة والبارعة كانوا يذبحون تلك الأعضاء ويصبون مكانها أنواعاً من الزيوت مع أوراق شجر معينة، كى تسارع بتطهير الجرح حتى لا يتلوث ويموت صاحبه بالحمى.. وفى ذلك الوقت كان ينجو خصى واحد من بين كل عشرة يتعرضون لذلك المصير المؤلم والمؤسف.

وقد كانت فى طفولتها تتسلل إلى المكان البعيد المهجور فى قصر أبيها، كى تشاهد، وهى مختبئة، مثل هذه العمليات التى اخترعها الحكام الأتراك فى استنبول قبل أن تنتشر فى قصور أمراء الخليج.. ومنهم أبوها الذى ينتمى إلى قبيلة كبيرة وثرية من قبائلهم البدوية. والغريب أنها لم تشعر بالفزع أو الاشمئزاز مما كانت ترى.. بل على العكس كانت تستمتع به.. وكان لا يفوتها مراقبة العملاق الأسود المسئول عن الإخصاء، كى لا تفوتها مجزرة من تلك المجازر، التى كانت تعتبرها حفلة مثيرة لا يجوز أن تفوتها.

ولا طبيب نفسياً واحداً يستطيع أن يربط بين استمتاعها بمشاهدة الرجال وهم يفقدون أعضاءهم التناسلية وخناجرهم الجنسية وبين نظرية سيجموند فرويد - عالم النفس الكبير الذى ربط كل سلوكياتنا بالكبت الجنسى - عن شعور المرأة بالدونية، لأن بظرها هو عضو تناسلى ناقص وضعيف إذا ما قورن بالعضو التناسلى للرجل.. ولكن.. لا محلل نفسياً واحداً يمكن أن يهتم بذلك الربط.. فقد كانت لا تصل إلى ذروة اللذة إلا إذا كانت تشعر بضعف الرجل الذى ينام فى فراشها.. وكلما عانت فى الوصول إلى ما تتمناه المرأة فى تلك

اللحظة، راحت تسب الرجل وتشتمه وتبصق فى وجهه وتلعن عائلته كلها فرداً فرداً.. وربما كان ذلك سر شهرتها فى تفضيل الخدم والعبيد والسائقين على الأمراء والشيوخ والوجهاء.. كانت لا تمارس الجنس بالشوكة والسكينة، وإنما تمارسه بأظافرها وأنيابها.. لم تكن تأكل.. كانت تهوى الرمرمة.. لم تكن تختار من بوتيك أو سوبر ماركت وإنما من صفيحة الزبالة.

وهى لا تتذكر أنها شعرت بمتعة ولو عابرة مع زوجها.. إنه ابن عمها.. وواحد من سادة الإمارة الذين يعدون على أصابع اليد الواحدة.. وربما أصبح حاكماً عليها فى يوم من الأيام.. لكنها.. لم تكن تحبه.. ولم تشعر برجولته.. كان بالنسبة إليها كتلة من الشحم واللحم، لا تتصرف برشاقة وإنما ترتج وتهتز كلما اقتربت منها.. ولم تكن لتجرؤ على أن تأخذ راحتها معه.. فزمار الحى لا يطرب.. وإن كانت فى الوقت نفسه لم تكن تحسب حسابه وهى تصطاد الرجال من الشوارع.. وتحصل عليهم أحيانا بطلب تليفونات عشوائية.. وفى مجتمعات من هذه العينة، يعيش فيها مهاجرون من كل أنحاء الدنيا بمفردهم بحثا عن الثروة، لا يصعب عليها أن تجد فى خدمة جسدها السامى بالنسب الغبى بالطبيعة طوابير من الرجال الجاهزين لمضاجعة قطيع من الجاموس البرى.. والفتك به.

وهى تتجاوز زوجها رغم كل سلطانه وقوته، لسبب بسيط هو أنها أكثر ثراءً وأعمق أصولاً منه.. فهى تملك بنوكاً وشركات مقاولات وحقول نفط وتوكيلات تجارية هائلة ومتنوعة.. بينما هو من أم كانت جارية عند أبيه وتزوجها بعد أن أنجبته- كما هو العرف فى علاقة السادة بالعبيد.

لكن.. ذلك الشاب المصرى الذى اصطادته من ملهى ليلى فى بيروت، لم يكن من ذلك الطراز الجاهز لبيع جسده مثل العاهرات.. كان يؤمن أن المرأة مثل كل شىء حى.. لو عاملتها كزهرة نثرت عليك عطرها.. ولو عاملتها كذبيحة طرطشت عليك دماءها.. بل كان يعتبر المرأة والوطن شيئاً واحداً.. من يحب امرأة يسكن وطنها.. ومن يفشل فى حبها يهاجر بحثاً عن وطن آخر.. أو

بحثاً عن امرأة أخرى.. والحقيقة أنه فقد وطنه وحبه فى وقت واحد.. لقد رفضت عائلة الفتاة التى أحبها أن تزوجها له.. أوقعه قلبه سيئ الحظ فى فتاة تنتمى لعائلة الزعيم الوفدى فؤاد سراج الدين.. ولم تكن المشكلة بينه وبينها مشكلة مهر وشبكة وشقة، وإنما مشكلة من نوع آخر لم يحسب حسابه.. مشكلة جمال عبد الناصر.. فهو ناصرى.. متحمس لثورة يوليو.. ويدافع عن زعيمها رغم هزيمته فى حرب يونية.. وكان ذلك كفيلاً برفضه من عائلة فتاته.. إن الحب ليس كائناً عاطفياً فقط وإنما هو كائن سياسى أيضا.. والحب فى تلك الأيام كان يؤمن بالقومية العربية والعدالة الاجتماعية وحركات التحرر الوطنى ويعادى الدولة الصهيونية.. كان حباً ثورياً.

لكن.. المفاجأة أنه فى الوقت نفسه الذى رفضته فيه عائلة حبيبته الوفدية فوجئ بالنظام الناصرى يرفضه.. ويطارده.. لقد شارك فى مظاهرات فبراير ١٩٦٨ التى اشتعلت فى جامعات مصر احتجاجا على الأحكام الهزيلة التى نالها قادة الهزيمة.. وقد انتهت انتفاضة الطلبة بحركة سياسية غاضبة حركت الدماء فى الشرايين الميتة.. لكن.. سرعان ما عادت الأمور إلى ما هى عليه.. ولم يبق مما جرى سوى علامات سوداء وحمراء فى ملفات الأمن السياسى عن الذين قادوا المظاهرات وشاركوا فيها.. وكان هو واحداً منهم.. وقد تخرج بعد أقل من عام بتفوق وانتظر تعيينه معيداً فى كلية الهندسة.. لكنهم.. أخرجوا له صورة فى المظاهرات كانت كفيلة بحرمانه مما يستحق.. خافوا على الطلبة منه.. إن الأمن السياسى -مع الأسف- هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة فى اختيار هيئات التدريس.. من المعيد إلى العميد.

ورغم أنه كان وحيد أسرته ومعفى قانوناً من التجنيد إلا أنه أصر على تقديم نفسه ليشارك فى تحرير الأرض التى أغتصبت فى سيناء.. ودخل الجيش بإرادته.. وتصور أنهم سيحملونه إلى الجبهة مباشرة.. لكن.. ذلك لم يحدث.. بل ما حدث هو أنه تشاجر مع رتب صغيرة تتولى شئوناً كبيرة وحوكم

أمام محكمة عسكرية ودخل السجن عدة أسابيع، وبعد أن خرج سرحوه وعاد إلى حياته المدنية أكثر إحباطاً.

لم يكن أمامه سوى أن يقبل وظيفة متواضعة فى شركة مقاولات صغيرة وخاصة.. لكنه.. سرعان ما شعر بالإهانة من صاحبها وهو يطلب منه أن يذهب إلى تاجر مخدرات الحى ويشترى منه قطعة حشيش.. وما زاد الطين بلة أن صاحب الشركة كان يغش فى خلطة الأسمنت.. ويهدد المبانى التى يشيدها بالانهيار.. وعندما واجهه بما يفعل طلب منه أن يريه عرض كتفيه.. وبالفعل ترك الشركة.. لكن.. بعد أن حصل على ما تبقى من حقوقه بطريقة لا تخلو من الانتقام.. سرق منها بعض أدوات الرسم الهندسى الدقيقة والغالية.. وتنازل عنها لأحد أصحابه مقابل خمسين جنيهاً.. أخذها وذهب إلى أقرب شركة طيران وسأل عن البلد الذى يمكنه السفر إليه بخمسين جنيهاً.. وكانت الإجابة لبنان ويتبقى لك عشرون جنيهاً.. وهكذا وصل إلى بيروت.

بيروت مدينة ساحرة.. تؤمن بعدالة توزيع المتعة على البشر.. لا يجوز لشخص واحد فيها أن يحتكر كل الطعام وكل النساء وكل أنواع المزاج.. لابد من توزيع عادل لمباهج الحياة مهما تكن الظروف.. لقد كان المقاتلون فى سنوات الحرب الأهلية يتفقون فيما بينهم على هدنة فى الأعياد، كى يسهروا ويمرحوا ليعودوا بعد ذلك للذبح والقتل، ليقول كل واحد منهم لعدوه:"قوص".. أى اضرب النار.

وقد كان من الصعب عليه أن يجد وظيفة مناسبة لتخصصه.. لكن.. من فى لبنان يفكر فى تخصصه؟.. فى لبنان الوظيفة المناسبة هى الوظيفة التى تحقق أكبر عائد لصاحبها.. فالطبقات الاجتماعية والأرستقراطية هناك طبقات مالية وطائفية وليست ثقافية أو اجتماعية.. والأهم أن المجتمع لا يرفض ولا يعترض.. فالقواد يمكن أن يكون وزيراً.. والوزير يمكن أن يترك الحكومة ليفتح ملهى ليلياً.. والمهندس مثله يمكن أن يملك نصف شارع الحمراء إذا ما بدأ من الصفر.. جرسوناً فى مطعم.. أو تاجر عملة على الرصيف.. مثلاً.

لم تكن أمامه سوى تلك الفرصة.. العمل فى كباريه.. بل لم يكن أمامه سوى العمل فى وردية الليل.. ينام بالنهار.. ويسهر حتى شروق الشمس.. لكنه.. كان سعيداً.. يأكل ويشرب ويعرف فتاة من المحل كل يوم ويحصل على بقشيش يرسله إلى أسرته التى تعيش فى شارع السد.. السيدة زينب.. ومعه خطاب يشرح فيه بإسهاب مهمته القومية المقدسة لتعليم طلبة وطلبات الجامعة مما فتح الله به عليه من علوم هندسية.. وكانت الردود على خطاباته تحمل إليه دعوات أمه بالستر والتوفيق وتنصحه بالالتزام بكتاب الله وسنة رسوله.. والابتعاد عن الحرام حتى يبارك له الله فى عمله.

فى تلك الليلة لم يكن فى الكباريه شىء واحد معتاد.. كل شىء كان غريباً عليه.. فهم يغسلون الأرضيات والجدران والأسقف.. ويغيرون فرش المقاعد والمناضد.. ويطمئنون على لمبات الإضاءة.. وأجهزة الصوت.. ولكن.. ما كان لافتاً لنظره هو أنهم أزالوا كل إعلانات الراقصات واستبدلوها بإعلانات عن فرقة استعراضية، كلها شباب متشابهون وكأنهم قالب واحد.. كما أن كل فتيات الخدمة والمتعة اختفين تماماً.. كل ما فى المكان أصبح من الجنس الخشن.. فقد كانت هى تلك الزبونة الوحيدة فى هذه الليلة.. أغلقت المكان عليها هى وجواريها ووصيفاتها.

فى نهاية السهرة، كانت هناك مفاجأة من العيار الثقيل.. وقف كل رجل كان فى الكباريه أمام صاحبة السمو على المسرح القريب منها.. وتصور أن ذلك من باب الأدب لتحيتها على طريقة العروض المسرحية والموسيقية.. لكن.. مدير الصالة طلب منهم أن يتعروا على طريقة «الاستربتيز»: قطعة.. قطعة، مقابل ألف دولار لكل رجل.. على أن يفوز الأفضل والأقوى وصاحب الحظ والنصيب بعشرة آلاف دولار.. وقد كان لكل منهم رقم.. وكأنهم فى سحب «تمبولا».. أو يانصيب.. وأسقط فى يده.. هل يلعب تلك اللعبة السخيفة المهينة ويبقى على لقمة عيشه فى المكان بكل ما فيها من مميزات.. وشهوات.. أم يضرب بها عرض الحائط وينسحب من ذلك الاستعراض الذى يذكره بما يجرى فى سوق

النخاسة الغريب والذى تحول فيه الرجال إلى بضاعة أمام عيون امرأة واحدة؟!.. ودون تردد انسحب من فوق خشبة المسرح.. وحاول الخروج من الباب الخلفى للملهى.. لكن.. منعته فرقة الحراسة المدرعة.. المرافقة للأميرة.. فلم يملك سوى أن يسب كل شىء فى الحياة: بلاده.. وحياته.. والأميرة.. صاحب المكان. لقد فقد أعصابه وكأنه فتاة عذراء يحملونها إلى وليمة اغتصاب.

قامت القيامة فى الكباريه.. وارتبك العرض.. وفقدت الفرقة الاستعراضية تماسكها.. وقامت الأميرة من مكانها غاضبة.. واتجهت إليه.. ودون تردد صفعته على وجهه.. ودون تردد رد إليها الصفعة.. ورغم أن رجالها تكالبوا عليه وكادوا أن يقتلوه ضرباً، فإنها فى تلك اللحظة شعرت أن هناك شيئاً غريباً حدث فى كيانها.. لأول مرة شعرت بالخوف.. لأول مرة شعرت باحترام رجل.. وأمرت الحراس بتركه.. واقتربت منه.. وهمست فى أذنه بصوت ناعم ترجوه أن يتناول العشاء معها، بمفردهما، فى قصرها المبنى بجانب بيت فيروز فى الجبل.. ولم يجد مبرراً للرفض.. بل إنه شعر بشىء ما هو أيضا جعله يقترب منها.. إنها ليست جميلة.. لكنها جذابة.. أو هكذا وجدها فى عينيه فى تلك الليلة.

لم يكن من الصعب أن ينفرد بجسدها.. فكل منهما كان يريد الآخر.. إنها لحظة التفاعل الكيميائى التى يتحدثون عنها.. لكنه.. فوجئ بأنها لا تفهم فى المتعة.. إن جسدها جسد أمى.. جسد لا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم ولا يستجيب بسهولة.. جسد فى حاجة لأن يتعلم.. أن يمحو أميته.. أن يجعله ينطق بالشهوة.. والرغبة.. ويعبر عن نفسه باللذة.. جسد يجب أن يستسلم لمعلم.. خبير.. يجيد فك الشفرات.. ونقل الخبرات.. والتحدث بمختلف اللغات.. وفى تلك الليلة شعرت أنها امرأة ضعيفة مرغوبة فى كنف رجل لا يعرف العبودية.. وكان أن بدأت تحبه.. إن بذرة الحب تبدأ بنظرة.. وبذرة الجنس تبدأ بقبلة.. وبذرة الحياة تبدأ بلمسة.. وقد وضع كل هذه البذور وغيرها فى تربتها.. فى رحمها.

كأنه أمسك بمصباح علاء الدين.. كأنه عثر على خاتم سليمان.. كأنه سخر الجن والإنس فى خدمته.. فقد دعته للعمل فى بلادها.. وسلمته كل حالها ومالها.. وعرف كل أصحاب القوة هناك بأن «سره باتع».. وسحره ناجح.. فجاءوا يعرضون عليه مشاريعهم الهندسية.. وغير الهندسية.. وكان على رأس هؤلاء المسئولون عن القصور الرسمية.. بما فى ذلك قصرها.. وبدأ نجمه فى الانفجار.. وتناثرت شهرته فى كل مكان.

ذات يوم كان يمر على قصرها ليرى كيف تجرى فيه الانقلابات والديكورات التى قررها هناك.. لكنه فوجئ بأن مساعديه غيروا كل ما أمر به من ألوان.. وعرف منهم أنها هى التى أمرتهم بذلك.. فكان أن أعاد الألوان التى اختارها فى البداية.. وهددهم بالطرد إذا كسروا أوامره مرة أخرى.. وتوقع مساعدوه أن يكون الطرد من نصيبه هو شخصياً.. فقد تعود أثرياء وأمراء تلك البلاد على أن يأتوا بالخبراء ويطلبوا منهم تنفيذ أفضل ما فى العالم من ذوق وجمال ثم يتدخلوا بطريقة سيئة ليثبتوا أنهم أرفع ذوقاً وأكثر فهماً من الدنيا كلها.. هى عقدة شهيرة هناك.. يندر أن ينجو أحد منها.. ولا يهم حجم الأموال التى تكلفهم.. فأرخص سلعة بالنسبة لهم هى الفلوس.. إنها مجرد أوراق مطبوعة ملونة بالنسبة لهم فقدت الكثير من قيمتها.

فوجئ مساعدوه بأنها وافقت على ما أمر به.. لقد أصبحت ترى الدنيا بعينيه.. وتشم رائحتها بأنفه.. وتلمسها بأطراف أصابعه.. وكبرت الثروة فى كف يده.. إنه مهندس موهوب.. شاطر.. جرئ.. لكن.. ذلك لم يكن ليكفى كى يحظى بكل ما حظى به.. كانت الموهبة فى حاجة إلى فرصة.. والفرصة كانت قابعة فى أعماق امرأة قوية متسلطة.. وقد أخرجت موهبته إلى النور.. وفعل هو الشىء نفسه مع ما كانت تحلم به.. المتعة التى تتحول بعدها إلى قطة سيامية تتكور فى حجر رجل تحبه.. لم تعد ملكة نحل.. تقتل.. وتضرب.. وتسب الرجل بعد أن تنال منه ما تريد.. أصبحت امرأة طبيعية.. والمرأة الطبيعية هى التى تحترم جسدها.. وتعطيه للرجل الذى يستحقه.. لا للرجل

الذى يطعم رغباتها حبات اللذة، ولو كانت هذه الحبات جمرات نار تشويها وتؤذيها وتجعلها تحتقر نفسها فيما بعد.

لقد غسل أنفاسها من رائحة الكارى التى تركها كل الخدم الباكستانيين الذين ضاجعوها.. وكل رائحة الملوخية والتقلية التى تركها كل السائقين المصريين الذى قادوا جسدها إلى الهاوية.. وكل رائحة البخور الكثيف التى تركها كل الهنود الذين كانوا يعملون فى شركاتها المتعددة.. أزال كل الأنفاس الثقيلة والكريهة التى كانت تكتم على صدرها.. وجعلها تشم رائحة الحب.. عطور من الفل والياسمين والنعناع والورد البلدى والتمرحنا.

لكن.. الوجه الآخر للحب.. الغيرة.. الغيرة القاتلة.. والغيرة شعور بعدم الثقة ممزوج بخوف من فقد ما نملك.. وهو مرض نفسى لم يتوصلوا إلى علاجه.. وينتهى بأصحابه إلى الجنون بدرجات متفاوتة.. حاول أن يزور أسرته فى القاهرة.. حجز تذكرة طائرة.. وركب سيارته إلى المطار.. ودخل صالة الركاب.. وحصل على بطاقة صعود الطائرة.. وجلس على مقعده.. وربط الحزام.. وأغلقوا باب الطائرة.. وأغمض عينيه غير مصدق أنه سيرى وطنه من جديد.. سيرى ما حدث له من تغيرات بعد وفاة الزعيم الذى أحبه رغم كل ما فعله به.. جمال عبد الناصر.. سرح بعيداً.. وهبط مطار القاهرة قبل أن تقلع الطائرة.. لكن.. فجأة فتح الباب.. ودخل ضابط كبير من ضباط المطار.. وطلب منه أن يرافقه إلى مكتبه.. فهناك بعض الإجراءات يجب استكمالها.. وفهم أنها وراء قرار منعه من السفر.. وتحديد إقامته.. إنها الدولة عندما يجرى تلخيصها فى أسرة.. ثم تلخيص الأسرة فى شخص واحد.. ولو كان امرأة.

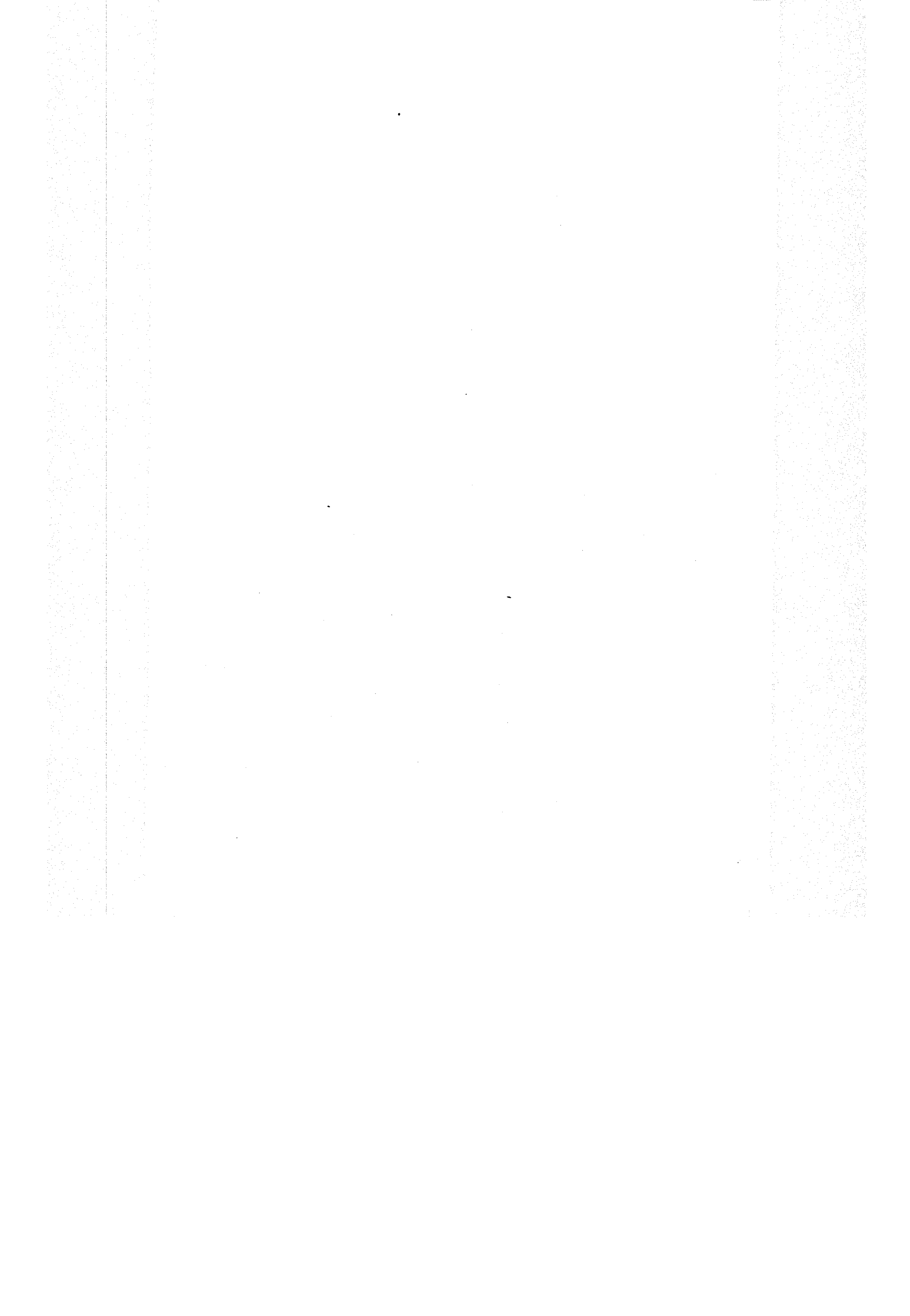
فى تلك اللحظة عرف أن مصيره معلق بكلمة واحدة منها.. وفى تلك اللحظة عرفت أن علاقته بها معلقة بما سيخرج به من أموال.. لو شبع سيتركها ويرحل.. سيبحث عن امرأة أخرى.. سيتركها جسداً ساخناً فى بلاد ساخنة.. جسداً متوتراً فى بلاد غير مستقرة.. وأرسلت له سراً من يقنعه باستثمار أمواله بتأسيس شركة «أوف شور» فى جزر البهاما معفاة من

الضرائب بفائدة لا تحققها بنوك أخرى.. إن شركات «الأوف شور» شركات غسيل أموال.. وشركات تهريب أموال.. لجأ إليها زعماء الإرهاب وتجار المخدرات والسلاح والحكام الفاسدون وبعض مشاهير المطربين العرب.. ونجح الوسيط فى إقناعه بأن يضع ملايين الدولارات التى كسبها فى تلك الشركة.. فقد كان هذا الوسيط من أشطر المستثمرين فى أسواق المال والبورصات.. وابتلع الطعم.. وشعر بالتحرر منها.. وسعى للهرب من جديد.. وخرج من المطار دون أن يوقفه أحد.. وعاد إلى القاهرة ليستعد لبدء حياته الجديدة.. لكن.. قبل أن ينام رن جرس التليفون فى حجرته بالفندق الذى نزل فيه.. كانت هى على الطرف الآخر.. لم يتعجب.. فهى قادرة على أن تفعل ما تشاء.. وتصل إلى ما تشاء.. حمدت الله على سلامته.. شكرها.. سألته: هل سيعود إليها من جديد؟.. لم يرد.. فهمت الإجابة.. سألته: هل ستلقاه فى أى مكان فى العالم؟.. لم يرد.. فهمت الإجابة.. سألته: هل يعرف حجم أمواله فى جزر البهاما؟.. أسقط فى يده.. ضحكت ضحكة ساخرة.. وكشفت سر ما فعلت به.. ابتسم فى هدوء.. وهو يقول:"كنت أعلم إنك ستفعلين ذلك".. قالت:"تعود إليك أموالك لو عدت من جديد إلى حياتى".. قال:"لم أعد أطيقك".. قالت:"ضاع عرق جسدك دون مقابل".. لم يرد.. وأغلق السماعة فى وجهها.

فى حى الدقى.. وبالقرب من نادى الصيد.. هناك عمارة كبيرة وأنيقة تضم مكتباً هندسياً شهيراً.. عليه لافتة تحمل اسمه.. لقد استرد أمواله بعد أيام قليلة من تحويلها إلى شركة «الأوف شور».. باع ما يملك لزوجها الذى قرر لم الفضيحة بعد أن فاحت.. حصل على ضعف ما خرج به من أموال.. حولها إلى القاهرة ليضعها فى شركة مقاولات أصبحت فى سنوات قليلة على القمة.. وهو ما أدهش صاحبة السمو.. وأثار تعجبها.. كيف نجح بهذه السهولة وقد أخرجته من بلادها على الحديدة؟.. وأغلب الظن أنها لا تزال تسأل السؤال نفسه بعد مرور أكثر من عشرين سنة.. أما هو فقد رفض أن يجيب عن السؤال الذى طارده طوال تلك السنوات: كيف كانت هذه الأميرة فى الفراش؟



# ٤- بنات البيزنس



## 4

## صاحبة الجلالة تمارس الجنس
## والسحر الأسود مع شاب مصرى فى بيت عجوز الموساد

فى مثل هذا المكان، يشرب الرجال ولا يسكرون.. تمر أمامهم أجمل النساء ولا يلتفتون.. يقرصهم الجوع ولا يأكلون.. يشعرون بضرورة أن يقضوا حاجاتهم ولا يذهبون.. يخربون بيوتهم بأيديهم ويستمرون.. وفى ثوانٍ معدودة يفرحون ويحزنون.. يرتفعون ويسقطون.. يتوترون ويهدأون.. يموتون ويحيون.

كازينو قمار «الراندفو»، الملاصق لفندق هيلتون لندن القريب من أكسفورد ستريت.. واحد من هذه الأماكن التى يقيم فيها الشيطان إقامة كاملة.. مثله مثل كازينوهات القمار الأخرى فى بريطانيا التى يسمونها أندية مغلقة.. الدخول فيه ببطاقة عضوية.. على غير كازينوهات القمار الأمريكية فى مدينة لاس فيجاس.. فهى مفتوحة بلا بوابة.. واللعب فيها يبدأ بـ«الفكة» دون أن تعرف كيف سينتهى؟

وفى كازينو الراندفو ـ مثل باقى كازينوهات القمار ـ لا يشعر المقامر بالملل ولا بمرور الوقت.. وتساعد إدارة الكازينو على ذلك بضخ جرعات من الأكسجين عبر فتحات أجهزة تكييف الهواء.. فيظل منتعشا مهما طالت ساعات بقائه.. كما أن إدارة الكازينو تحافظ على وجود إضاءة صفراء دائمة فى الليل والنهار.. فلا يشعر المقامر بليل جاء ولا نهار ذهب.. وهى تقدم الطعام والشراب مجاناً لزبونها.. وتوصل له ما يريد إلى مكانه.. ما عدا الحمام.. فهى تعرف جيدا أن المقامر لا يريد أن يتحرك.. وأن كل ما يحلم به

أن تأتى له ورقة الكوتشينة المناسبة للفوز فى لعبة البلاك جاك.. أو تقف كرة الروليت عند الرقم الذى يضع عليه فيشات الرهان.. وفيشات الرهان هى عملة من البلاستيك عليها قيمتها، يجرى اللعب بها بعد شرائها من الخزينة.. ثم تجرى إعادتها إلى نقود إذا بقيت فى يد صاحبها.

والمقامر المدمن لا يهمه أن يكسب أو يخسر.. يهمه أن يستمر فى اللعب.. أن يواصل المقامرة.. فلو كسب سعى إلى مضاعفة مكسبه.. ولو خسر سعى إلى تعويض خسارته.. والمتعة الحقيقية ليست فى المكسب والخسارة، وإنما فى شعوره بالتوتر والإثارة.. وفى سبيل البقاء على مائدة القمار يمكن أن يفعل المقامر أى شىء للحصول على المال.. يكتب شيكات دون رصيد، قد تنتهى به إلى السجن.. يقترض ما يريد من مال بسعر فائدة مجحف.. يبيع سيارته أو ساعته أو زوجته.

والمقامر أكثر خلق الله تفاؤلاً وتشاؤماً فى ثوان معدودة.. لو ابتسمت فى وجهه امرأة قبيحة وكسب فهى أجمل نساء الأرض.. ولو ابتسمت فى وجهه امرأة جميلة وخسر فهى أكثر نساء الأرض دمامة.. ولو خسر أكثر من اللازم أمام موظف الكازينو الذى يلاعبه (الديلار) كان له الحق فى تغييره.. وهناك كاميرات تراقب كل ما يحدث.. وهى الحكم بين اللاعب والكازينو إذا ما اختلفا.. والحكمة الشائعة هناك: غيَّر مكانك تغيِّر حظك.. لكن.. النصيحة الغالية التى لا يعمل بها أحد: اخرج حالاً من الكازينو.. فمهما كنت خاسراً ستكون هذه الخسارة أقل من خسارتك القادمة لو بقيت فى مكانك.

ولحظة القمار هى إحدى اللحظات الدقيقة التى تكشف الشخصية.. مثلها مثل طريقة ممارسة الجنس.. وأسلوب قيادة السيارة.. فهناك من يسب إذا خسر.. وهناك من يقبل «الديلار» إذا كسب.. وهناك ما لا تعرف مشاعره إذا ما كسب أو خسر.. وهو الذى يصفونه بـ«البوكر فيس».. وجه لاعب «البوكر» الذى لا تستطيع أن تقرأ أعماقه من ملامحه.. ففى كل الأحوال هى جامدة.. صامتة.. لا تشى بشىء.

لم تكن أمينة جبار «بوكر فيس».. بل كانت وجهاً جميلاً.. مميزاً.. جذاباً.. يتورط فيه أكثر الرجال خبرة.. وحنكة.. وجرأة.. وكانت ملامحها الآسيوية تضاعف من انتباه الناس إليها.. وتجعل جمالها نادراً.. وفى عصر يستمتع فيه الناس بالأرز الصينى والكارى الهندى والسوشى اليابانى والمساج الفلبينى لم يكن صعباً أن يمشى الرجال وراءها بحماس وكأنهم فى مظاهرة شبق جنسى.

لقد كانت ملكة جمال فى بلادها الصغيرة الغنية بسبب النفط.. ورشحها ذلك، لأن تكون مضيفة على الطائرة الخاصة للحاكم الذى يوصف بأنه واحد من أغنى الأغنياء فى العالم.. وكان طبيعياً أن يتزوجها على سنة الله ورسوله.. فهو مسلم فى إمارة مختفية عن الأنظار.. ولا يهوى الحرام.. ويملك كل الفرص للحصول على المرأة التى يشتهيها بالزواج والطلاق ودفع مقدم ومؤخر الصداق.. بالملايين.. إن الفتاة التى تتزوجه لليلة واحدة تصبح من أصحاب الثروات.. إنه استثمار لا يوجد مثيل له فى البورصات.. وتجارة المخدرات.. الممنوعات.

لكن.. أمينة جبار لم تقض معه ليلة واحدة فقط وإنما عاشرته عشر سنوات.. أنجبت خلالها أربعة أطفال.. وعلقوا صورتها فى الشوارع والميادين والمصالح الحكومية إلى جانب صورة الحاكم بأمر الله هو وزوجته الأولى الثابتة التى لا يطلقها أبداً.. فقد كانت صاحبة الأرض التى انفجر فيها أول بئر بترول فى بلاده.. كانت تميمة الحظ التى فتحت له كل أبواب الحياة التى لم يكن يحلم بها.. وتحولت إمارته الصغيرة المتواضعة، فى غابات جنوب شرقى آسيا، إلى مملكة وسلطنة قوية بقرار من منظمة الأوبيك.

وقد أدمنها السلطان.. وشرب حليب المتعة من جسدها النحيف الذى يبدو خالياً من العظام.. مخلياً.. ويبدو قادراً على تحويل الفراش إلى ملعب «أكروبات».. سيرك قومى.. لوحة باليه فى بحيرة البجع.. لكن.. الأهم من الأنوثة، لرجل يقدر على الحصول عليها بسهولة، هو الأمومة.. وقد كانت تجمع بينهما.. فهى حبيبة رائعة وأم عظيمة معاً.. وهذا نادر فى عالم النساء.. فالحبيبة غالباً ما تتشاجر مع الأم التى فى داخلها وتنظر إلى الرجل على أنه

طفل شقى مشاغب أحمق.. لو لم يحصل على ما يريد حرق الدنيا من حوله على طريقة نيرون.

كانت تغفر له نزواته التى تجمعت فى مبنى كبير عريض مرتفع يكاد يقترب من مجمع التحرير، وضع فيه كل النساء اللاتى يستوردهن بـ«الكتالوج» وحسب المواصفات القياسية لمدام كلود - أشهر قوادة فرنسية - من مختلف بقاع الأرض.. وربما يمر العام ولا تراه الواحدة منهن.. وهو ما دفع بعضهن للهرب من الملل، رغم أن الواحدة منهن كانت تتقاضى ألف دولار كل ليلة، تحول إلى حسابها أولاً بأول بخلاف عمولة وكالات الدعارة.. وتتضخم المجلات الأوروبية بقصص تلك الفتيات ومغامراتهن فى تلك الإمارة الإسلامية.. كما أن بعضهن نشرن مذكراتهن عن تلك الأيام فى قصور ألف ليلة وليلة القرن الحادى والعشرين.

كانت تتسامح معه وتربت على صدره إذا ما جاءها مهدوداً عاجزاً فاقداً للرغبة، لا يريد منها سوى كلمة طيبة أو قصيدة يفضل سماعها.. والمثير للدهشة أنه كان لا ينام فى فراشها إلا إذا قرأت له بعضاً من الشعر الصوفى.. أو الشعر الدينى.. نهج البردة مثلاً.. أو سماع بعض سير الأنبياء والأولياء.. فكل ما تعلمه فى حياته هو حفظ القرآن على يد شيخ أزهرى أرسلته مصر أيام جمال عبد الناصر إلى بلاده، عندما كانت لاتزال مجموعة من أكشاك الصفيح فى غابة فقيرة.

لكنه.. لم يتسامح معها.. لقد هجرها أكثر من سنة.. وانتظر منها الوفاء والإخلاص.. وشعرت فى لحظة ضعف أنها تحتاج لرجل يثبت لها أنها لا تزال لاعبة «أكروبات» رشيقة.. محترفة.. وحاولت أن تحل مشكلاتها بنفسها مثل المراهقات وفشلت.. وفى ليلة فقدت فيها السيطرة على نفسها، استدعت الحارس الذى يقف على الباب، وطلبت منه أن يطعم جسدها الجائع قطعاً من خبز اللذة.. ويسقيها من شفتيه جرعات من ماء الحياة.. وهو أمر شائع ومعتاد فى قصور السلاطين والملوك والأمراء.. حيث كل شىء بوفرة ويكاد يخضع لقانون المشاع.. ولكن.. بشرط تطبيق قانون آخر أكثر صرامة.. قانون الستر والخفاء.

ساعتها، لم يعرف صاحب العظمة بما حدث.. ولكن.. بعد أسابيع أخبره طبيب القصر أن مطلقته وجاريته حامل.. والغريب أنه لم يجبرها على إجهاض نفسها.. حرام. لكن.. ما هو أبعد من الحرام هو إذلالها بطفل يشبه خادماً في حاشيته.. وقد قتل الحارس الذى أكل مما كان يأكل السلطان.. أطاح مسرور السياف برأسه.. وشاهد طويل العمر حفل الإعدام عبر دائرة التليفزيون المغلقة..

إن النفط جعل كل التناقضات فى مثل هذه الدول حقيقة مستقرة.. الخيانة الجنسية والشريعة الإسلامية.. مسرور السياف والتليفون المحمول.. الجوارى والعبيد وسيارات الرولز رويس والبورش والأقمار الصناعية.

لم تطق رؤية ابنها من الحارس القتيل.. لم تطق نفسها.. وكرهت القصر والعرش ولعب «الأكروبات».. وسافرت إلى لندن فى إجازة شهر.. استمرت سنة.. كانت تذهب خلالها بانتظام إلى كازينو «راندفو».. لتلعب «الروليت».. أبسط ألعاب القمار.. وأكثرها سهولة.. فكل ما عليها هو أن تضع «الفيشات» على الأرقام التى تختارها وتنتظر استقرار الكرة الصغيرة عند رقم ما لتعرف هل كسبت أم خسرت؟.

والغريب أنها فى كثير من الأحيان كانت تكسب.. إن المال يأتى بطريقة سهلة لمن لا يريده.. الثروة مثل الكرة أحياناً ترتد لمن يضرب بها عرض الحائط.. ولعل المكسب السهل جعلها لا تستمتع بالقمار.. وربما لم تكن بطبيعتها مقامرة.. وكل ما كانت تريده أن تجعل ساعات الوقت الممل تتكسر فوق بعضها البعض.. كل ساعة منها تشد الساعة التى تليها.. وتمسك بخناقها.

إن بعض الناس ليسوا مقامرين بالطبيعة، وإنما هم لا يجدون شيئاً مثيراً فى حياتهم فيشترونه فى صالات القمار ولو بأغلى الأسعار.. ولو دخلوا فى مغامرة مثيرة.. فإن كل شحنات المقامرة تختفى وتتلاشى من عروقهم.. وهو ما حدث بالضبط لها.. وجعل منها قصة مثيرة تستحق أن تروى وتكتب وتنشر.

كانت تضع على رقم (١٣) الذى تقامر عليه كومة من «الفيشات» السوداء.. و«الفيشة» السوداء فى «الراندفو» تعنى ألف جنيه استرلينى.. ولم يكن ما يشغلها مثل باقى الزبائن متابعة جريان كرة «الروليت».. وإنما كان يشغلها ذلك الشاب الذى كان يجلس وحيداً على مائدة «البلاك جاك» وهو فى حالة تركيز وكأنه يمارس تمريناً من تمارين «اليوجا».. لو كسب ابتسم.. ولو خسر ابتسم.. ولو دخن ابتسم.. ولو غادر «الكازينو» ابتسم.

كان فى الثلاثين من عمره.. أصغر منها بنحو ٨ سنوات .. وسيم.. طويل.. يكاد يشبه عمر الشريف، يوم ترك السينما المصرية، ليصور أول أفلامه العالمية: لورانس العرب.. وقد وجدت نفسها مشدودة إليه.. ونسيت ما وضعت من «فيشات» سوداء كسبت ستة وثلاثين ضعفاً حسب قانون «الروليت».. كسبت ما يزيد على المليون جنيه استرلينى فى لفة واحدة.

وفى مثل هذه الحالات النادرة والمؤلمة للكازينو تفجر زجاجات الشمبانيا.. ويشترك كل الزبائن فى الصراخ.. ويدفع الفائز بقشيشاً لكل من يصادفه فى طريقه من العاملين والمتسولين.. والمتسولون هم مقامرون فقراء.. يعيشون على فتات المقامرين الكبار وحسناتهم.. أو «فيشاتهم».. والمتسولون جزء من شخصية أى كازينو.. وغالبا ما يكونون من النساء العجائز اللاتى يقمن بدور الرسول فى مهام العشق والغرام.. أو بدور الجاسوس بالنسبة لإدارة الكازينو لتكشف أسرار الزبائن وثرواتهم.

كانت «أم عبد الله» هى متسولة «الراندفو».. وهى يهودية اسمها الحقيقى رحيل.. لكنها اختارت اسم أم عبد الله لأن أغلب زبائن الكازينو من العرب والمسلمين الذين لن يميلوا إلى امرأة يهودية، اسمها رحيل، ولو كانت عجوزا فى عمر الذهاب إلى القبر.. وعرف عنها أنها تقرأ الطالع.. وتقوم بأعمال السحر الأسود.. ونشرت بين الزبائن أنها تنبأت بغزو صدام حسين للكويت.. وهو ما جعل الزبائن يروجون أنها عميلة للموساد.. المخابرات الإسرائيلية.. وفى كثير من الأحيان، كانت ترافقها فتاة شابة شديدة الجاذبية تقدمها على

أنها «مس إسرائيل».. ملكة جمال إسرائيل.. وفى بعض الأحيان كانت تقول إنها ابنتها.. وهى جاهزة للذهاب إلى فراش الرجل الذى يعجب بها أو المرأة التى تريد نوعاً خاصاً من المتعة.

وقد تفتحت شهية أم عبد الله لتقديم كل الخدمات المشروعة وغير المشروعة فور أن لمحت أمينة جبار أول مرة فى صالة القمار.. عرفت قدرها من الحارسات الثلاث المرافقات لها ومن حجم الأموال التى تلعب بها ومن بريق الماس الذى يلمع على صدرها وفى أصابعها.. ولم يكن من الصعب عليها أن تعرف حقيقتها.. فشبكة الإنترنت لم تجعل هناك سراً مستوراً دون أن تهتكه وتفضحه.

جرت أم عبد الله على أمينة جبار لتأخذ نصيبها من البقشيش.. ونالته فعلاً.. بل نالت أكثر مما توقعت.. وهو ما توقفت عنده.. وتعجبت له.. لكن.. سرعان ما زالت دهشتها، عندما طلبت منها أمينة جبار أن توصل بعض «الفيشات» السوداء للشاب الوحيد الجالس بعيداً.. يبتسم فى كل الحالات التى تمر به.. وفهمت اليهودية العجوز أن صاحبة العصمة وقعت فى هوى شاب أصغر منها.. وتفتحت شهيتها لأن تلعب دوراً تجيده.. وتكسب من ورائه الكثير من المال ومتعة الابتزاز.

لم يكن شريف حجاج حسن الحظ فى اللعب.. فهو يخاف أن يفقد أمواله القليلة فى دور أو دورين.. ويعود إلى بيته لا يعرف ماذا يفعل ؟.. كان يقامر بفيش حمراء صغيرة.. خمسة أو عشرة جنيهات.. وهو ما جعله يخسر بسهولة ويكسب بصعوبة.. ولم يكن ذلك يهمه كثيراً.. ما كان يهمه ألا يعود إلى البيت مبكراً.. فقد أصبح على وشك الطلاق هو وزوجته.. ولولا ابنته لكان الطلاق قد وقع منذ السنة الأولى للزواج.. فقد كانا مختلفين فى كل شىء.. هو يحب السهر وهى تفضل النوم أمام التليفزيون.. هو يفضل الكسل والحياة السهلة وهى تضغط عليه بفواتير السكن والبقالة والكهرباء والتأمين الصحى وحضانة البنت.. إن لندن من أغلى مدن العالم.. بالوعة فلوس.. وراتبه الذى يتقاضاه

من إحدى الشركات السعودية -هناك- لا يكفيه، رغم أنه مرتفع.. وقد تعوَّد الحياة فى لندن.. ولا يريد أن يعود إلى القاهرة.. حيث ولد وتربى فى حى العباسية وتعلم وتخرج فى تجارة عين شمس.. محاسباً.. لا يميل كثيراً للجمع والطرح والضرب.. أما القسمة عنده فدائماً على واحد.. هو شخصياً.

كان شريف حجاج ينفق غالبية دخله على نفسه.. على ثيابه التى يشتريها من متاجر «بوند ستريت» المميزة.. وعلى طعامه الذى يتناوله فى مطاعم الفنادق الغالية.. وعلى مزاجه الشخصى.. القمار.. الذى كان يضاعف من المتاعب التى يعانى منها.. خاصة مع زوجته.

جاءت أم عبد الله إليه، تحمل «الفيشات» السوداء وهى تتفجر بهجة وخبثاً. وضعت يدها على كتفه، بعد أن وضعت أمامه تلك «الفيشات».. وكانت الدهشة هى رد الفعل الوحيد المتوقع منه.. فقد تعود أن يعطى أم عبد الله «فيشات» صغيرة، فما الذى حدث حتى تعطيه «فيشات» كبيرة؟.. وغمزت بعينها وهى تشير إلى أمينة جبار.. ابتسم.. واعتذر عن قبول الهدية رغم حاجته الشديدة إليها فى تلك الليلة.. وعادت اليهودية العجوز، وهى منكسرة إلى الأميرة الآسيوية التى لم تقبل الهزيمة بسهولة، فأرسلت إليه حارسة من حارساتها الثلاث «بفيشات» سوداء أكثر وهى تقول له: «سيدتى تقول لك إن النبى قبل الهدية».. فقال لها: «وهل تعرف سيدتك النبى حتى أقبل الهدية؟».. قالت: «سيدتى مسلمة وتحفظ القرآن وتصوم رمضان وحجت إلى بيت الله الحرام كثيراً».. قال: «وتشرب الخمر وتلعب الميسر وتغازل الغرباء أيضاً».. قالت: «أنت أيضاً مسلم وتشرب الويسكى وتلعب «البلاك جاك» ولم يحرمك أحد من إسلامك».. ولم يرد.

فى البداية كان يعتقد أنها يابانية.. أو صينية.. لم يكن يعرف جنسيتها بالضبط.. فالتفرقة بين الآسيويات تحتاج إلى خبرة وممارسة لم تكن عنده.. وما جعله يتصور أنها يابانية أن اليابانيين من أكثر خلق الله لعباً للقمار وشرباً للخمر وتدخيناً للسجائر.. إنهم شعب عنيف على غير ما

يبدو.. يكبت مشاعره ويمسك أعصابه طوال اليوم، ليظهر فى صورة المؤدب المطيع المجامل، فإذا ما انفرد بنفسه بعيداً عن الآخرين خلع تحفظه وأفرغ ما فى صدره فى السهر والشرب والقمار.

فى تلك الليلة عاد شريف حجاج إلى بيته مبكراً وفتح الإنترنت وعرف عن أمينة جبار وعن بلادها ومُطلِّقها وأولادها وثرواتها كل شىء.. وقبل أن يدخل الفراش.. ابتسم.. ولكن.. هذه المرة كانت ابتسامته لها معنى.. ومغزى.

فى الليلة التالية، ذهب إلى الكازينو وهو أكثر أناقة، وراح يقامر بمبالغ أكبر مما اعتاد وكأنه يشعر بأن هناك من سيتدخل لإنقاذه فى الوقت المناسب.. وقد كان حظه فى السماء.. كسب ما لم يتصوره.. وقد حاول وهو يلعب أن يبدو غير مشغول بها أو يفتش ببصره عنها.. لكنها.. فى تلك الليلة لم تأت.. وفى الليلة التالية أيضاً.. وفى الليلة التى بعدها كذلك.. ولم يكن أمامه سوى أن ينساها ويعود للقمار بمبالغ صغيرة.. وجاءت الخسارة من جديد تهدده بالإفلاس.

لكنه.. كان يشعر أنها ستأتى.. فهناك قصة لم تبدأ بعد.. وقد حدث ذلك فى ليلة من ليالى ديسمبر الشتوية.. ومثل هذه الليالى فى عاصمة الضباب كارثة: مطر.. برد.. شوارع خالية من الحياة والرحمة.. وزبائن يعدون على أصابع اليد الواحدة فى «الراندفو».

ووضع رهانه على مائدة «البلاك جاك».. إنها مثل لعبة (٣١) التى يلعبها المصريون ولكن برقم أقل هو (٢١).. وهى لعبة تحتاج قليلاً من التفكير.. كثيراً من الحظ.. وفوجئ بها تقف خلفه مباشرة وتضع «فيشات» سوداء على خانته إلى جانب «فيشاته» الحمراء.. ونظر وراءه ليجدها تبتسم.. وابتسم.. وانتهى الدور بفوزه وفوزها.. لكنها أخذت ما وضعت وتركت ما كسبت ومشت إلى البار.. أمسك بالفيشات التى ربحتها وجرى وراءها..وقدمها لها.. قالت له: «هذه الفيشات من نصيبك.. أنت الذى لعبت».. قال لها: «إنها أموالك يجب أن تعود إليك».. وهكذا.. بدأ الحوار بينهما.. كلمة منه وكلمة منها وتحول الحوار

إلى إعجاب.. وبينما هما غارقان فى الدردشة، كان هناك من ينظر إليهما بدهاء وهو يفكر كيف يستفيد مما يرى.. أم عبد الله.. أو رحيل.

قال لها: «أعرف أنك غريبة عن لندن التى أعرفها جيداً منذ سنوات طويلة.. لو أردت شيئاً منها.. لا تترددى فى الاستعانة بى».. سألته: «هل أنت متزوج؟».. هز رأسه بالإيجاب.. وأضاف: «وعندى بنت واحدة.. لكنى على وشك الطلاق».. قالت: «أنا عندى عشرة أولاد وبنات».. قال: «لكنى أعرف أنهم أربعة فقط».. نظرت إليه فى دهشة مما يعرف.. قال: «إننا فى عصر الإنترنت».. قالت: «لقد تبنيت ستة غير أولادى الأربعة من صاحب الجلالة».

كان شريف حجاج يشعر بأنه يدخل فى علاقة غير طبيعية.. لم يفكر فى مثلها من قبل.. بل لم يتخيلها.. إن المرأة التى كان يفكر فيها دائماً هى المرأة الأوروبية.. لم يخطر بباله أن يعرف امرأة آسيوية.. إنه يفضل المرأة «الفيليه» والمرأة «الاسباجتى» والمرأة «الاسكلوب بانيه».. لم يتصور أنه سيأكل المرأة الكارى والمرأة «السوشى».. لكن.. ما جعله يغير رأيه وذوقه وطبيعة شهيته الجنسية هو أنها أميرة.. أو ملكة سابقة.. تربية قصور.. فكيف يكون الجنس معها ؟.

فى اليوم التالى فوجئ بتليفون من رحيل.. طلبت منه أن تراه على الفور.. والتقيا على مقهى فى «البيكاديلى سيركس».. دخلت فى الموضوع مباشرة.. قالت: «لابد أن أسحرها لك حتى تظل مثل الخاتم فى أصغر أصابعك.. لا تتردد.. هى فرصة عمرك.. لا تضيعها.. سآخذ نصيبى.. لكنك ستفوز بنصيب الأسد».. ولم يجد ما يمنع.. لكنه.. دهش مما طلبت.. «بعض حيواناتك المنوية سنحملها على طائرة شركة العال الإسرائيلية إلى حيفا، حيث الحاخام المعلم يحقق لك ما تريد».. ولم يجد فى الأمر خسارة.. واتفق معها على الذهاب إلى بيتها لتحقيق ما تريد.

كان البيت شديد التواضع.. مثيراً للغثيان.. رائحته عفنة.. فصاحبته يتعامل معها الأطباء كطفلة رضيعة ويجبرونها على استخدام «الحفاضات».. وفى البيت

وجد يهودية أخرى.. لكنها.. ضريرة.. تساعدها فى أعمال السحر والشعوذة.. اسمها ثمرة.. ودخل الحمام وخرج لها بما أرادت.. وكأنه فى معمل تحليل لخصوبة الرجال.. وخرج من البيت وهو يمسك بأمعائه، تكاد تخرج من فمه.

فى اليوم التالى، وجدها تتصل به من جديد.. إن العينة التى أخذتها منه فسدت وهى فى طريقها إلى حيفا.. وتريد منه عينة أخرى.. واستجاب لما طلبت.. فهو لم يعد يرى أمينة جبار.. ولم يعد يسمع صوتها.. وشعر بأنها هربت مثل الماء من بين أصابعه.

لم تمر عدة أيام حتى ظهرت أمينة جبار فى «الكازينو» من جديد.. كان قد يئس من عودتها فلم يعد ينظر ناحية مكانها المفضل بالقرب من مائدة «الروليت».. لكنه.. فى تلك الليلة وجدها أمامه.. فهل نفع سحر رحيل وثمرة؟.. لقد تصور ذلك وقتها.. لكنه.. عرف فيما بعد أن اليهوديتين العجوزين استخدمتا حيواناته المنوية فى تخصيب نساء من الخليج لا ينجبن بسبب أزواجهن.. وكسبتا من وراء ذلك الكثير..

وجاءت رحيل فى ذيل أمينة جبار، تدخن سيجارة وتمشى كالسلحفاة مقوسة الساقين.. وذهبت إليه لتمسك بيده.. وتذهب به إلى أمينة جبار.. ونظر كل منهما إلى الآخر.. ثم وجدا نفسيهما غارقين فى حضن ناعم.. ودعتهما رحيل لاستكمال السهرة فى بيتها.. وحاول أن يعترض قرفاً من المكان.. لكنه لم يقدر.

كانت حجرة نوم رحيل فى حالة فوضى كاملة، تغطيها رائحة عطنة وجدران لم تبتسم لها فرشاة الطلاء منذ سنوات.. وتركتهما رحيل وأغلقت عليهما الباب.. ورغم شعوره بالغثيان لم يتردد فى الاستجابة لقبلاتها.. لقد كانت القبلة الأولى عليها.. والباقى عليه.. وقد شهق عندما أصبحت عارية أمامه.. جسد لامع.. ناعم.. يسهل تكويره.. يعرف كيف ينطق بكلمات قليلة، لكنها مفهومة وبليغة.. أما جسده هو فقد تذوق بسرعة الطعام الآسيوى.. واستمتع به.. وجرى ما جرى برومانسية اللقاء الأول ودفئه.. لكن.. كان هناك من

يراقبهما فى صمت.. كاميرا خفية مزروعة فى علبة مناديل ورقية.. كانت ترصد وتصور وتعد عليهما كل ما يفعلان.

إن كل أجهزة الجواسيس أصبحت تباع علناً فى محلات تسمى «سباى شوب».. وهو ما فتح أبواب جهنم لتخرج منها ألسنة لهب قوية تحرق العلاقات الإنسانية والعاطفية.. بخلاف الفضائح العلنية.

فى اليوم التالى، حجز جناحا لهما فى الهيلتون بعد أن ترك لليهودية العجوز ما يكفيها للعب فى الكازينو.. وكانت هناك حجرة جانبية حجزها فى الفندق للحارسات الثلاث.. وقضيا معاً يوماً وليلة.. مارسا الجنس بعض الوقت.. وتكلما معظم الوقت.. طلبت منه أن يكف عن القمار والخمر والسهر وأن يصلى ويصوم ويبحث عن عمل آخر.. إن ذلك قد يسهل فرصة زواجهما.. خاصة أن زوجها السابق لن يقبل بسهولة أن تتزوج.. فمن تتزوج السلطان لا تتزوج غيره.. كما أنها طلبت منه أن ترى زوجته وابنته بمفردهما.. لتعرف من المرأة التى عاشرته أشياء لا تريد أن تفصح عنها له.

إن الخيال كثيراً ما يكون قاصراً فى الوصول إلى الواقع.. وكثيراً ما لا يصدقه الناس.. يعتبرونه صوراً بعيدة عن الحقيقة، يرسمها قلم كاتب لا يلتزم برواية ما جرى.. لكن.. كل مشهد فى تلك القصة يمكن توثيقه بمستندات يحملها معه شريف حجاج فى حقيبة متوسطة الحجم تضم ملفات ومجلات وأوراق قضايا ومحاكم.

سعى شريف حجاج إلى تغيير عمله.. واستخدم صداقته لشاب من إيران كى يستورد الكافيار، بعد أن اتفق مع عدد من أصحابه الذين عرفهم فى «كازينوهات» القمار على شرائه.. إن الكافيار الإيرانى والروسى الجيد أغلى من الفضة أحياناً.. وفى الوقت نفسه بذل جهداً خارقاً حتى أقنع زوجته بمقابلة أمينة جبار لتنفيذ رغبتها.. وراحت زوجته هى وابنتها لمقابلتها فى فندق «ماريوت سويس كاينج».. كانت الأميرة تضع فى صدرها ماسة صفراء

أكبر من الماسة التى تفخر بها الملكة اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا.. ماسة لا يقل ثمنها عن ١٢ مليون إسترلينى.. وما إن وجدت زوجة حبيبها تنظر إليها حتى أخذتها من يدها إلى محل المجوهرات فى الفندق واشترت لها سلسلتين من الذهب الأبيض لها ولابنتها.. ووعدتها بشراء بيت جديد لها.. وبوديعة نصف مليون جنيه فى البنك باسم ابنتها لو قبلت الطلاق وشعرت بالرضا.. ومنحتها عربوناً عشرة آلاف جنيه فوراً.

شعرت الزوجة بالدوار مما سمعت ووجدت وعادت إلى زوجها تحدثه عن سحر تلك المرأة وجاذبيتها وكرمها.. ولكنها.. سألته: هل أنت واثق أنها تحبك؟!.. تعجب من السؤال.. وتعجب أكثر من أن زوجته هى التى تسأله.. ولم يفهم ما كانت تقصد إلا بعد أن شرحت وفسرت.. إن أمينة جبار تريد أن تستخدمه ليلعب دور المحلل حتى يمكنها العودة إلى زوجها الذى كان قد طلقها بالثلاثة.. لكنه.. لم يوافق على وجهة نظرها.. ونسى أن يسأل زوجته : كيف قنعت بأن تبيع نفسها على ذلك النحو؟!.. والأدق أنه رفض توجيه مثل هذا السؤال لنفسه.. فهو سيحرجه ويؤلمه أيضاً.

وفوجئت الزوجة بأمينة جبار تطلب منها أن تزورها فى بيتها ليكون قرارها النهائى بزواجها من زوجها واضحاً.. وجاءت الأميرة الأسيوية إلى البيت المتوسط القيمة وهى تحمل هدايا من محلات «هارودز» و«سلفريدج» محمولة فى ثلاث سيارات ولا تقل قيمتها حسب تقدير شريف حجاج نفسه عن مائة ألف إسترلينى.. كما أنها بعد هذه الزيارة منحت زوجها القادم راتباً شهرياً نحو ٢٠ ألف إسترلينى، يقول إنه كان يعطى بعضها لرحيل.. وطلبت منه أن يأخذ موافقة أهله فى مصر.. وجرت اتصالات طويلة بينها وبين خاله عبر التليفون، استمرت بالساعات.. وكانت أمنيتها أن تزور مصر.. خاصة شرم الشيخ التى جاءتها فى زيارة رسمية يوم أن كانت زوجة الحاكم ولم تستمتع بها فى وجود بروتوكول صارم، لا يسمح بحرية الحركة.

وتكررت مقابلاتهما الخاصة فى الفنادق الفاخرة.. خاصة «شيراتون تاور»..

وشعر بأنه أدمنها إلى حد الجنون.. وتصور أن السبب هو السحر الأسود الذى قامت به رحيل ورفيقتها ثمرة.. فقد طلبتا منه شعيرات من جسدها.. أخذها منها خفية.. واحتفظ ببعضها فى خزينة سرية فى أحد البنوك.. فنحن فى عصر التحليلات البيولوجية، خاصة تحليل «دى. إن. أيه» الذى يثبت هوية أى شخص من خلية واحدة فى الدم أو الشعر أو اللعاب أو السائل المنوى.. ولا دليل لديه على أنه أقام علاقة مع تلك المرأة.. الأميرة سوى تلك الشعيرات الرفيعة القصيرة.

واستأذنته فى السفر إلى بلادها.. لقد مر عليها أكثر من عام فى لندن.. وتريد أن تعرف كيف ستوصل خبر زواجها إلى صاحب الجلالة.. وطلبت منه أن يقسم على كتاب الله ألا يخونها.. ولا يمارس الجنس حتى مع زوجته.. ومن جانبها أقسمت على ذلك أيضاً.. ألا تلمس رجلاً غيره.. أو حتى تفكر فى رجل غيره.. فالخيانة تبدأ فكرة بالعقل.. والجسد مجرد وعاء لتنفيذها.

وسافرت أمينة جبار.. وتركته فى لندن يرتب أوضاع الطلاق.. ويبحث عن قصر فى الضواحى ليعيشا فيه فور زواجهما بعد عودتها.. ولم تتوقف مكالماتها التليفونية له.. كانت تلك المكالمات تستمر أحياناً بالساعات.. لكن.. بعد أقل من أسبوع توقفت تلك المكالمات.. طلبها من تليفوناته المعروفة أكثر من مرة.. لكنها لم تكن ترد.. وطلبها من تليفونات عمومية لا تظهر رقم الطالب فكانت تغلق الخط إذا ما سمعت صوته.. وجن جنونه.. ولم يجد أمامه سوى أم عبد الله يستجير بها.

قالت له وقد سيطرت عليها مظاهر السخرية والشماتة: «لن تعود إليك».. قال: «لكنى لم أخطئ فى حقها».. قالت: «أخطأت فى حقى».. قاطعها فزعاً: «أنا.. كيف؟».. قالت: «لم تتفق معى ياحبيبى على نصيبى من الصفقة.. أردت أن تأكل كل شىء وحدك.. وأنتم فى مصر تقولون اللى ياكل لوحده يزور.. وأنت زورت».. قال مستعطفاً: «لكننى كنت أعطيك كل ما تطلبين».. قالت: «فتات.. أعطيتنى الفتات».. قال والدموع تكاد تفر من عينيه: «لكنى أحببتها..

أقسم لك أننى أحببتها».. قالت وقد ضاعفت من جرعات الشماتة والسخرية: «لقد مزقت قلبى.. إننى لا أعرف من الحب سوى حب الاسترلينى».. فهمَّ من مكانه واقفاً وهو يقول فى تحدٍ: «لكنى سأستعيدها.. إنها أيضا تحبنى.. تعبدنى.. تدمننى».. قالت وهى توصله إلى الباب: «إنها لم تعد تحبك.. لقد خنتها وخدعتها وقد نسيتك».

لم يصدق ما سمع.. فلا هو خانها.. ولا هو خدعها.. فما الذى حدث؟.. من الذى أوقع بينهما؟.. لابد أنها تلك اليهودية العجوز الشمطاء.. لكن.. كيف؟.

لم يكن من الصعب أن يعرف منها الحقيقة.. بل قد أسعدها أن تروى له ما فعلت به.. لقد سألته ذات يوم على حين غرة: «هل تملك دليلاً على علاقتك الجنسية بأمينة جبار؟».. أجاب ببراءة: «نعم.. لكن تقطع يدى ولا أقدمها إلى أحد».. ولم يكن يعرف أنها تسجل له ما يقول.. وأنها احتفظت بنصف الإجابة ومسحت النصف الآخر.. على طريقة لا تقربوا الصلاة.. وسألته بصورة مباغتة فى معرض حديث عن الرجولة: «هل تمارس الجنس مع زوجتك؟».. ومع أنه لم يكن يفعل ذلك فإنه خجل أن ينفيه.. ولم يكن يعرف أن هناك جهاز تسجيل يرصد كل ما يقول.. وطارت «الشرائط» إلى أمينة جبار بالبريد السريع.. فكان أن أخذت قرارها.. وقاطعته.. وربما اعتبرت تلك العلاقة.. علاقة سفر.. ما إن هبطت مطار بلادها حتى نسيتها..

إن علاقة السفر علاقة حقيقية.. يندمج فيها الشخص ويعيشها كاملة.. لكن.. الشرط الوحيد لاستمرارها أن يظل على سفر.. فلو عاد إلى وطنه وأهله وبيته وحياته نسى كل ما كان.. وتحولت هذه العلاقة بالنسبة له إلى تذكار سياحي.

وجن جنون شريف حجاج.. لقد ترك وظيفته.. وانتهت العلاقة بينه وبين زوجته.. وخسر الرهان الأخير فى حياته.. أن يتزوج أميرة.. وملكة سابقة..

وواحدة من أغنى أغنياء الدنيا كلها.. وصرخ فى وجه رحيل: «لن أسكت.. سأجعل سيرتها السيئة على كل لسان».. فكان ردها: « لا تفعل.. سوف تقتلك أنت وابنتك».. وأضافت: «إنك لا تعرفها.. أنا أعرفها أكثر منك.. سوف تنفذ تهديدها.. لا تتهور».

وشعر بجدية التهديد.. وذهب إلى قسم الشرطة ليحرر محضراً لها.. لكن.. شيئاً لم يحدث.. فنصحه أحد رفاقه فى «الكازينو» أن يذهب إلى صحفى ما ليكشف ما كان بينه وبين أمينة جبار، فلا يقترب منه أحد خوفاً من اتهامه جنائياً.. ولم يجد أمامه سوى صحفى مصرى مجهول يصدر نشرة من نشرات الفضائح التى تعيش على الابتزاز.. خاصة ابتزاز سفراء دول النفط العربية.. لكن.. الصحفى المدرب على تأمين نفسه قبل النشر، نصحه أن يرفع قضية أمام المحاكم البريطانية يثبت فيها أن الأميرة الآسيوية التى كانت على علاقة جنسية به أفسدت حياته ودمرت نفسيته، وفى المقابل يطالبها بتعويض هائل يزيد على المائة مليون جنيه إسترلينى.. ورغم أن القضية ليست مضمونة الحكم لصالحه فإن أمينة جبار سوف تفعل المستحيل لعدم الاستمرار فيها وستجد نفسها مضطرة للتدخل فى أسرع وقت والتفاهم معه بعيداً عن القضاء وتقديم التعويض الذى يرضيه.

ولجأ شريف حجاج إلى القضاء.. وجمع الأدلة على أنه كان على علاقة بأمينة جبار: الرسائل العاطفية على تليفون الموبايل.. فواتير الإقامة فى الفنادق التى شهدت لقاءاتهما الساخنة.. شهوداً من الكازينو.. ولكن.. كل ما كان تحت يده قرائن على وجود علاقة.. على أنها.. ليست دليلاً على أنها كانت علاقة جنسية.. لكنه فى الوقت نفسه كان يدخر مفاجأة ضاربة فى المحكمة.. شعيرات قصيرة من جسدها.. ووصف كامل ودقيق لذلك الجسد.. كم شامة.. مواقعها.. بقايا جراحة أجرتها.. وكان كل ما على القاضى أن يفعل هو أن يستدعيها عبر القنوات الدبلوماسية لحضور جلسات المحكمة وإلا كان الحكم ضدها.

وسعى المحامون الذين وكلتهم إلى المماطلة والتأجيل حتى يضج شريف حجاج من تكلفة المحامين الذين يتولون قضيته فيتنازل عنها.. إن المحامين فى بريطانيا يكسبون أكثر من تجار المخدرات.. أكثر من مهربى السلاح.. والقضية الواحدة هناك تمر عبر ثلاثة أنواع منهم.. المحامى الأول يستمع إلى القضية من صاحبها لتحديد فرص نجاحها ونقاط ضعفها.. ثم تتحول القضية إلى المحامى الثانى الذى يستخرج المواد القانونية المناسبة ويدرس المستندات ويجرى وراء الشهود ويضع الملاحظات النهائية قبل كتابة مذكرة الدفاع.. ثم يأتى دور النوع الثالث ويسمى كيوس.. وهو الذى يقوم بالمرافعة أمام المحكمة.. وهو الأعلى سعراً.. فهو يحصل فى الساعة الواحدة على ٢٥٠٠ إسترلينى من الموكل.. وهو الوحيد الذى يكسب من القضية ولو خسر أصحابها.

وفى الوقت نفسه، بدأ صحفى الفضائح يتحدث عن العلاقة المشينة بين الشاب المصرى والملكة الآسيوية السابقة، كيف كانت هذه العلاقة؟.. أين كان فراش الحب بينهما؟.. وما دور عميلة الموساد الإسرائيلى العجوز الشمطاء فى هذه العلاقة؟.. ودخلت أم عبد الله أو رحيل طرفاً فيما يجرى.. فقد عرضت على الصحفى مبلغاً من المال عبر اتصال تليفونى جرى بينهما، مقابل أن يكف عن نشر ما يمسها.. وكان عرضها مغرياً.. عشرين ألف جنيه إسترلينى.. وعندما وافق وجد نفسه متهما فى قضية ابتزاز.. فقد كانت مكالماتهما مسجلة بمعرفة الشرطة البريطانية.

فى الوقت نفسه.. وعلى بعد مئات الأميال من لندن، كانت أمينة جبار فى بلادها تعانى من احتقار زوجها السابق الذى أمر بحبسها فى مكان معزول.. دون تليفون.. أو تليفزيون.. أو بشر يتحدثون معها.. كل ما سمحوا لها به الماء والطعام ونسخة من القرآن وفقه النساء وتفسير القرطبى.

ولجأ صاحب الجلالة إلى مستشاريه.. كيف يمكن أن ينجو من تلك الفضيحة التى تمسه وتمس أماً لبعض أولاده.. وكان بين هؤلاء أجانب من مختلف دول العالم.. بريطانيا.. الولايات المتحدة.. مصر.. السعودية..

فرنسا.. وإسرائيل.. وإسرائيل بالذات كان لها نصيب الأسد بين المستشارين.. فقد قدموا له خطط حمايته من القتل.. وخطط حراسة قصوره.. وعائلته فى الداخل والخارج.. كما أنهم تولوا عمليات الإخفاء والتمويه المصاحبة لنقل العاهرات اللاتى يستوردهن من أوروبا.

وتقدم واحد منهم يجيد اللغة العربية التى درسها فى دورة تدريبية خاصة عندما كان ضابطاً فى المخابرات الإسرائيلية.. وطلب منه أن يترك له هذه المشكلة كى يحلها دون فضائح أو محاكم.. ووافق الرجل.. وفتح له حساباً فى بنك بريطانى يمكنه السحب منه دون الرجوع إليه.

وفور أن هبط آيفى مطار هثرو ذهب إلى الهدف مباشرة.. استقل سيارة إيجاراً كانت تنتظره إلى كازينو «الراندفو».. وهناك اتجه مباشرة إلى الضحية.. كان شريف حجاج يجلس أمام مائدة «البلاك جاك» فى حالة من التوتر وعدم التركيز.. ولم يكن الحظ معه.. كما كان جيبه خالياً.. فوضع آيفى أمامه عشرة آلاف جنيه استرلينى «فيشات» سوداء وهو يقول: «هدية من أمينة جبار».. وانتفض الشاب الذى بدت عليه آثار الخمر.. وقبل أن يفقد ما تبقى من أعصابه أمسك الإسرائيلى المدرب يده وهو يقول: «تعال نتكلم فى البار».

كان العرض واضحاً أن يتنازل شريف حجاج عن الدعوى القضائية مقابل أن تتعهد أمينة جبار بأن تتكفل بابنته مدى الحياة.. على أن تدفع للمحامين أتعابهم التى وصلت إلى ١٢٠ ألف جنيه، كانوا يطالبون بها شريف حجاج ويمكن أن يحبسوه بها.. حريته ورعاية ابنته مقابل أن يكفى على الفضيحة ماجورا ويسكت.. وأخرج آيفى من جيبه ورقة وطلب منه التوقيع عليها.. وكانت الورقة واضحة أن تتعهد مؤسسة أمينة جبار برعاية نورا شريف حجاج حتى تتزوج.. وتدفع أتعاب المحامين.. وعشرة آلاف جنيه يحصل عليها فور أن يوقع على الورقة.

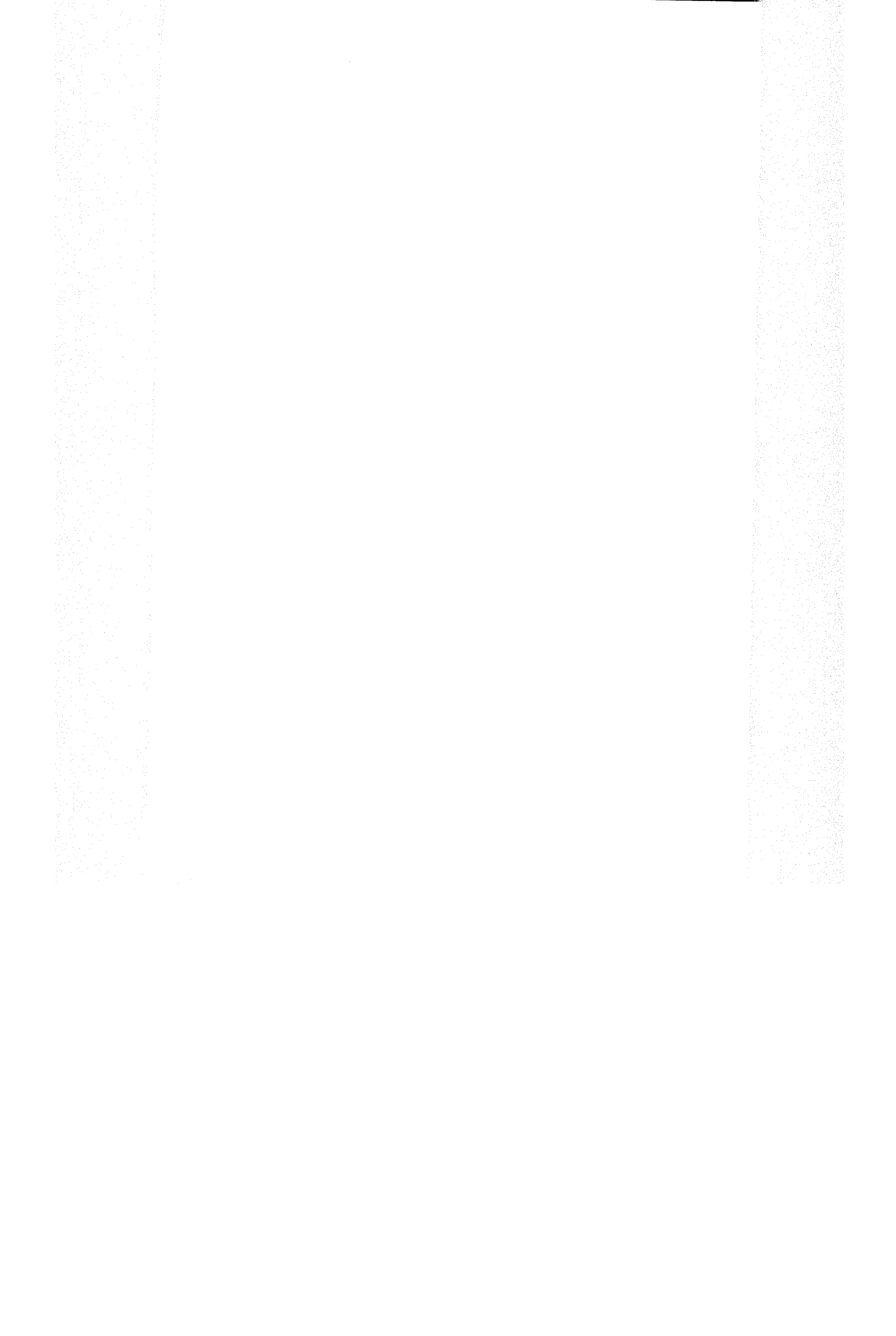
ولم يتردد شريف حجاج فى التوقيع.. لقد خسر كل شىء.. ولو خسر القضية التى رفعها على أمينة جبار أيضاً فإنها سترجع عليه بتعويض هائل لن يقدر

عليـه.. ثم إن ابنتـه هـى أهم شـخص يعنيـه فى الحـيـاة.. ولو ضـمـن لهـا حـيـاة كريمة فإنه يستريح على الأقل من ناحيتها.

وبعد شهر، وصل شريف حجاج بالبريد الموصى عليه خطاب من مؤسسة أمينة جبار الخيرية يخبره بتعهد المؤسسة بمساعدة ابنته.. لكن.. عليه أن يختار طريقة من اثنتين.. إما أن يرسلها إلى ملجأ أيتام فى المقر الرئيسى للمؤسسة.. وفى هذه الحالة سيقدم إقراراً بالتنازل عنها.. وإما أن تبقى فى حوزته على أن يرسل لهم ما تحتاج إليه من أدوات مدرسية أو لبن أطفال فى حدود ألف جنيه استرلينى فى السنة، على أن يقدم شهادة فقر رسمية تفيد بأنه عاجز عن الإنفاق على ابنته.

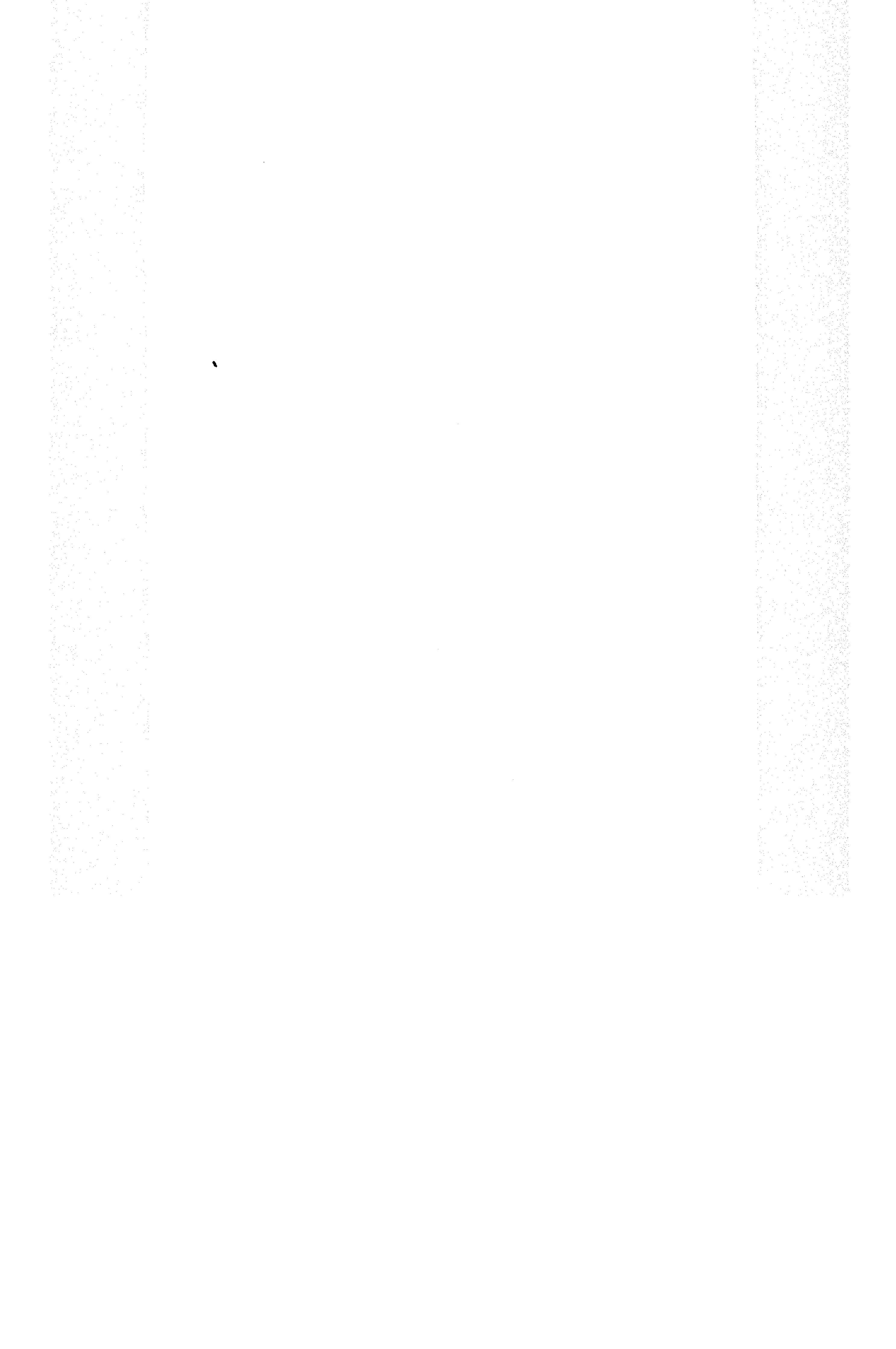
وشعر بنار تخرج من قفاه.. فكر فى الانتحار.. وفكر فى العودة إلى مصر.. وفكر فى أن يسافر إليها ويقتلها.. وقبل أن ينفذ شيئاً واحداً مما فكر فيه سقط من طوله مغشياً عليه.. وعندما استيقظ وجد نفسه فى مصحة للأمراض النفسية والعصبية، يعالج من الانهيار.

وكانت نصيحة الأطباء العاجلة له بأن يعود إلى مصر، ليبقى فيها بعض الوقت، يسترد فيها علاقته بنفسه.. إن الوطن يمنحنا الأمان والصحبة والثقة فى ما يجرى حولنا، ويعلمنا فرز الطيب من الخبيث والصدق من الكذب، وينير البصيرة قبل البصر.. وقد كان.





# ٥- بنات البيزنس



# 5

## شركة مساهمة للأنوثة
## غير قابلة للتداول فى البورصة

**كانت الزهور موحية.. من فصيلة متوحشة.. الأحمر القانى.. الأصفر الصارخ.. الأسود القاتم.. الأزرق المعبّر عن الغرق بلا نجاة.. فى الأحراش الخضراء الخشنة المرفقة بالزهور كانت قصيدة مؤلمة كتبها سيد شعراء هذا الزمان نزار قبانى: «سبق السيف العزل.. غرق المركب فى الليل بنا قبل أن نبدأ شهر العسل.. واستقال الديك من منصبه.. تاركاً من خلفه عشرين ديوان غزل.. واستقال الليل من عبء الهوى.. واستقال الثغر من نار القبل.. فلماذا أنتِ فى المسرح يا سيدتى.. بعد أن مات البطل»؟.**

أمسكت بالزهور والقصيدة وألقت بهما خارج جناح العرائس فى الفندق المطل على النيل وهى غاضبة.. إنها تعرف من أرسلهما.. تعرف أنه يقصد أن يجرحها.. أن يفتت أنوثتها.. أن يكسر أنفها.. أن يذكرها بفحولته التى يتصور أنها لن تجد مثلها عند الرجل الذى تزوجته وزفت إليه قبل ساعات معدودة.. لقد أفسد حياتها من قبل.. ويصرُّ على أن يواصل ما فعل.

إن لجسده رائحة لا تريد أن تسافر بعيدة عنها.. تطاردها مثل رجال المباحث ليلاً ونهاراً.. تدخل فى جلدها مثل القضاء والقدر.. تجدها فى كل ما تتعامل معه.. مثل ظفر طويل يغوص بلحمها.. ويمنعها أن تنام قبل أن ينفجر البرق تحت قميصها.

لم يوقع على الزهور التى أرسلها لها.. لم يضع بطاقته عليها.. لكنها تعرفه جيداً.. فقد كان زوجها.. وأب أبنائها.. وهو جراح شهير فى المخ والأعصاب.. تزوجته عن حب.. وقعت فى هواه بسهولة.. مثلها مثل غيرها من النساء اللاتى يقعن فى هواه بسهولة أيضا.. لقد ودع آخر عشيقاته قبل أن تزف إليه بساعات قليلة.. ودع معها أيام العزوبية.. لكنه.. عاد إلى تلك العشيقة فى صباح اليوم التالى لزواجه.. شعر بحنين -لم يقاومه- إلى سيرته القريبة التى لم تعد -بعد- سيرة قديمة.

كانت النساء بالنسبة إليه سلة فواكه.. فيها المرأة العنب التى يسهل قطفها.. والمرأة المانجو التى يشتهيها أكثر كلما أكل منها.. فيها المرأة البطيخة التى لا تعرف كيف ستكون؟.. والمرأة الأناناسة التى يصعب تناولها دون أن تجرحه أشواكها وهو يقشرها.. وقد غفرت له إدمانه تناول الفاكهة.. بشرط أن يبقى على تنوعها.. لا يأكل نوعاً واحداً منها.. وإلا كان ذلك يعنى حباً.. وربما ما هو أبعد من الحب.. الزواج.. وقد التزم بهذه القاعدة.. لكن.. شعوره بالجوع الدائم أوقعه فى شجرة جميز.. فراح يأكل منها.. وذات يوم ضبطته مع شجرة الجميز.. خادمتها المستوردة من جنوب شرق آسيا.. كان ذلك فى حمامها.. فلم تحتمل.. وأصرت على الطلاق.. وساعتها سألته: لماذا تزوجتنى وأنت لا تحتمل تحديد الإقامة مع امرأة بعينها فى فراش واحد؟.

لقد تزوج لأنه فقط كان يريد أن يتزوج.. أراد أن يكوّن بيتاً وعائلة وكياناً اجتماعياً يناسب ما هو فيه من شهرة وثروة.. كما أنه تمنى أن ينجب أطفالاً.. فاختارها بالمواصفات القياسية.. جميلة.. جذابة.. أنيقة.. مثقفة.. خفيفة الظل.. متخرجة فى الجامعة الأمريكية.. تعرف كيف تختار ملابسها وكلماتها.. تجيد فنون الضيافة والاتيكيت.. عائلتها معروفة فى عالم البيزنس.. تملك أراضى.. وشركات.. وتوكيلات تجارية.. بل أكثر من ذلك تملك بنكاً، هى نفسها تسهم فى إدارته.. إنها الزوجة المثالية فى مجتمع غالبية من يتحكمون فيه ويسيطرون عليه جاءوا من العدم.. وحققوا ثروات يصعب

تحديد مصدرها.. وأصبحوا السادة الجدد.. ولكنهم سادة بلا لياقة.. ولا ثقافة.. بلا أصول.. ولا جذور.

لقد كان جدها من كبار الإقطاعيين الذين جرت مصادرة مساحات كبيرة من أراضيه، بعد صدور قوانين الإصلاح الزراعى التى جرى العدول عنها فيما بعد.. وقد أنجب الجد تسعة أولاد.. حرص على تعليمهم فى أوروبا.. ولم يعد ثمانية منهم إلى مصر بعد أن حصلوا على شهادات الدكتوراة فى تخصصات متنوعة من العلم.. الاقتصاد السياسى.. جراحة القلب المفتوح.. التنسيق الحضارى للمدن الجديدة.. الكيمياء الحيوية.. كيفية إصلاح الشركات الخاسرة.. صناعة المساكن الجاهزة دون الإخلال بالبيئة.. وغيرها.

أما أصغرهم.. والدها.. فقد أصر على العودة بعد أن حصل على الدكتوراة فى المالية العامة من مدرسة الاقتصاد فى لندن.. وفى القاهرة بدأ فى وقت مبكر فى فتح مكتب خاص للاستشارات المالية والتجارية.. والوقت المبكر هو الوقت الذى أعلن فيه أنور السادات سياسة الانفتاح الاقتصادى التى تولى تدبيرها وترتيبها رئيس الحكومة -بعد حرب أكتوبر- الذى لم يعمر طويلا فى مكانه.. الدكتور عبدالعزيز حجازى.

تزوج والدها من عائلة لها جذور إقطاعية أيضاً وأنجب ثلاثة أولاد وفتاتين.. الأول سافر لدراسة الاقتصاد السياسى فى هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية.. المكان الذى تخرج فيه هنرى كيسنجر ومنصور حسن.. لكن.. يبدو أن المال الزائد والتدليل المفرط جعلاه ينسى مهمته الأساسية.. وكان أن تفرغ للحياة السهلة.. المترفة.. فلم يكن من طول السهر يعرف الليل من النهار.. ولم يكن من شدة إدمان الخمر يعرف النبيذ من الشاى المثلج.. أو الشمبانيا من شوربة الخضار.. وانتهى به المطاف مريضاً فى مصحة نفسية وعقلية.

أما الابن الثانى فقد سافر إلى إيطاليا لدراسة الفنون الجميلة بعد أن شعرت عائلته بميوله ناحية الرسم وتجانس الألوان وحساسيته تجاه

الموسيقى.. وعاش فى روما معتمداً على نفسه.. يندر أن يطلب مالاً من أبيه.. كان يرسم السياح فى الميادين العامة مقابل زجاجة نبيذ.. أو فطيرة بيتزا.. أو علبة سجائر.. ودخل فى علاقة حب مع زميلته الفرنسية التى جاءت هى الأخرى لدراسة العلاقة بين اللوحة التشكيلية والموسيقى الكلاسيكية.. واتفقا معا على أن يتزوجا فى اليوم نفسه الذى يتخرجان فيه ويحصلان على شهادة الفن الرفيع.. لكن.. كان القدر له بالمرصاد.. فقد أصيب بسرطان فى الدم. (لوكيميا).. وعندما اكتشف ذلك المرض اللعين كانت كل سبل العلاج والشفاء والنجاة قد سدت.. ومات فى اليوم نفسه الذى كان سيتخرج ويتزوج فيه.. إن هناك - على ما يبدو - لعنة ما فى عائلته تطارد كل من يتجاوز حداً معيناً للتميز والنجاح.

ولم يكن أمام الأب سوى أن يلتفت إلى بنتيه ويلقى بأحلامه عليهما.. لكن.. ابنته الصغرى لم تكن تريد من الدنيا سوى أن تعيش حياة تقليدية.. هادئة.. تتزوج فيها وتنجب ما تيسر لها من الأبناء.. وتسمع أم كلثوم التى تدمن صوتها.. وتحفظ كلمات وألحان أغانيها.. ومن شدة ذلك العشق أصبحت تغنى مثلها.. ولكن بينها وبين نفسها.. لم تشأ أن تلعب دوراً مختلفاً فى الحياة عن دور جدتها.. وقد قنعت بهذا الدور.. وتزوجت من طبيب طموح سرعان ما بنى مستشفى وتفرغ لإدارته فى القاهرة.. ساندته بالتخفيف عنه كل ليلة بتجهيز حمام مريح.. تتولى فيه كل شىء بنفسها.. أحبت أن تكون وراء الرجل لا بجانبه أو أمامه.. وكانت تقول لزوجها فى نعومة طبيعية ورومانسية غير متكلفة: «ما أجمل أن يكون الإنسان منفياً فى داخل شخص يحبه».. وبينها وبين نفسها كانت تتساءل: هل هناك مرفأ أكثر طمأنينة من التمدد على رمال صدر رجل تحبه والسكنى فى راحة يديه والإبحار فى مياهه الدافئة؟!.

لم يبق سواها.. الأخت الكبرى.. الوحيدة التى وضع الأب على كاهلها كل أحلامه.. وفتح لها بنكاً.. اشترى لها نصف أسهمه.. ووضعها فوق رأسه.. وهى فى الحقيقة لم تخيب ظنه.. فقد أحبت صناعة الفلوس وتفوقت فيها..

وأخرجت شمس التميز التى كانت مخبأة فى داخلها.. كانت شريكة فى الرأى والتفكير.. لا مجرد حبة عنب تؤكل فى السرير.. واللافت للنظر أنها كانت تزداد جمالاً كلما ازدادت نجاحاً.. كان النجاح ورداً يلون خديها.. وشمعاً يذوب من أصابع يديها.. وفراشة تنام فى عينيها فتوسع من مساحة بريقهما.

لكن.. بقيت حياتها الخاصة هى الصفقة الوحيدة الفاشلة فى حياتها.. هى العملة المالية الوحيدة غير القابلة للتداول.. هى أسهم الشركة الوحيدة التى لا تقدر على رفعها فى البورصة.. بقيت بالنسبة لزوجها الأول مجرد دمية.. يلعب بها أحياناً.. ويهجرها ليلعب بأخرى غالباً.. وكثيراً ما وصلت بينهما الحياة إلى طريق مسدود.. لكنه.. كان فى تلك اللحظة يتوب.. ويندم على ما فعل.. ويطلب منها أن تسامحه.. وتغفر له.. وكان يضمها.. حتى يصيرا قطعة واحدة.. وتسقط الحدود بين الأرض والسماء.. على أنه سرعان ما كان يعود إلى سيرته القديمة.. ويكرر ذنوبه وأخطاءه بنفس الحماس، إلى أن ضبطته مع الخادمة الفليبينية وهى تفكك عضلاته المتشنجة بالمساج.

كان الطلاق هو الحل الوحيد.. لكن.. الطلاق الذى يحدث بنطق كلمة واحدة لا يلغى السيرة المشتركة بين الرجل والمرأة.. لا يخرج كل منهما من دم الآخر.. ولا من ذاكرة الآخر.. وهى بالذات شعرت بأنوثتها تحاك من الألف إلى الياء بأصابعه.. إن ولادتها الحقيقية كامرأة تمت على يديه.. وخطواتها الأولى كانت فوق ضلوعه.. وكلماتها الأولى كانت مشتقة من قاموسه.. وأسنانها اللبنية لم تقو إلا بعد أن انغرزت فى لحمه.

بعد الطلاق.. حاولت أن تتنازل عن جنسيتها التى منحها لها من دولته الجنسية.. فسارعت إلى الزواج من أقرب رجل أعمال تقدم إليها.. وقبل برعاية أولادها.. واستكمال مشوار الحياة معها.. ولكن فى اليوم التالى فوجئت بزوجها الأول يرسل الزهور الاستوائية وقصيدة نزار قبانى المرفقة بها.. إنه لا يريد أن يتركها فى حالها.. لا يريد أن يترك جسدها كى ينساه.. ويفتح صفحة جديدة مع رجل آخر.. وجسد آخر.

لم يمر شهر العسل بسلام.. وقبل أن ينتهى خرجت منه بلقب مطلقة للمرة الثانية.. وكان تكرار ذلك اللقب فى تلك الفترة القصيرة كفيلاً بأن تفنى نفسها فى العمل.. أغلقت كتاب الأنوثة.. وفتحت دليل هيئة الاستثمار.. خلعت خواتمها.. وأساورها.. وفرضت على جسدها المطالبة بإعانة بطالة عن العمل.. بعد أن منحته حق الإضراب عن ممارسة الحب.

لكن.. كل النجاح المالى الذى حققته وكل الأوسمة الاجتماعية التى حصلت عليها لم تثر غرورها.. كان الوسام الذهبى الذى تحلم باقتنائه هو من نوع غير معتاد.. رجل يحبها.. رجل يحمل فوق جلده وشم القبائل الهمجية.. وميراث ألف سنة من البداوة.. رجل لا يؤمن بالحب عن طريق البرلمانات.. ومجالس الشورى.. والاستفتاءات الشعبية.. رجل لا يحبها بالمراسلة.. أو بالطرق الديمقراطية.. رجل يرسم تقاطيعها كما يريد.. ويطيل شعرها كما يريد.. ويرسم ملامح جسدها كما يريد.. رجل لا يكون ديمقراطياً وعاشقاً فى ذات الوقت.. لا يكون ماءً وناراً.. متورطاً ومحايداً.. حكيماً ومجنوناً.. رجل لا يكون فى الصباح عاشقاً.. وفى الليل أستاذاً فى الفقه الدستورى.

لكن.. شاءت الأقدار أن تقع فى شخص يجمع بين ما كانت ترفضه.. الحب والبرلمان.. العشق والديمقراطية.. الحكمة والجنون.. الانحياز والحياد.. التحرر والأصولية.. ريش العصافير ودفاتر الشيكات وغطاء السرير.. رابطة العنق السوداء والعناق وتقشير التفاح بالشوكة والسكين.

كان زوجها الأخير قادراً على عجن العشق والذهب معاً.. فتتساقط حبات الفاكهة وأسهم البورصة فى الوقت نفسه من فمها، فتهتز الكرة الأرضية وترتفع أسعار الأراضى الفضاء.. إنه من عائلة تنتمى للصعيد العميق.. نجت أكثر من مرة من الفناء.. نجت أكثر من مرة من معارك وحروب الثأر المدمرة التى أكلت من الرجال أكثر مما أكلت الحروب مع إسرائيل.. وورثت تلك العائلة مراكز سيادية فى رتب الأمن العليا.. وورثت أيضا فى دائرتها عضوية مجلس الشعب منذ عصر الملك فؤاد الأول إلى العصر الذى نعيش فيه.. وكانت تلك

العائلة شديدة التلون حسب لون العصر.. فقد كانت خضراء فى عصر الإقطاع.. وحمراء فى عصر الاشتراكية.. وصفراء فى عصر نهب البنوك.. وتهريب أموالها إلى الخارج.. إنها عائلة لكل العصور.

كان رجلاً يقدر على إقناع المرأة بما يريحها.. لو كانت تستريح للرجل السخى أنفق عليها فى سهرة واحدة كل ما يملك.. ولو كانت تستريح للرجل الأنيق طلب من «بريونى» أغلى بيت أزياء رجالى فى روما أن يرسل له ملابسه بالبريد السريع.. ولو كانت تستريح للرجل القوى أظهر لها نفوذه السياسى.. وتقمص شخصية الزعماء والقادة.. وقد نجح فى السيطرة عليها.. بما كانت تريد وتسعى وتتمنى.. الضمانات العاطفية.. إنها لم تكن فى حاجة إلى ضمانات بنكية.. أو ضمانات عقارية.. وإنما كانت فى حاجة إلى ضمانات المشاعر الجياشة.. القوية.. الحاكمة.. المباشرة.

ومقابل الضمانات العاطفية حصل على قروض بنكية.. وهو ما رفضه الأب.. وقاومه.. وسعى ليخلصها منه.. فقد كان يؤمن بأن هذه الزيجة ستكون بداية النهاية لها ولعائلاتها ولسمعتها البنكية.. هى ستفقد حزمها وشخصيتها القوية.. والبنك سيفقد أمواله وسمعته.. والعائلة ستفقد كل ما بنته وتعبت فيه أكثر من مائة سنة على الأقل.

لكنها لم تأخذ بنصيحة الأب ولم تصدق نبوءته.. وتزوجت من رجل الأعمال وعضو مجلس الشعب المغامر دون إعلان أو صخب.. وانتقل للإقامة معها فى شقتها المكونة من دورين أمام نادى الصيد.. وفى يوم وليلة أصبح متحكماً فى ممتلكاتها وثرواتها التى قدرت بنحو ١٠٠ مليون دولار.. بخلاف المجوهرات التى قدرت بنحو عشرة ملايين دولار.. ولا يدخل فى ذلك العقارات والسيارات والشاليهات.

وفى يوم وقع الأب على ملف من ملفات البنك، أثار قلقه وغضبه.. كان الملف يضم مستندات قرض باسم شركة عقارية يملكها زوج ابنته دون ضمانات ولو

ضعيفة.. لا ضمان واحداً سوى أنه زوج ابنته.. وراح الآب يفتش فى ملفات أخرى.. واكتشف أنه ليس القرض الأول من نوعه.. وبعد سهرات طويلة قرأ فيها الأب مئات الورقات، وضع يده على الجريمة التى ستصبح فيما بعد.. فضيحة.

كانت ابنته توافق لزوجها على إصدار خطابات ضمان من بنكها بملايين الجنيهات، دون أرصدة تغطيها، ليشترى بها مساحات متنوعة ومختلفة من أراضى البناء، وبعد أن يبيعها يقوم بسداد ما أخذ من البنك بعد خصم مكسبه.. ليخرج البنك من المولد بلا حمص.. إلا إذا كان الحمص فى مكان آخر.. فى البيت.. وكانت حجته أن خطاب الضمان مجرد ورقة يصدرها البنك دون أن يغرم شيئاً.. وتكررت مثل هذه العمليات كثيراً.. وكسب من ورائها ملايين الملايين.. بالفهلوة.

ولم تكن هذه هى المفاجأة الوحيدة فيما حدث.. كانت هناك مفاجأة أخرى صاعقة.. وهى.. أن الأب تقدم ببلاغ إلى النيابة ضد ابنته.. وزوجها.. وعملاء آخرين.. وموظفين فى البنك.. وكانت التهمة التى وجهها هى الحصول على تسهيلات وقروض بنكية بطرق غير قانونية.. وكان الأجدى أن يقول: بضمانات عاطفية.. وأرفق الأب مجموعات من شيكات دون رصيد وقعها زوج ابنته.. لم يملك البنك حيالها سوى أن يبلها ويشرب ماءها.

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى يتقدم فيها أب ببلاغ ضد ابنته وزوجها.. لقد سبقت تلك الواقعة واقعة أخرى جرت منذ سنوات.. حين تقدم المساهم الأكبر فى بنك النيل عيسى العيوطى ببلاغ إلى المدعى العام الاشتراكى ضد تسعة من عملاء البنك، على رأسهم محمود عزام زوج ابنته علية.. واتهمهم بالتهمة نفسها.. الحصول على تسهيلات بنكية دون ضمانات قانونية.. وتبين أن محمود عزام - وهو عضو بمجلس الشعب وصاحب شركات عقارية أيضا - سددت مديونياته التى بلغت نحو ٢٢ مليون جنيه و٥ ملايين دولار بشيكات دون رصيد.. وفى الوقت نفسه أرسل عيسى العيوطى طلباً إلى رئيس مجلس الشعب لرفع الحصانة البرلمانية عن محمود عزام.. وبعد قليل أرسل ٣ بلاغات

أخرى للنائب العام طالب فيها بتحريك الدعوى الجنائية ضده.. ولكن المثير للدهشة أن النائب العام- وكان المستشار رجاء العربى- لم يلتفت مبكراً إلى هذه البلاغات.. ثم والمدهش أن عيسى العيوطى أصبح فيماً بعد متهما فى القضية الشهيرة التى عرفت بقضية نواب القروض.

وقد بلغت تعاملات محمود عزام مع بنك النيل طوال ١٦ سنة (فى الفترة ما بين عامى ١٩٧٩ و١٩٩٥) أكثر من مليار جنيه.. وقد كان هو وزوجته علية العيوطى حجر الأساس فى القضية الشهيرة التى هزت الاقتصاد المصرى وعرفت بقضية نواب القروض.. وانتهت بالحكم على علية العيوطى بالسجن ١٥ سنة وعلى زوجها محمود عزام بالسجن عشر سنوات.. وحسب ما جاء فى حيثيات الحكم، فإن المتهمين أسسوا ١٨ شركة.. كل منها ذات رأسمال محدود لا يتعدى عدة آلاف من الجنيهات.. واقترضوا بضمان تلك الشركات الصغيرة مئات الملايين من الجنيهات.

ولكن.. قبل أن تصدر المحكمة حكمها بأسابيع هربت علية العيوطى إلى فرنسا بتصريح رسمى من النائب العام السابق رجاء العربى بدعوى العلاج.. وكانت مدة التصريح أسبوعين.. إلا أنها لم تعد.. بقيت هناك سنوات وسنوات.. وفقدت وزنها وجاذبيتها.. كل أسبوع فى الغربة أضاف إلى عمرها شهراً من التوتر والقلق.. وربما كان مثيراً للشفقة أن نعرف أنها احتفلت بخطوبة صغرى بناتها فى فندق فخم فى باريس تحت حراسة شركة خاصة للأمن وكأنه حفل خطوبة فى عائلة من عائلات المافيا.. حيث الرصاص والموت والزهور معاً.

ولم تستطع علية العيوطى أن تنزل إلى القاهرة لحضور حفل زفاف ابنتها.. وكل ما فعلته أنها استقبلت ابنتها فى باريس واشترت لها فستان الفرح واكتفت بوداعها فى مطار شارل ديجول والدموع تملأ عينيها والخشونة تغطى روحها.. وقد قابلها سعيد سنبل فى المطار فى تلك اللحظة الحزينة.. لكنه لم يعرفها.. لم تعد كما كانت لدرجة أنه لم يعرفها.

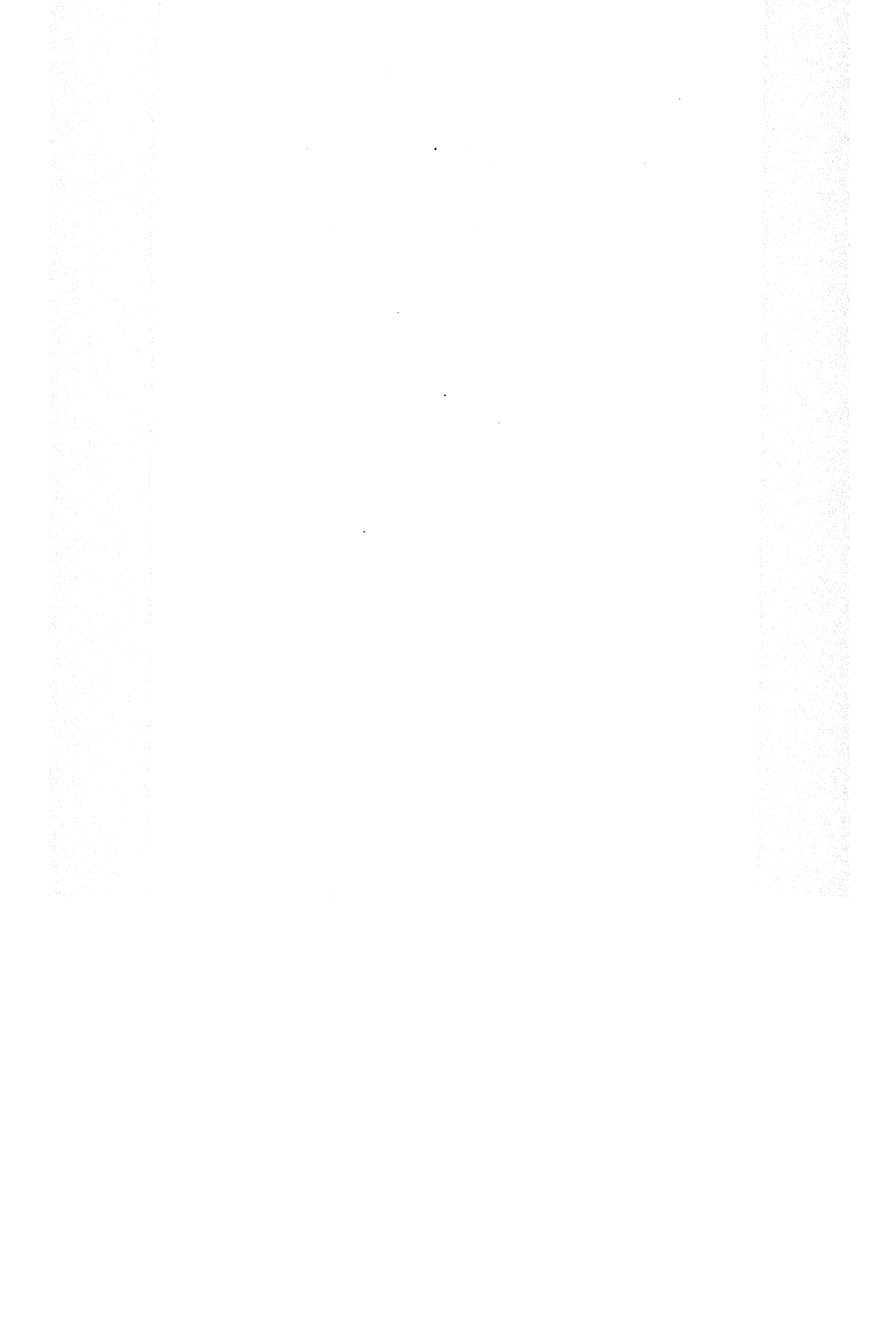
ما حدث فى بنك النيل سبق أن حدث فى البنك الذى نتحدث عنه.. ولكن.. فى قصتنا كانت ردود فعل مختلفة لبلاغ الأب، لم تحدث فى حالة بنك النيل وعيسى العيوطى وابنته وزوجها.. لقد كانت بطلة القصة أكثر شراسة من علية العيوطى.. إنها تملك الثروة والأنوثة والمتعة فلماذا يفسد الأب عليها حياتها؟.. لماذا لا تتخلص منه؟.. اتصلت بواحد من كبار المحامين فى القاهرة وطلبت منه أن يرفع لها دعوى حجر على أبيها.. دفعت له مليون جنيه وقالت له كلمة واحدة: «اتصرف».

ولا نعرف كيف تصرف المحامى الكبير.. لكننا نعرف أن الأب فقد الأهلية بحكم المحكمة.. وسرعان ما فقد أعصابه.. ودخل مستشفى للأمراض النفسية.. فطلبت ابنته مدير المستشفى وقدمت له شيكاً بمليون جنيه وقالت له نفس الكلمة: «اتصرف».. وهذا المرة عرفنا كيف تصرف الطبيب النفسانى المعروف.. قام بنقل الأب على طائرة خاصة للمرضى إلى سويسرا لعلاجه هناك.. ولا يزال الرجل هناك.. صامتاً..لا يتكلم.

أما ابنته فقد فتحت باسمه داراً للأيتام.. وبنت باسم عائلتها مسجداً وداراً لتحفيظ القرآن.. وانضمت للحزب الوطنى.. وفى تشكيل وزارى لم يكن بعيداً رشحت للوزارة.



# ٦-بنات البيزنس



## 6 إمارة عشق الغلمان!

**المرأة فى هذه البقعة من الدنيا هى «منسف» أرز فى صحن بيت أبى لهب.. أو فى مطبخ مضارب أبى جهل.. يغرز فيها الرجل أظافره.. ليأكل ما تصل إليه يداه.. شعرة من الرأس.. نصف شفاة.. قطعة من الصدر.. شريحة من الفخذ.. أو يمكن وصفها بأنها ناقة مذبوحة على باب خيمة شيخ القبيلة.. يصفى دمها.. أو تصفى مشاعرها.. وغالباً ما نضطر إلى استخدام التشبيه السائد الشهير.. إنها جارية تنتحر بأمشاطها وخواتمها وزيوتها العطرية وثيابها الملتصقة على جسدها من شدة الرطوبة والأنوثة.. من شدة العرق والزهق.**

المرأة فى هذه البقعة الحارقة من الدنيا تعانى من الانتظار.. تنتظر ما لا تعرف.. وربما تنتظر ما لا يأتى.. تنتظر أن تكبر.. أن تنضج.. أن تتزوج.. أن تنجب.. وأن تموت.. وبين كل انتظار وانتظار فراغ فى القلب لا ينافسه سوى فراغ الصحراء التى تحاصرها من كل جانب.

والقلب عندما يعانى من الفراغ فإنه يبحث عن الشعر كى يغذيه بالخيال.. وهو ما جعل الشعراء يتسللون إلى مخادع الحريم بالمعلقات.. والمطولات.. التصورات.. والتخيلات التى تغير من طبيعة الأشياء.. فضوء القمر يصبح حليباً للعشاق.. والليل يصبح كحلاً لعين النساء.. ولهيب الشمس يصبح تعبيراً عن حمى الجسد وفوران الرغبة المكتومة.. المقهورة.

أما أفضل وسام تحصل عليه المرأة فهو وصفها بالغزال.. فالغزال رشيق.. لين.. جذاب.. مناور.. يرهق نفسه بالهرب حتى لا يجد أمامه سوى الارتماء فى أحضان من يتربص لاصطياده .

وقد كان وصفها بالغزال الشارد يعجبها.. أما وصفها بالطاووس فكان يشعرها بالتميز.. وإن لم تكن فى حاجة إلى ذلك الشعور.. فهى منذ أن ولدت تملك الأرض والسماء.. الرمال والرجال.. سحب الصيف وعباءة الشتاء.. النخيل والعبيد.. فهى ابنة حاكم الإمارة التى وصفها الشعراء يوم ولدت بأنها ثريا من الكريستال معلقة على سقف القمر.

كانت تلك الإمارة الجبلية المنحوتة من الصخور تشبه القلعة المعلقة فى الهواء.. وهو ما منحها حماية طبيعية، لا تتوافر لمثلها من الإمارات الصحراوية المنتشرة كبقع النمش على جسد الرمال.. ومن مكانها المرتفع، كانت تطل على الطرق التى تمر بها القبائل العابرة من الهند والصين إلى بلاد العرب وإفريقيا محملة بالتوابل والحرير والبخور وخبرة الجنس والموسيقى.. والقبائل العائدة إليها من إفريقيا محملة بالعبيد والصمغ والحيوانات المفترسة.. وكانت تلك القوافل لا تجد مكاناً أفضل من هذه الإمارة كى تستريح.. وفى المقابل كانت تدفع الثمن بعضاً مما تحمل.. عبيداً أو بخوراً.. لا فرق.. موسيقى أو حيوانات متوحشة.. لا مانع.. ومن لا يدفع ينهبوه.. ويقتلوه.. ويتركونا جثمانه وليمة للطيور الجارحة.. عبرة لغيره.

كان قطع الطرق أو حمايتها هو النشاط الاقتصادى والتجارى الوحيد الذى كان يمارسه رجال الإمارة.. فكانوا مثل الحراب الإفريقية القوية لا يغلبهم أشد الخصوم وأكثرهم براعة فى القتال.. لكن.. المدهش أن حاكم الإمارة كان شخصاً رقيقاً.. مهذباً.. يهوى الشعر والموسيقى وجمع الفراشات النادرة وتحنيطها.. وعندما اضطرت بريطانيا العظمى أن توقع معه معاهدة حماية لقواتها المجبرة على المرور بأرضه دعته لزيارة عاصمتها والمكوث فى قصورها ضيفاً على الإمبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس.. وعندما عاد من هناك كان يحمل

معه "كمانا" ليعزف عليه.. وسرعان ما جن بتلك الآلة الموسيقية التى تقطر أوتارها أنغاماً ناعمة تغزل الحرير وتفرض السكينة والاستقرار فى نفسه.

ويبدو أن انشغاله بالكمان جعله لا يقرب شيئاً آخر.. لا مكان الحريم.. ولا شئون السلطة.. ولا أحوال الرعية.. بل إنه تسامح مع كثير من القوافل التى كانت لا تدفع بعضاً مما تحمل، لأنها عرفت نقطة ضعفه، فكانت تكتفى بحمل أوتار جديدة للكمان.. وفى كثير من الأحيان كانت تحمل له آلة موسيقية أخرى.. «عود» من مصر.. «قانون» من سوريا.. «ربابة» من المغرب.. مثلا. وشعر الرجال فى الإمارة بالعجز والفقر والغيظ، وظهرت عليهم أعراض الغضب والتمرد.. واشتكوا للرجل الثانى فى الإمارة.. ابن شقيق الحاكم الذى كان بارعاً فى استخدام الخنجر الذى لا يفارق خصره.. ونقل الشاب إلى عمه الشكوى.. لكنه.. لم يتغير.. كل ما فعل أنه عرض على ابن أخيه الزواج من ابنته.. بطلة القصة.. ولم يستغرق الأمر سوى عدة أيام.. وزفت إليه.. لكنها.. منذ اللحظة الأولى اكتشفت أن فارسها البارع فى القتال، لا يعرف كيف يصرع امرأة فى الفراش.. وأن كل ما يشتهيه هو الغلمان.

أربعون يوماً وهى تحاول.. لكنها.. كانت كمن تستنطق حجرًا.. كمن تغرى شجرة.. كمن تنفخ فى بحر حتى يثور.. شعر الطاووس بالانكسار.. لملم جناحيه وأخفى ريشه ودفن رأسه وغرق فى دموعه.. ولم تجد سوى أبيها لتشكو إليه، وتطلب منه أن يحررها من ذلك المجنون بالغلمان.

والحقيقة أن الميل ناحية الغلمان هو حالة جنسية يعيشها غالبية الرجال فى مثل هذه المجتمعات الصحراوية التى لا تؤمن باختلاط الجنسين.. وتفصل بينهما.. وتعتبر وجود المرأة بين الرجال عاراً لا يمحوه إلا الدم.. لكن.. المجتمعات التى تنزع عنها المرأة كما ينزع الدسم من الحليب هى مجتمعات خشنة.. تتفجر شوكاً.. ومسامير.. وتبدو مثل أشجار قطعت من رحم الحياة لتصبح مجرد قطع خشبية جافة.. وفى هذا الجفاف يبحث الرجال عن بديل للمرأة.. فلا يجدون سوى الغلمان الصغار أمامهم.. فيختار كل رجل منهم

عشيقاً صغيراً يتباهى به.. وينفق عليه حتى يصبح هو نفسه رجلاً يكرر فى غلام غيره ما فعلوه فيه.. وكأن الميل للغلمان هو مرحلة من مراحل الجنس عند رجال هذه المجتمعات ومنهم رجال تلك الإمارة.. على أن هناك بعض الرجال يمكث فى تلك المرحلة الجنسية ولا يغادرها.. فيظل يهوى الغلمان.. ولا يصل نضجه إلى حد اشتهاء المرأة.

لم يتردد حاكم الإمارة فى أن ينحاز إلى ابنته، وقرر أن يطلقها من ابن أخيه ودعاه إلى المسجد كى يصلى الجمعة ويجبره على ما يريد.. وشعر الشاب بالخجل.. فهو ليس مجرد زوج ابنة الحاكم وإنما وريثه وولى عهده أيضاً.. ولو حدث ما يتصوره بعد الصلاة فإنه سيفقد هيبته وسلطته.. ولن يكون أمامه سوى أن يلقى بنفسه فى حفرة صحراوية دون طعام أو شراب كى يموت.

ما إن انتهت الصلاة وتوجه الرجال بالدعاء إلى الله، حتى قام ولى العهد من جوار عمه وقبّل يده ثم أخرج خنجره وطعنه فى قلبه طعنة كانت قاتلة.. أفقدته الحياة فى نصف دقيقة.. وصعد الشاب إلى المنبر.. وأعلن نفسه حاكماً وأميراً.. وخليفة للمسلمين فى بلاده.. ولم يجد من يعترض على ما فعل.. فقد أصبح القانون والعدالة والقصاص والسلطة العليا فى الإمارة.

انكمشت زوجته فى مكان بعيد عن البشر.. لا تتصل بأحد.. ولا يتصل بها أحد.. ولم تكن تتحدث إلا مع سكرتيرتها وكاتمة أسرارها.. مصرية من شبرا.. نصفها من الصعيد والنصف الآخر من صقلية.. بضة.. كلبوظة.. خفيفة الظل.. صورة شبيهة من ليلى علوى.. تجيد تنفيذ كل ما يطلب منها.. وقد جاءت مع شقيقها الذى كان طاهياً للأمير.

لم تكن بنت شبرا تفتح فمها لتروى كل ما يجرى حولها.. كتمت أنفاسها تماماً.. وحفظت السر الأعظم للأمير الجديد.. وهو سر يصعب تصديقه.. لكن.. كل الشواهد كانت تؤكد وجوده.

فى كل مرة كان يكتمل فيها القمر، كان رجال الإمارة يصعدون إلى قصر

الحكم ومعهم أبناؤهم.. الغلمان الذين لم يبلغوا بعد.. غلمان تتراوح أعمارهم بين ثمانى وعشر سنوات.. يعرضونهم على صاحب السمو ليختار من بينهم من يفضل، ليكونوا عشاقاً له.. وكانت طاقة القدر تفتح للرجل الذى يختار الأمير ابنه.. فهو سيحصل على صرة من الذهب الخالص تنقل حياته إلى مستوى آخر.. مرتفع.. أما من يعود بابنه فكان يشعر بأن الدنيا قد اسودت فى عينيه.. وأن الفقر سيظل يعشش على بيته.

وقد تضاعف ذلك الشعور بعد أن انفجر البترول فى الإمارة وأصبحت كل حقوله ملكاً للأمير.. لقد تحولت مكافأة الغلام الذى يقع عليه الاختيار إلى ما هو أكثر من صرة الذهب.. أراضٍ.. بيوت.. سيارات.. وحسابات فى البنوك بالعملات الصعبة.

أما الغلمان فكانوا يمرون بمراحل متنوعة فى علاقتهم بالأمير.. يضاجعهم بدلاً من الحريم.. وفى الوقت نفسه يدربهم على فنون القتال ليحموه إذا ما وصلوا إلى سن الرجولة ولم يعودوا يصلحون لمهمتهم الأولى.. واللافت للنظر أنهم كانوا يتمتعون بشراسة هائلة وهم فى سن الحراسة والحماية.. فإذا ما كبروا على تلك المهمة.. فإن الأمير يحقق لهم آخر أمنية.. وربما أغلى أمنية.. يحقق لهم الأمنية التى تجعلهم أثرياء من علية القوم.. من يرد أن يفتح بنكاً يفتح له بنكاً.. من يرد أن يتاجر فى شىء يفتح له وكالة فيه.. من يرد أن يضع مالاً فى بنك يعيش من ريعه ينفذ له ما شاء.

لكن.. المفاجأة التى لم تكن تخطر على بال أحد.. أن الأمير وقع فى هوى «الكمان» التى كان يملكها عمه وضيعت حياته.. أمسك بها ذات مرة.. وحاول العزف عليها.. لكنه.. فشل.. فجاء بموسيقار إنجليزى ليعلمه.. لكنه.. فشل أيضاً.. فكان أن تحول إلى مستمع.. كان يأتى بأشهر العازفين ليستمع إليهم.. ثم.. فهم أن الكمان وحده لا يكفى.. فالموسيقى هى حكاية مشتركة ترويها عائلة مختلفة من الآلات الموسيقية.. فكان أن قرر تكوين أكثر من فرقة موسيقية.. وفتح فى بلاده معهداً لتدريب الموهوبين.. ثم.. فهم أن الموسيقى لا

تكتمل إلا بفنون أخرى.. فالسيمفونية تحتاج إلى لوحة وقصيدة ومقالة وصحيفة ومطبعة ومدرسة وجامعة وعيادة وسينما ومسرح.

شهدت الإمارة نهضة شاملة بدأت بعشق الأمير للكمان وعجزه فى العزف عليه.. إن العجز قد يحدث انقلاباً فى الحياة إذا ما أراد صاحبه تجاوزه وتغطيته وإبعاد الآخرين عن النظر إليه.. لقد أصبحت الإمارة دولة عصرية.. طرقاً تشق بطون الجبال.. موانئ تستقبل أكبر السفن.. أسواقاً عامرة بكل ما فى الدنيا من سلع راقية.. مسارح مزدهرة تعرض على خشبتها المترجمات العالمية.. وموسيقى كلاسيكية فى الشوارع والحدائق يعزفها أمهر الموسيقيين فى لندن وبرلين ونيويورك.. لم يبخل الأمير على شعبه.. أعطاه نصيبه كاملاً من النفط الذى حول الصحراء إلى واحة من الجنة.

لكن.. كل تلك النهضة بدت ديكوراً فى استوديو سينما بالنسبة للأميرة المعزولة المحرومة من المتعة الطبيعية.. فلا هى قادرة على إقناع زوجها بتغيير ما يهوى وما يشتهى.. ولا هى قادرة على أن تمارس ما تحلم به مع رجل آخر.. لا أحد يرحمها.. ولا أحد يترك رحمة السماء تهبط عليها.. وفى الحالة التى كانت تعيشها لم تجد أمامها طاقة نور سوى سكرتيرتها المصرية.

كانت تلك السكرتيرة شابة هى الأخرى.. تحلم بالحب.. وتنتظر من يحقق لها الحلم.. وفى ظل أزمة اقتصادية خانقة تعيشها بلادها تحول الحب إلى عبء مر.. مكلف.. فهو يريد أن يأكل ويشرب ويدخن ويسكن ويلبس ويسافر ويشاهد السينما ويركب سيارة.. وكل ذلك يحتاج إلى مال.. والمال فى بلاد النفط.. فلتسافر إليها.. لتعود ومعها المال.. وساعتها ستجد مليون شاب ينتظرها فى المطار وهم راكعون لها.

لم يكن من الصعب الحصول على ما تريد من مال.. لكنها.. كلما حصلت على حاجتها منه زادت رغبتها فيه.. وأمام المال الذى بدأ يجرى فى يدها، لم تتردد فى أن تفعل أشياء لم تخطر على بالها.. فى البداية كانت تنظم مواعيد

سيدتها.. ثم اقتربت منها أكثر لتصبح جليسة لها.. ثم اقتربت أكثر وأكثر لتصبح صديقة.. وفى لحظة ما تحولت إلى عشيقة.. فلو كان الرجال مشغولين بالغلمان، فما الذى على النساء أن تفعله سوى أن يعاشرن أنفسهن وصاحباتهن ومن يرحمهن.

وعرفت بنت شبرا البريئة أن هناك تراثاً عريقاً فى السحاق تحظى به تلك الإمارة.. هناك طرق وطقوس وأساليب متوارثة اخترعتها المرأة المحرومة من الرجال منذ مئات السنين.. بعضها مسجل فى لوحات مرسومة بالخطوط الهندية.. ومكتوب فى القاموس الجنسى الشهير للهنود.. «الكاما سوترا».

لكن.. الأميرة الصحراوية لم تكن تشعر بالرضاء الكامل.. ولا بالإشباع الكامل.. إن الرجل بالنسبة لها هو الشهوة الغائبة.. التفاحة المحرمة.. الصداع الذى لا تعرف علاجاً له.. الزكام المزمن الذى لا تشفى منه.. وفكرت فى أن تبحث عن أقراص مسكنة بعيداً عن بلدها.. ذلك البلد الذى يبدو مثل شقة مفروشة يسكنها شخص واحد.. يسكر طوال الليل.. ويطلق النار على الأنوثة.. والضفائر المعطرة.. ويفرض الحزن المكرر على النساء.. وعلى أضلاعهن المكسورة.

سافرت صديقتها المصرية معها.. تنكرتا فى ملابس الجينز و«تى شيرتات» المراهقين وتسكعتا فى الشوارع والبارات والمطاعم وملاهى الرقص.. لكنها.. لم تقبل أن تهين جسدها بزيارة عابرة من رجل مجهول لا تعرف عنه شيئاً.. وفى كل ليلة لم يكن أمامها سوى رفيقتها المصرية.. وتكرر رفض الرجال.. وزاد إقبالها على المرأة الوحيدة فى حياتها.

لكن.. المرأة الوحيدة تعبت من تمثيل دور الرجل.. لم تعد تستطيع.. لم يعد لديها مبرر للاستمرار.. فقد أصبحت شديدة الثراء.. وقررت العودة إلى مصر لتبحث عن الرجل الذى كانت تحلم به.. وغضبت الأميرة وهاجت فور أن سمعت قرارها.. وفى ذروة الانفعال اتجهت إلى جناح والدها.. وفتحت خزانة

أسلحته.. وأمسكت بمسدس كان يهوى تنظيفه.. وحشته بالرصاص.. واتجهت إلى جناح زوجها.. لتقتله.. هو الذى فعل بها كل ذلك.. ولابد أن تنتقم منه.. لكنها قبل أن تذهب إليه فوجئت به أمامها.. كان وجهه بارداً كأنه مصنوع من الشمع.. يتكلم وكأنه إنسان آلى مبرمج على كلمات قليلة محددة.. صرخت فى وجهه: "طلقنى أو أطلق عليك النار".. أعطاها ظهره ومشى.. ضغطت على الزناد.. بصعوبة تلافى الرصاصة.. ونظر إليها نظرة طويلة جامدة وألقى عليها يمين الطلاق.

فى تلك الساعة وافقت أن تعود رفيقتها إلى القاهرة.. بل إنها منحتها شيكاً بمليون دولار.. قيمة مشاركتها فى مشروعاتها السياحية التى كانت تفكر فى إقامتها فى بلادها.. وركبت بنت شبرا الطائرة.. وراحت تحلم بطابور الرجال الراكعين فى انتظارها تحت مهبط الطائرة.. لكنها.. لم تجد سوى عمارات شاهقة من الأسمنت، وزحام يقتل الأعصاب، وفقراء يتسولون أبسط الأشياء.. لقد تغير كل شىء كانت تعرفه.. لكنها هى أيضا تغيرت.. لقد تجاوزت الخامسة والثلاثين من عمرها.. وازدادت بدانة.. وبدأت تشعر بالخوف من أى رجل عابر يقترب منها.. وفى اليوم التالى تساءلت بينها وبين نفسها: هل فقدت شهيتها للرجال؟.

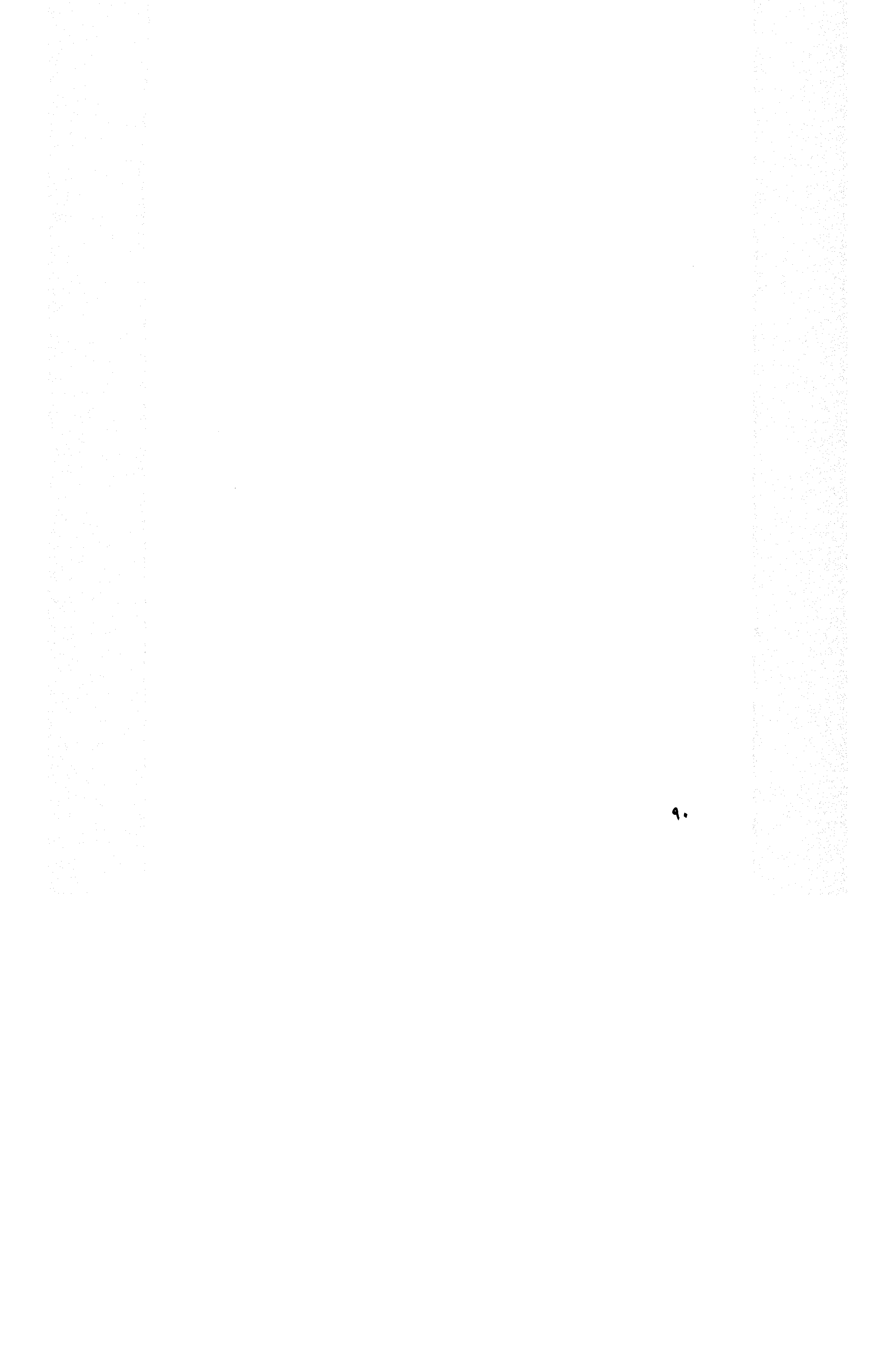
لم تنزل فى بيت عائلتها.. البيت لم يعد يليق بها.. نزلت فى فندق شهير على النيل.. تمددت فى جناح كبير.. وحيدة.. فلا هى تعرف ما الذى جرى لصديقاتها اللاتى فقدت كل ما كانت تعرفه عنهن.. ولا أحد تبقى من عائلتها القريبة إلا شقيقها الذى كان لا يزال يتفنن فى إعداد الطعام لصاحب السمو.. حاكم الإمارة.. ونزلت تسهر فى الملهى الليلى.. ولمحها مطرب معروف بقدرته على اصطياد النساء وإقناعهن بالانفاق عليه.. وقبل أن تنتهى السهرة كان يضعها فى جيبه.

تزوجها على سنة الله ورسوله.. وقضيا أياماً حلوة فى الغردقة.. وخلال تلك الأيام، كان قد رسم خطته كى يستولى على كل ما تملك.. بسهولة وكلته فى تنفيذ

كل خطوات مشروعها.. وقبل أن ينتهى الأسبوع الأول.. فوجئت به يفتعل مشاجرة معها.. ويضربها.. ويطردها من جنته.. ولم يكن من الصعب اكتشاف ما فعل.. وسقطت من طولها، لتجد نفسها فى مصحة للأمراض النفسية.. أوصلها إليها بنفسه.. وكان كريماً معها.. فقد دفع مبلغاً مناسباً تحت حساب العلاج.

خرجت من المصحة لتطلب منه طلباً واحداً: أن يقرضها ثمن تذكرة الطائرة إلى حيث كانت، لتعود إلى الأميرة.. ووافق بعد أن كتبت له إيصال أمانة بعشرة أضعاف المبلغ.. وفى المطار تأكدت بينها وبين نفسها أنها بالفعل فقدت شهيتها للرجال.

ما إن وصلت إلى جناح الأميرة حتى فوجئت بها فى انتظارها.. كان هناك شىء غامض يحدث بينهما.. لكن.. ما إن وجدت كل منهما نفسها فى أحضان الأخرى حتى تحول الشىء الغامض إلى شىء مكشوف.. فى نفس واحد قالت كل منها لرفيقتها: "شعرت بالوحشة بدونك".. وغابا معا عن الوعى.





# ٧- بنات البيزنس

7

## امرأة فى زجاجة «بارفان» على مكتب رئيس الجمهورية

**تعود الرئيس أنور السادات أن يتناول ملعقة من عسل النحل مخلوطاً بغذاء الملكات.. يصل إليه طازجاً من بلدته " ميت أبو الكوم ".. ثم يشرب فنجاناً من الشاى الأسود.. غير المخلوط بالحليب.. ويقوم لممارسة رياضة المشى فى حديقة بيته المطل على السفارة السوفيتية وفندق شيراتون والعمارة التى يسكن فيها محمد حسنين هيكل.. وفى ذلك الوقت، يكون سكرتيره وكاتم أسراره فوزى عبد الحافظ قد استعد بورقة صغيرة، فيها أهم ما جرى فى البلاد وهو نائم.. وأهم المواعيد التى لم يكن من الممكن التخلص منها.**

ولم يكن ذلك الفلاح المصرى الأسمر الذى تجرى فى عروقه مياه النيل مناصفة بين أمه السودانية وأبيه المصرى، يميل كثيراً لقراءة التقارير والدراسات المزعجة التى تصدعه بها الأجهزة المختلفة. وكان يؤمن بأن هذه الأوراق، بكل ما فيها من أخبار سيئة، هى التى قتلت سلفه جمال عبد الناصر وهو فى بداية الخمسينيات من عمره.. بل أكثر من ذلك لم يكن أنور السادات يطيل بقاءه فى مكتبه.. خوفاً من أن يقتلوه بعمل زائد خانق، يحرمه من الهواء الطلق الذى يمنحه طاقة متجددة.. خاصة أنه لم يكن يميل كثيراً للطعام الدسم.. بل كان يحرص على رشاقته بتناول أنواع من الخبز والمكرونة خالية من النشويات وإن كان طعمها مؤلماً.. مثل " نشارة الخشب ".. وأغلب الظن أنه كان يبرر بذلك الوصف كأس الفودكا الذى يشربه مرة واحدة على الطريقة

الروسية فى منتصف النهار، ليعطيه شحنة فجائية من النشاط، تسرى فى عروقه بفعل المشروب الثقيل الذى كان لا يترك أثراً لرائحة خمر فى الفم، تكشفه وهو يتكلم مع زواره.. خاصة أنه كان قد رفع فى بداية حكمه شعار «دولة العلم والإيمان».. وأضاف فى الدستور الذى غيره فور أن تولى السلطة أن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر التشريع.. وعندما اصطدم مع رأس الكنيسة المصرية، لم يتردد فى القول: إنه رئيس مسلم فى دولة مسلمة.

لم تكن كأس الفودكا التى يتناولها فى منتصف النهار هى الكأس الوحيدة التى يفرغها فى جوفه.. فبعد العشاء كان يتناول كأسين من الفودكا.. وقبل أن ينام كان يدخل قاعة السينما ليشاهد، مع بعض ضيوفه المقربين، فيلماً أمريكياً وفى يده كأس من الويسكى.. وغالباً ما كان يترك ضيوفه ليكملوا الفيلم ويستأذن منهم لينام مبكراً.

إن هناك من يسكر بالويسكى.. وهناك من يسكر بالفودكا.. وهناك من يسكر بالنبيذ.. لكن.. أنور السادات كان يسكر بالسلطة.. بالاستمتاع بالسلطة.. خاصة أنه لم يصدق فى يوم من الأيام، وعلى مدى سنوات طويلة، أن يصل كأسها إلى شفتيه.

فى ذلك اليوم تغير برنامج أنور السادات.. لم يتناول سوى ملعقة العسل وكوب الشاى الأسود.. وأمسك بسماعة التليفون وطلب من الرجل الذى كان على الطرف الآخر أن يأتى له على الفور.

كان ذلك الشخص واحداً من رجال الأعمال المقربين من أنور السادات.. بل واحداً من مستشاريه السياسيين الذين أخذ رأيهم فى كل القرارات الانقلابية التى اتخذها على طريقته الشهيرة: الصدمات الكهربائية الصاعقة.. مساندة الجماعات الإسلامية المتطرفة التى استخدمها لسحق الحركات اليسارية والناصرية المعارضة له.. رفع الدعم عن السلع الاساسية فى حركة مباغتة انتهت بمظاهرات الجوع فى شتاء ١٩٧٧.. والسفر إلى إسرائيل فى خريف تلك السنة السوداء التى كانت بداية العد التنازلى له.

جـرب ذلك الرجل الفـقـر الذى يصـفـه المصـريون بالفـقـر " الدكـر ".. وعـرف بذكـائه الفطرى كـيف يصـبـح ثرياً حتى فى سنوات حكم جمـال عـبـد الناصـر الذى خنق الأغنياء حتى انخفضوا وساند الفقراء حتى ارتفعوا.. وفى منتصف المسـافة، كانت هنـاك طبقـة عـريضـة منتعشـة ومتسـعـة.. لقـد ولد على أطراف الأحياء الراقية فى مدينة بورسعيد.. وعمل صبياً فى ورشة خراطة.. وبائعاً للتحف الرخيصة على مراكب السياح التى تقف ساعات فى الميناء، قبل أن تأخـذ طريقـهـا إلى مـدينـة السـويس عـبـر القنـاة.. وعندمـا سـافـر إلى القـاهـرة ليدرس التجـارة فى جامعتها، لم يتردد فى أن يعمل سائقاً على تاكسى.. وبواباً فى عمارة مقابل توفير غرفة النوم.. وعندما تخرج محاسباً.. ألقى بشهادته فى النيل وهو يعبر كوبرى الجامعة متجها لغرفته المتواضعة فى المنيل.

ذات يوم قرأ تجربة مليونير أمريكى فى مجلة المختار.. كان المليونير فقيراً مثله.. لا يجد لقمة.. ولا مأوى.. ولا صابونة يستحم بها.. لكنه.. اكتشف أن أفضل وأسرع وأنجح استثمار هو بيع سلعة للبسطاء تشعرهم بأنهم أغنياء.. تشعرهم بأنهم مثلهم مثل غيرهم من البشر الذين يطفون فوق سطح الحياة.. قرأ تلك النصيحة من شبيهه الأمريكى، وراح يفكر فى كيفية تطبيقها فى مصر؟.

جاءته الفكرة وهو يشم رائحته.. كيف تكون هناك عطور وأدوات تجميل رخيصة، تجعل سكان القبور يشعرون وكأنهم فى قصور؟!.. إن المرأة تكاد تفقد صوابها أمام زجاجة «بارفان».. والرجل يتباهى بأن ماركة القميص من ماركة كريم الحلاقة نفسها.. ولا فرق فى تلك المشاعر بين أميرة وخادمة.. بين مليونير وسائقه.. ولكن.. كيف يمكن أن يحقق فكرته وهو لا يملك ثمن سيجارة يدخنها؟.

خطرت بباله أمه.. إنها تدخر منذ سنوات طوال مبلغاً من المال يصلح لأشياء كثيرة: أن تحج.. أن تستر ابنتها الوحيدة وتزوجها.. أو يكون ثمناً لكفنها. ولم تقاوم الأم.. ومنحته تحويشة العمر.. إنه لا يتمتع بموهبة الكلام الملون.. المقنع.. ويبدو لمن يسمعه أنه مشتت الحروف.. فاقد التركيز.. لكنه..

كان يقدر فى النهاية أن يصل إلى ما يريد.. وقد استأجر بدروماً عريضاً بدأ فيه مشروعه.. ولم تمر سنوات قليلة حتى وضع يده على مفتاح الثراء.. ووصل بثرائه إلى حد الخطر.. خطر التأميم.. لكن.. التأميم كان له سبب آخر.. أهم وأخطر.. إنه اتهم بتسريب معلومات إلى السعوديين عن جمال عبد الناصر، استخدمت فى تدبير محاولة لاغتياله.. محاولة دفع فيها الملك سعود بن عبدالعزيز ملايين الدولارات لعبد الحميد السراج كى ينفذه.. لكن.. مسئول المخابرات السورى فى سنوات الوحدة بين مصر وسوريا جاء بالشيك إلى القاهرة.. وفضح كل ما يعرف من معلومات.. ومنها أن هناك رجل أعمال مصرياً يصدر «البرفانات» إلى السعودية قال بعض رجال الملك فى جدة، وهو يحج- وقدم لهم خريطة لموقع بيت جمال عبد الناصر.. ورغم أن التحقيق معه لم يتوصل إلى إدانته.. فإنه ظل على القائمة السوداء لأجهزة الأمن السياسى فى مصر.. لم يخرجه منها سوى أنور السادات الذى كان قد التقى به فى الرياض وهو مسئول عن منظمة المؤتمر الإسلامى.. فقد نشأت بينهما علاقة صداقة قوية.. علاقة أسست فى مصر، فيما بعد، ذلك التزاوج القوى والنسب المؤثر بين الثروة والسلطة.. السلطة تأخذ من الثروة نصيبها.. والثروة تأخذ من السلطة حمايتها.

بعد أن تولى أنور السادات السلطة، لم يكتف صديقه بتجارة العطور.. لقد أصبح واحداً من أهم رجال الرئيس غير المعينين فى منصب.. هو الذى أقنعه بفتح النيران على جمال عبد الناصر.. وهو الذى شجعه على سياسة الانفتاح الاقتصادى.. وهو الذى مد جسوره مع السعوديين وإعادة الإخوان المسلمين.. لتحل الثروة النفطية محل الثورة الوطنية.. وهو الذى أقنعه بتزويج البنات من أبناء العائلات.. وهو الذى أقنعه بأن من يخاصم أمريكا كمن يخاصم الله.. فذهب إليها وهو يحمل كفنه على يديه.

ولم يكن من الصعب على أحد أن يستوعب سر العلاقة بينه وبين الرأس الكبير فى الدولة.. وهو ما جعله وسيطاً وسمساراً بينه وبين المغامرين

والطبالين والزمارين والأفاقين الذين وجدوا أن من لن يحصل على نصيبه من نهب مصر، فى هذه الأيام، لن يحصل عليه فيما بعد أبداً.. ورغم أن تصورهم كان خائباً، فإن الكل اندفع نحو المشروعات الوهمية.. والصفقات المغشوشة.. واللعب بالبيضة والحجر.. وكان ذلك الرجل هو المفتاح الذى يفتح أصعب الأبواب المغلقة.

لكن.. ذلك الرجل الذى وضع مصر بين أظافره وأنيابه لم يكن يعرف كيف يستمتع بحياته.. إن أموال قارون وفورد وساويرس وبيل جيتس لا تكفى لتعليم شخص، نحل الفقر جلده، كيف يختار ألوان ثيابه أو رشاقة كلماته أو نوعية أطباق طعامه.. كل ما كان يشعره بالقوة والأهمية حرصه على تدخين السيجار الكوبى من عينة برتاجاس أو كوهيبة أو روميو وجوليت.. كان السيجار السميك بين أصابعه يكفيه كى يرى نفسه أهم رجل فى العالم.. ولم تكن علاقته بالنساء بأفضل من علاقته بباقى الأشياء.. إن المرأة بالنسبة له كانت لا تزيد على جارية تنتظر فى مقاصير الحريم.. أو فندق يحمل إليه حقائبه.. أو لعبة يتسلى بها خلف الكواليس.. وقد كان يشترى هذه اللعبة من الأسواق الشعبية عندما كان فقيراً.. وأصبح يشتريها من البوتيكات الغالية بعد أن أصبح واحداً من أغنى الأغنياء.

على أن لا شىء يغرى امرأة تتذوق الرجال وتفهم فيهم أن تقترب منه أو تتصور نفسها عارية معه فى الفراش.. أما المرأة التى تجن بالحياة المرفهة فلا مانع لديها أن يتحول جسدها إلى صفقة معروضة فى البورصة أو مذبح رجال السلطة.. وكانت المذيعة التليفزيونية الساحرة واحدة منهن.

كانت هى أيضاً قادمة من عالم الفقر " الدكر ".. عاشت فى بيت مثل عشة الفراخ.. لو فتحت باب المطبخ لابد من غلق باب حجرة النوم.. ولو فتحت نافذة الحمام كشف الجيران ما يجرى فى الصالة.. لكنها.. كانت فتاة شديدة الجاذبية.. بشرتها مغسولة بحليب القمر.. وعيناها مختارتان بعناية من مجموعة جواهر نادرة اسمها عيون الليل.. وجسدها ممشوق مثل عود

الخيزران.. إنها حبة صغيرة يمكن للرجل أن يبتلعها قبل النوم.. فلو تركها للصباح، شعر بأن كل رجال الدنيا يفكرون فى قتله ليخطفوها منه.

لم تكن أسرتها الصغيرة معدمة فى البداية.. لكن.. الأب الذى كان من بقايا إقطاع الأرض، تركها هى وأمها وهرب مع ممثلة كومبارس، راهنت على نقوده كى يحولها إلى نجمة.. اختفى الأب.. دون أن تعرف.. هل مات.. أم هاجر.. أم دخل مصحة عقلية؟!.. أما الأم التى كانت موظفة فى حضانة أطفال فقد قنعت بمصيرها.. وأخذت ابنتها فى حضنها.. ونزلت من شقة على النيل إلى بدروم تحت الأرض.. لكن.. الأهم أنها شعرت بأن مسئوليتها صعبة.. فهى ليست فقط الأم التى تربى، وإنما الأب الذى ينفق ويرعى ويخيف.. وما ضاعف من قسوتها أن ابنتها لو دخلت مسابقة جمال الكون لوضعت التاج على رأسها.. إن الجمال فى مثل هذه الحالة عبء زائد.. فقد خسرت الأم زوجها بالهرب وليست على استعداد أن تخسر ابنتها بالفضيحة.. فكانت تعاملها وكأنها مجندة فى جيش.. كل شىء بموعد صارم.. الدخول والخروج.. النوم والمذاكرة.. الطعام والحمام.. لا ساعة إجازة خارج البيت دون إذن.. لقد أجبرتها على أن تمشى على العجين دون أن تلخبطه.. ولم يسلم الأمر من الضرب وشد الشعر ومسح البلاط بها لو تجاوزت وارتكبت أبسط هفوة.

وفتح التليفزيون أبوابه.. ولم يكن من السهل رفضها.. فليس فيها خطأ ظاهر.. وراحت تقدم برامج الأطفال فى البداية.. وكان ذلك يسعدها كثيراً.. إنها تعوض باللعب التى تمرح به مع الصغار ما حرمت منه.. وكثيراً ماضبطت نفسها مندمجة فيما تفعل.. وقد تصور الناس أن ذلك براعة منها.. لكن.. الحقيقة أنها كانت تعيش مرحلة ضائعة من حياتها.

وقد بقيت هذه المرحلة الضائعة تطاردها فى حياتها العاطفية.. فالرجل الذى بهر بها وأحبها واشتهاها لم يفهم أنها لا تزال من الناحية النفسية طفلة خائفة.. محرومة.. ملهوفة على تعويض ما فاتها من ثياب ولعب ومكياج وأحذية.. وغيرها.. تفقد صوابها أمام أشياء منها.. ولا تتردد فى استخدام

نجوميتها فى أن تطلبها.. والأخطر أن هذه الأشياء كبرت.. لم تعد أشياء الطفولة، وإنما أصبحت أشياء الأنوثة: مجوهرات.. سيارات.. بيوت.. حسابات فى البنك.. أصبحت شرهة لكل مظاهر الثراء.. ولم تكن تعرف إلا أصحاب الثروات.. لم يعرف الرجل الذى تزوجها ذلك.. لم يعرف أنها لن تحبه إلا بقدر ما يعطيها من هذه الأشياء.. أو بدقة أكثر أنها ستتصور أنها تعطيه ما يريد.. لكنها فى الحقيقة، لم تكن تشعر بمتعة وهى معه بجسدها.. بل إنها كانت تتعذب إذا ما اقترب منها.. وذات مرة وهو فى ذروة الرغبة - وهى لا تشعر به - شدها من شعرها.. وجرجرها على الأرض.. وضربها.. ويمكن القول إنه اغتصبها.. فى هذه اللحظة وجدت نفسها تعطى.. لقد عودتها أمها على الضرب.. ولابد أن يكرر زوجها الشىء نفسه.

على أن المشكلة الأكبر، كانت فى مساحة الحرج الشاسعة التى تضع زوجها فيها بسبب شبقها الجارف لكل ما يملكه غيرها.. إن بعض الناس يأكل ولا يشبع.. والبعض الآخر يأخذ ولا يشبع.. حالة من الشعور بعدم الأمان.. جوع تاريخى إلى الأشياء.. لعاب لا يتوقف عن السيل لما فى الشوارع من سيارات.. وما فى صدور النساء من مجوهرات.. وما فى إعلانات المجلات من أشياء ملونة مبهرة.. وحاول زوجها أن يجاريها فيما تريد.. خاصة أنها لم تكن تميل إليه إلا إذا وضع أمامها هدية مغرية.. ولكنه.. فشل.. فما كان منه إلا أن طلقها.. وأخذ ابنته وسافر ليعمل فى سويسرا.. وأمام الوجه الملائكى الذى تتمتع به، كان من السهل إقناع الناس أن الله أنقذها من ذلك الوحش الشرس.

لكن.. الحقيقة أن الرجل كان معذوراً.. ليس فقط بسبب الجحيم النفسى الذى وجد نفسه عاجزاً عن الفرار منه، وإنما لأن رائحة ما بدأت تفوح فى عالم النميمة السرى.. أن زوجته تصاحب أميرة سعودية من البيت المالك إلى حد يؤلم رجولته.. وأن ذلك لم يكن صعباً عليها.. فقد كان يكفى أن تضع لها مفاتيح سيارة كاديلاك كى تجد نفسها غارقة فى لحم الأميرة التى كانت تبدو مثل الثلاجة ثلاثين قدماً.. والمثير للدهشة أنه عندما سألها عما يشاع لم

تتردد فى تأكيده.. لقد تربت منذ صغرها على ألا تكذب.. الكذب جريمة كانت تعاقب عليها وهى طفلة بالحرمان من طعام العشاء ليلة كاملة.

وجربت حظها مرة أخرى.. تزوجت شاباً قريباً للسلطة، فى وقت أصبحت فيه السلطة بما تمنح من أراض وموافقات وتأشيرات هى أهم مصدر للثروة.. شاباً يدير شئون رئيس الحكومةً الخاصة.. لكنه.. لم يستفد من منصبه.. ولم يكن يملك سوى راتبه.. ولم يكن يقدر على مواجهة تطلعاتها.. فكان الطلاق أمراً لا مفر منه.. وقد توقعت ذلك فى الشهر الأول للزواج.. فحرصت على ألا تنجب منه.

وجربت حظها مرة ثالثة.. لكنها هذه المرة «وقعت واقفة».. فقد تزوجت من مقاول سعودى منفلت الثراء.. وقبلت أن تكون زوجته الثالثة.. فهى لا تريد منه شفتيه.. تريد محفظته.. ووافقت على الاعتزال.. وتغطية رأسها بالحجاب.. لكن.. ثمرة التفاح التى جنَّ بها.. ودفع فيها دم قلبه.. كانت بلا طعم.. فكان أن حملت لقب مطلقة لثالث مرة.. طلقت بالثلاثة.. من ثلاثة.

ولم يكن من الصعب عليها، أن تتعرف على ذلك الرجل الكبير.. القريب من أنور السادات.. فسحر أمواله جذبها إليه.. وسحر جمالها أفقده المقاومة.. وقد كان سهلاً عليه أن يضع يده على مفاتيحها.. بيت ريفى فى المريوطية كان كفيلاً أن يفقدها صوابها.. ويقنعها بخلع ثيابها.. ومع موهبتها القادرة على تمثيل العشيقة.. شعر الرجل الذى تجاوز الستين بأنه سيد الفراش.. وربما لا أحد يعلم، أن ذلك البيت الريفى، الذى على أطراف القاهرة، كان ملكاً للإصلاح الزراعى منحه لها بنفوذه.. وبتأشيرة من وزير الزراعة الذى عينه بنفسه فى الحكومة.. لقد كان يستمتع بحياته على حساب الدولة.

وتكررت اللقاءات.. وتكررت التأشيرات.. قطعة أرض فى المنطقة الصناعية بمدينة من المدن الجديدة باعتها لرجل أعمال، صدَّق الانفتاح الاقتصادى، وجاء يستثمر أمواله التى جمعها فى الخليج.. عشرة إيصالات بسيارات فيات

ينتجها القطاع العام ويفوق الطلب عليها ما هو معروض منها.. وقد باعتها فى السوق السوداء.. وكسبت ما يرضيها.. اذونات استيراد أسمنت وحديد تسليح كان الطلب عليها لا يتوقف.. باعتها أيضا فى السوق السوداء.. وكسبت منها ما فرض الابتسامة على وجهها.

وبعد أن كانت تطلب ما يخطر على بالها.. أو ما ينصحها به مالك المصباح السحرى.. أصبحت تسأل عما يحتاجه السوق كى تطلبه منه.. راحت تشمشم مطالب رجال الأعمال كى تنفذها لمن يدفع أكثر.. وبعد أن كانت تجمع المعلومات بمفردها، طلبت من صديقاتها المساعدة.. كونت مكتباً بشرياً ليحدد مطالبها من الرجل الذى لا أحد يقول له: " لا ".. وبعد أن كانت المعلومات التى تحصل عليها مجانية أصبحت مقابل خدمات تؤديها لصاحباتها.. فحتى العمولة لم تكن تدفعها من جيبها.

ولم يكن من الصعب على باقى رجال الرئيس أن يعرفوا بتلك العلاقة.. وأن يتندروا بها.. وعندما وصل تقرير إلى أنور السادات بما يفعل، سأله عن الحقيقة، وهما يتمشيان بعد المغرب فى الاستراحة الرسمية فى القناطر الخيرية.. وكانت الإجابة غير مفهومة.. على طريقة صاحبها فى عدم إكمال الجملة مرة واحدة.. وتقطيعها إلى حروف وكلمات متناثرة، تحتاج إلى جهد شاق كى تلصق معاً على طريقة قطع لعبة البازل.. ومن جانبه لم يكن أنور السادات يتعب نفسه، فترك الأمر دون أن يسأل عنه.

لكنه فى ذلك الصباح وجد نفسه مجبراً على الاهتمام به.. فقد داهمت شرطة الآداب الشقة التى كان صديقه الكبير يقابل فيها عشيقته المشهورة.. كسرت الشرطة الباب.. واقتحمت غرفة النوم.. وضبطتهما متلبسين.. ولولا خوف الضابط المكلف بالمهمة لكان قد أصر على تحرير محضر لهما بعد أخذهما عاريين فى سيارة «البوكس».. ووصل الأمر إلى الرئيس.. ورفع سماعة التليفون ليطلبه كى يحضر له على الفور.

فى الطريق إلى الرئيس أمسك الرجل الكبير مسبحته وراح يحرك حباتها وهو يستغفر الله.. ووجد نفسه يأخذ شهيقاً كبيراً ويخرج زفيراً أكبر وهو يتذكر ما الذى فعله منذ سنوات طويلة كى ترده إليه عدالة السماء.. افعل كما شئت فكما تدين تدان.. ولحظات الحساب قد تكون فى الدنيا قبل الآخرة.

كان هناك مسئول سياسى عربى مؤثر فى بلاده يسعى إلى الحصول على مشروع لإصلاح خدمات البنية الأساسية، أعلنت عنه مصر.. وتقدمت إحدى الشركات التى تملكها مخابرات بلاده، وتعتبر غطاء لأنشطتها السرية، كما فى غالبية دول العالم.. ولكن.. كانت هناك شركة أجنبية يمثلها الرجل الكبير وإن لا يظهر فى وثائق ملكيتها.. ولم يكن عرض شركة الرجل الكبير مناسباً.. وتفوق عليه عرض شركة المسئول العربى.. فلم يكن هناك مفر من تدبير فضيحة له.. واستغل سهرة دعى إليها ذلك المسئول العربى، فى بيت فنانة شهيرة، كانت تجمع فيها زميلاتها وبعضا من صفوة المجتمع، كى يدهموا الشقة ويتهموا صاحبتها بأنها تديرها للدعارة.. ورغم أن الرقابة على الصحف منعت النشر فإنها سربت كل التفاصيل إلى رموز مختلفة فى المجتمع ليرووا ما حدث، مع إضافة توابل حراقة من جانبهم.. وهى طريقة أسوأ من النشر.. وفقد المسئول العربى منصبه.. وفقدت الفنانة الشهيرة سمعتها واختفت من الحياة الفنية والاجتماعية.. وسرعان ما ماتت حزينة قبل أن تموت بمرض القلب.

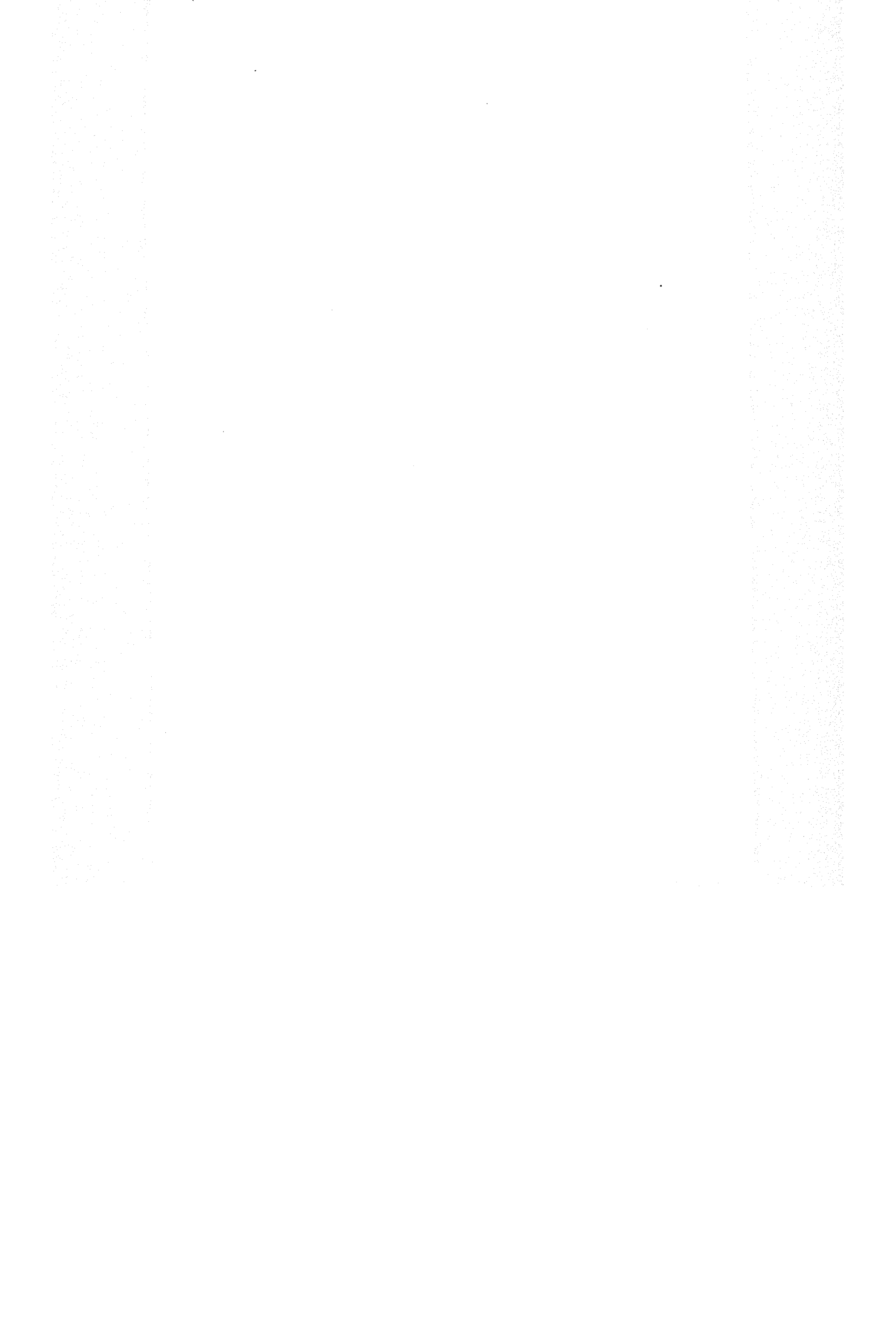
كان الرجل الكبير وراء تلك الفضيحة التى انتهت بفوز شركته بالغنيمة.. وبعد سنوات بدت فيها الذاكرة، وكأنها نسيت، جاءت العدالة الإلهية كى تنشطها وتجبرها على إعادة التفاصيل من جديد.. لكنه.. سرعان ما تجاوز صحوة الضمير وراح يتساءل عمن دبر له تلك الفضيحة؟.

لا جدال أن حول الرئيس -دائماً- مجموعة من الرجال، يعانق بعضها بعضاً فى المناسبات واللقاءات، لكنها لا تتردد فى توجيه الطعنات والضربات فى الخفاء، كى تتخلص من منافسيها وتنفرد بالقرب من السلطة العليا فى البلاد بلا منازع.. وهو يتمتع بما لم يحظ به رجل بجانب حاكم من قبل.. من الذى جمع

المعلومات؟.. من الذى أمر شرطة الآداب بالمداهمة؟.. من الذى أراد أن يثبت له قوته؟.. لابد أنه مركز قوة أكبر من الحرس والسكرتارية.. لكن.. من بالضبط الذى يجرؤ على أن يفعلها ولا يتوقع عقاباً من الرئيس إذا ما كشف الأمر؟.

لا أحد يعرف ما الذى دار بين الرئيس وصديقه الحميم.. لكن.. يمكن أن نتوقع أن الرئيس أخذ نفساً من البايب وتنهد مبتسماً وهو يقول له مازحاً: " هو انت لسه فيك نفس يا خلبوص؟ ".. ولابد أن «الخلبوص» بقى متجهماً.. ليستجدى عواطف الرئيس حتى يكشف له الفاعل.. ويعاقبه.. ولابد أن الرئيس قد عرف الفاعل.. لكنه.. لم يقدر على محاسبته.. ولابد أنه اكتفى بأن يقول لصاحبه: «الزمار ما بيخبيش دقنه.. والحيطان لها عيون.. وأنت مش صغير.. خد بالك من نفسك.. سافر بره يا أخى.. خد لك ساتر مضمون".

لا نعرف ما الذى دار بين الرجلين.. لكننا نعرف أن عدالة السماء واصلت تنفيذ مشيئتها.. فبعد أن أغتيل أنور السادات، اختفى صاحبه، كما اختفى غالبية رجاله المقربين.. انزوى فى بيته الريفى فى المنوفية.. ولم تمر فترة طويلة حتى أصيب بالزهايمر.. وراح يمشى فى الحجرات عارياً.. لا يعرف ما يفعل.. وهو ما جعل أحد أبنائه يرفع دعوى قضائية، طالب فيها بالحجر عليه.. أما المذيعة الشهيرة، فقد قدر لها أن تعتزل الظهور على الشاشة الصغيرة بعد أن جاءت سيرتها فى قضية رشوة تافهة.. مجرد مئات من الجنيهات.. فمهما تكن شطارة الإنسان فإنه لابد أن يقع.. وقد وقعت.. لكنها فى الحقيقة.. قامت لتقف على قدميها من جديد.. فلا يمكن الاستهانة بامرأة جميلة تعشق الثروة وتعرف كيف تستمر فى الحصول عليها؟.





# ٨-بنات البيزنس

8

## النجمة الشهية وكيس القطن المنفوخ!

**في الحب.. لا تتوهم المرأة أبداً.. رؤيتها فيه أوضح.. وبصيرتها أعمق.. وحاستها السادسة تقدر على الكشف بين رجل يريد أن يطارحها الغرام.. ورجل يعطيها أرضاً لتضع قدميها عليها.. وليس صحيحاً أن المرأة أسهل وقوعاً فى الحب من الرجل.. وأقل مقاومة أمام الانفعالات العاطفية.. خطأ شائع.. شهير.. لم تفكر امرأة واحدة فى نفيه وتصحيحه.. خبرتها العريقة بأمور العشق تمنعها من ذلك.. فقد تعودت على دور الفريسة التى توقع الصياد فى شباكها.. ودور الضحية التى تعرف كيف تحبس أكثر الرجال شراسة فى عشة فراخ.**

إن المرأة تبقى محتفظة بتوازنها وتماسك أعصابها حتى فى أصعب أوقات الهوى.. أما الرجل فهو يدخل فى مرحلة الترنح والهذيان منذ اللحظة الأولى.. ويتهشم مائة ألف قطعة.. يتحول من جبل رخام إلى بودرة «تلك».. حتى عندما تذهب المرأة إلى آخر الشوط مع الرجل فإنها تفعل ذلك وهى واعية تماماً بما تفعل.

لقد منح الله خيرات وخبرات علم الأنوثة للمرأة.. وهو مثل كل العلوم، يمكن أن يكون سلاحاً من أجل الحياة أو يكون خنجراً لطعن الحياة.. يمكن أن يكون زهرة يرشقها الرجل فى قلبه.. أو قنبلة تشتت عقله.. خاصة إذا كان ذلك العلم غزيراً وفيراً تتمتع به امرأة جميلة مثل أحلام.. النجمة

السينمائية الساحرة التى كانت تترك شرخاً فى قشرة دماغ كل رجل تصادفه وتحدث خلخلة فى أعصابه وإيقاف أيامه ونظام الكون من حوله.

منذ اللحظة الأولى التى سعت فيها إلى حليب الشهرة وعسل الثروة، وهى تعرف أن جسدها هو «أسانسير» الصعود إلى الأدوار العليا.. لكن.. ما هو أهم من اللحم والشعر ورائحة الرغبة كان قدرتها الفائقة على إقناع عشرين رجلاً فى وقت واحد بأن كلاً منهم هو الذى كسر زجاج حياتها.. ولم تجد فى ذلك غرابة.. فهى تؤدى أكثر من دور فى وقت واحد.. تلعب دور جوليت على المسرح.. ودور فتاة ليل فى السينما.. ودور فتاة مكافحة تصبح زعيمة سياسية.. وكل دور من هذه الأدوار لا يعطل غيره من الأدوار.. وكل شخصية تجسدها لا تلغى الشخصيات الأخرى.. فما الغريب أن تكون رومانسية وعاطفية وشهوانية مع ثلاثة رجال مختلفين.. منتج ورجل أعمال ومسئول سياسى قوى.. فهى تحتاج الثلاثة معاً.. وقادرة على أن تعطى كل واحد منهم ما يريد.. دون أن تكشف براعتها فى التوازن واللعب على الحبال.

لكنها.. رغم طابور الرجال الطويل الذين وقفوا على بوابة جسدها يطلبون الدخول، فإنها لم تجد واحداً منهم يقتسم معها المتعة نصفين.. والحب نصفين.. والدمعة نصفين.. كانت تحلم برجل تتعجن به وينعجن بها.. رجل غير الرجال الذين عرفتهم وكانوا جميعاً ينطقون العربية.. أحياناً بلهجة مصرية.. وأحياناً لبنانية.. وغالباً بطريقة نطق خليجية.. وعندما تعجز المرأة عن أن تعشق رجلاً بحماسة الأطفال وبراءتهم فإنها تتحول إلى سهم فى البورصة.. يتحدد سعره حسب العرض والطلب.. وكانت ترى أن سعر سهمها يجب أن يدفع فيه الكثير.

قالت لى، وقد قابلتها مصادفة فى شرم الشيخ، إنها لا تهمها الأشياء الضخمة.. إن رجلاً يخرج لها من جيبه ورقة كلينكس ويمسح بها جبينها وهى تقود سيارتها يمتلكها.. ورجلاً يتناول رماد سيجارتها براحته، وهى مستغرقة فى التدخين، يسيطر عليها.. «ورجلاً يضع يده على كتفى وأنا فى طريقى إلى الاستوديو أعطيه كنوز الملك سليمان.

حركات الاهتمام الصغيرة تشلها.. الرجل الذى علق كلباً أبيض فى سيارتها، والرجل الذى أعطاها مصحفاً ذهبياً قبل أن تسافر، والرجل الذى أهداها تليفوناً أزرق اللون، حتى يكون صوت الحب أزرق.. عرفوا جميعاً مفاتيحها الخفية.. وعزفوا دون أن يقصدوا.. لكنها.. كانت تقاوم تلك المشاعر الصغيرة.. فكل ما حولها يورطها فى الأشياء الغالية.. الثمينة.. وهو ما أوقعها فى كثير من الأحيان فى شر الفضيحة.. والنميمة.

كانت ذات مرة فى مهرجان «كان» السينمائى، ولم تتردد فى أن تذهب مع أمير سعودى إلى كازينو القمار.. ورغم أنه خسر مائة ألف دولار فى تلك الليلة فإنه اعتبرها تميمة حظه وسعده.. فقد تعود أن يخسر كل ليلة نصف مليون دولار.. لقد اعتبر نفسه قد كسب أربعمائة ألف دولار.. فمنحها ما أرادت.. قطع مجوهرات من كارتييه.. لترات عطور من شانيل.. وحقيبة ثياب من كل الأسماء اللامعة فى بيوت الأزياء الفرنسية.. لكن.. سعادتها لم تكتمل.. فقد سمعها صاحب السمو وهى تتكلم همساً عبر تليفون الحمام مع شخص آخر.. فلم يتردد فى أن يلقى بها شبه عارية فى عرض الطريق.. وشمَّت صحف القاهرة الخبر.. وترجمت الفضيحة من الفرنسية إلى العربية.

كان على الطرف الآخر من الخط رجل أعمال لبنانى، عرف فيما بعد بما جرى، فلم يتردد فى أن يعوضها عما خسرت.. وقدمت كشف الحساب.. ثلاثة ملايين دولار.. ثياباً ومجوهرات وعطوراً وسمعة تمرمغت فى الوحل بسببه.. ولم يكن المبلغ يثير قلقه.. فهو من كبار تجار السلاح الذين أثروا من الحرب الأهلية اللبنانية.. باع السلاح لكل الفصائل المتقاتلة.. شيعة وسنة وموارنة ويهود ودروز.. ففى بازار الموت لا أحد يسأل عن جنسية القاتل ولا جنسية الضحية.

لكن.. الرجل الذى كان يسفك كل يوم ملايين اللترات من دماء أهله، كان لا يقرب الحرام.. لا يشرب الخمر.. ولا يأكل لحم الخنزير.. ولا يعاشر امرأة فى الحرام.. فتزوجها سراً.. وعاشرها دون أن تدرى أن تحت وسائده عقود سلاح

يكفى لتدمير نصف الأمة العربية.. يكفى أن تنتقل الحرارة إليها حتى تنفجر.. على أن الحرارة لم تكن كافية كى تنفجر.

لكن.. ما انفجر كان علاقتها بذلك الرجل.. لقد عاد إليها الحنين لتعدد الأدوار.. وتعدد الرجال.. فهى نجمة شاملة.. تمثل وتغنى وترقص.. وامرأة شاملة.. تعشق وتحب وتتزوج سراً.. وقبل أن تنتهى من تمثيل فيلم تبحث عن فيلم آخر.. وقبل أن تنتهى من رجل ثرى تبحث عن رجل أكثر ثراءً منه.. إن حياتها الخاصة مثل سينما الدرجة الثالثة.. لابد من أكثر من فيلم فى برنامج واحد.

فى شرم الشيخ بدأت علاقتها برجل أعمال جديد.. مصرى هذه المرة.. منتفخ جسماً وثروة.. وربما تجاوز حجمه المالى حجم عشاقها السابقين.. أمراء النفط.. وأمراء السلاح.. فأمراء الفساد فى مصر كسبوا فى سنوات قليلة ما لم يكسبه تجار البودرة والبارود وشبكات الرقيق الدولية.. وقد ترك رمزى لوقا الجامعة، قبل أن يكمل تعليمه فيها، ليدير شركة المقاولات التى تركها له أبوه.. كانت الشركة صغيرة.. لكنها تكفى لإطعام عائلته المحدودة.. هو وأمه وشقيقه وشقيقته.. لكن.. طموحه كان أكبر من ذلك.. إنه يملك كل مقومات النجاح فى هذا العصر.. خيالاً خصباً يصل إلى حد الكذب.. قدرة على إفساد الآخرين مهما تكن مكانتهم الاجتماعية.. موهبة عالية فى النفاق السياسى.. عشقاً جارفاً للدعاية.. وروحاً جريئة للمغامرة.. وبذكائه الفطرى اكتشف مبكراً لعبة المضاربة على الأراضى والتمويل بالبنوك.. وشاركته فى اللعبة شبكة من الموظفين الحكوميين الكبار.. منهم وزير.. ومنهم عضو فى مجلس الشعب.. ومنهم مستشار فى محكمة.. وكانت وسيلة الرشوة مشروعة.. تعيين أبنائهم فى شركته بمميزات خرافية.. سيارة مرسيدس هدية.. راتب كبير بالدولار.. بدل سفر لمهام وهمية.. وفى أكثر من مرة وجد نفسه يعين عشيقات لمسئولين كان فى حاجة إلى خدماتهم أو حمايتهم.. كان يدفع ثمن شعورهم بالمتعة.. وهو نوع عصرى من العهر.. يدفع فيه القواد للزبون.

لقد واجه النجاح بأسلحة ثقيلة فاستسلم له وركع تحت قدميه وراح يلحسمها.. لكن.. المشكلة أنه وجد ملايين الجنيهات تقع فى حجره دون أن يكون قادراً على استيعاب تأثيرها النفسى عليه.. خاصة أنه كان لا يزال شاباً فى بداية الثلاثينيات.. لا يملك خبرة الحياة.. تربى تحت عصا الشدة.. وتزوج وأنجب فور أن اخضر شاربه.. لم يعش الدنيا كما يجب.. لم يتحصن من مفاجآتها السارة قبل المؤلمة.. وفجأة وجد نفسه يملك مال قارون وعصا موسى ومغارة على بابا، بينما تجربته لا تزال صغيرة.. محدودة.. وشخصيته ضعيفة.. مهزوزة.. تافهة.. فكان أن تصور نفسه دونجوانا.. وراح يتصرف على هذه الصورة.. ورغم أن الناس كانت تسخر منه فى السر، فإنهم فى العلن كانوا يشيدون ببراعته فى اصطياد النساء.. من أول رمش.. وأول نظرة.

بل إنها نفسها، كانت تصفه بشوال القطن، عندما كانت تسمع من زميلاتها عن حجم المال الذى كان مستعداً أن ينفقه فى سبيل أن تنشر صورة له مع فنانة منهن فى مجلات المجتمع المصقولة الملونة.. كانت تقول: " والله لو دفع لى ذلك الشوال المنفوخ بالقطن مليون جنيه فى صورة معى لرفضت ".. وفى اليوم التالى سألتنى عبر التليفون عما أعرفه عنه.. ولم أكن أعرف الكثير ساعتها.. فقالت وهى تشد كل أوتار السخرية: " سمعت أنه فاكر نفسه دونجوان ".. فكان تعليقى: " شكله مثل لعب الأطفال ".. فقالت: " لكن.. ده يبقى مرتبة طرية ".. فكان تعليقى: " أخشى أن أجدك غارقة فى قطنها ".. قاطعتنى مستاءة: " أعوذ بالله.. لو كان آخر رجل فى الدنيا كلها".

لكن.. آخر رجل أصبح أول رجل.. كانت تقف فى مدخل فندق «موفنبيك» فى شرم الشيخ، تنتظر سيارة الفندق التى ستحملها إلى المطار، عندما تقدم إليها كيس القطن ليدعوها لركوب طائرته الخاصة.. فمثلها لا يجوز له أن ينتظر.. وتحمست رفيقتها وصديقتها التى كانت معها لقبول العرض.. ودون أن تخفض أنفها وافقت.. وفى السيارة تعمدت ألا تجلس إلى جانبه.. جلست إلى جانب السائق.. لكن.. فى الطائرة الخاصة تغيرت تماماً.. استسلمت للترف

الذى وجدته فى انتظارها.. ولأول مرة اكتشفت أن ملامحه دقيقة.. وحكاياته مسلية.. وروحه خفيفة.. لقد وضعت عدسات ملونة على عينيها لتراه فى صورة مختلفة.. مناسبة.. صورة تقبلها.

طوال الرحلة، كان خياله سارحاً فى السحاب يرسم بنفسه صورة مختلفة تشجعها على قبوله.. صورة الدونجوان، العابث، الهوائى المزاج، الذى لا يكف عن السفر على أجساد النساء، الذى يبحث عن امرأة تهديه عشقها ويموت فى هواها وتقنعه بالاستقرار والبقاء فى مرفئها.. ولم يتردد فى أن يخترع لها مغامرات جنسية خاضها مع زميلاتها.. وعرف بفطرته كيف يستميلها بالطعن فيهن.. فهذه لم يتركها إلا بعد أن أصبحت مثل سمكة ميتة.. وتلك فاجأها وهى تمارس الشذوذ مع مذيعة تليفزيونية شهيرة.. ورغم أنها كانت تعرف أنه يكذب عليها مثل الأطفال البلهاء الذين يتعلمون الكلام لأول مرة، فإنها كانت تشعر بسعادة مما تسمع ولو كان وهماً.. دون أن تدرى أنها ستصبح هى أيضاً مجلداً من الخرافات والأوهام الجنسية سيؤلفه على علاقته بها.. فيما بعد.

كان الشىء الوحيد الحقيقى فيه هو ثروته.. مصدر قوته.. سر صداقاته.. وعلاقاته.. وبينما كانا يحتسيان كأسين من الشمبانيا، شكراً لله على سلامة الوصول، وجدته يقترح عليها أن يطيرا معاً إلى مدريد.. وجُنَّت بالفكرة.. وهبطت الطائرة مطار القاهرة ثم عادت وأقلعت من جديد بعد أن هبطت صديقتها وعادت إلى بيتها، لترفع سماعة التليفون وتبلغنى بأن نجمة النجمات فردت شباكها على كيس القطن.. وعندما سألتها: وماذا ستفعل مع زوجها النائم مطمئناً فى بيروت ؟.. قالت: " ربنا يستر ".

كانت الفضيحة هذه المرة مدوية.. فتاجر السلاح الذى يعيش بقلب بارد شعر بأن امرأة مستهترة ضربته بالحذاء على مؤخرته.. وقد كنت حتى وقت قريب أتصور أنه هو الذى اكتشف بنفسه علاقة زوجته السرية بكيس القطن السمين.. لكن.. اكتشفت، أخيراً، أن نجمة مصر الشهية هى التى أبلغته بالخبر، طالبة منه الطلاق حتى لا تخونه.. ويمكن أن نتخيل الكلمات المنتقاة

التى وصفها بها فى تلك اللحظة.. وهى كلمات تخدش الحياء العام.. ويعاقب عليها القانون العام.. على أنه أمسك بما تبقى من أعصابه.. وطلب منها أن تعيد إليه كل ما أخذت منه.. طبقاً لقانون الخلع فى بلادها.. وقدر ذلك بنحو عشرة ملايين جنيه.. لكنها قالت له ببرود لم يصل إليه تفكيره: «لقد أخذت مقابل ذلك وأكثر».. ومرة أخرى وصفها بتلك الكلمات المنتقاة.. خاصة بعد أن شعر بأن الصفقة خاسرة.. فهو لم يقربها أكثر من خمس مرات فى خمسة أشهر.. فهل تساوى كل ما دفع ؟.

لم تمر عدة أيام، حتى خرجت صحف القاهرة المسائية تتحدث عن إطلاق النار عليها وهى عائدة إلى بيتها ليلاً بصحبة كيس القطن.. وتحولت الجريمة إلى فضيحة.. ونميمة.. وفى تلك الليلة فاضت دموعها أنهاراً.. ولم يكن من السهل تجفيفها إلا بمنديل ورق فى صورة شيك على بنك فى دبى بقيمة المبلغ الذى يطلبه زوجها اللبنانى.. ووعد بأن يتزوجها زواجاً مدنياً فى مدريد يتجاوز العائق الدينى القائم بينها وبينه.. لقد تغير ذوقها.. وتغير منطقها.. وتغير تصورها للمستقبل.

وتعجبت من تغيرها وانقلابها الحاد.. لكنها قالت: إن الحب بالنسبة للمرأة مثل كتاب تعيد صياغته بلغة جديدة.. كل فترة مختلفة تمر بها.. لقد أسعدنى أن أحب رجلاً يتصور نفسه «شهريار».. وهو مراهق متواضع الحال ينتهى فى يدى بمجرد نظرة.. شهريار يتخيل فراشه مذبحاً للنساء.. وهو فى الحقيقة وسادة من الحرير.. ويتخيل حجرة نومه مقبرة يدفن فيها المرأة التى تقبع فيها.. وهى فى الحقيقة مقبرة له دون أن يدرى.. لقد تعبت من الرجال الشرسين.. وحان الوقت للتعامل مع رجل مثل الأطفال.. لو خيرته بين لحمى وقطعة «بفتيك».. لا يتردد فى اختيار قطعة «البفتيك».

لكن.. الطفل ليس دائماً بريئاً كما نتخيل.. فهو فى كثير من الأحيان يصرُّ على الكذب واختلاق الحكايات الوهمية.. وقد راح كيس القطن المنفوخ بالبلاهة يروى لكل من يصادفه خرافات من نسيج أوهامه عن قدراته الجنسية

الهائلة التى جعلت تلك النجمة المجربة تلميذة بليدة فى مدرسته.. وقد وجد من يسمعه طمعا فيما هو أهم.. ثروته التى لم يكن يملك من ملامح الشخصية القوية سواها.. على أنه بينه وبين نفسه كان شهريارا مهزوما.. يحتفظ بسره وأحزانه ومرارة هزائمه.

لم أتردد فى أن أثنيها عما عزمت.. قلت لها: «إن ثروات الدنيا لن تنفعك فى ليلة يقتلك فيها الشوق إلى رجل حقيقى.. لا إلى كيس قطن يتفجر عجزاً ومالاً».. لكنها.. كانت قد أدمنت اللعبة.. وكان صعباً على أحد أن ينتزعها منها.. إلا إذا اختفت اللعبة من أمامها.. وهربت إلى الخارج.. والحقيقة أن كيس القطن لم يقنع بالملايين التى كسبها وحصل على مليارات غيرها.. ثم وضع خطة تدريجية لتسفير أفراد عائلته.. واحداً بعد الآخر.. ثم جاء عليه الدور ليهرب هو أيضاً.. لكن.. ذلك لم يكن السبب المباشر لتفتيت العلاقة بينه وبينها.. كان السبب المباشر يحمل الكثير من الإهانة والسفالة.

لقد سجل لها شريطاً عليه لحظة خاصة كانت بينهما.. وراح يكشف ما فيه بالصوت لكل من يعرفه عن قرب.. للتدليل على رجولته التى كان يشك فيها كثيراً.. ولم يكنَ يتردد فى استخدام ذلك الشريط فى أن يكون دليلاً على خرافاته الجنسية التى كان لا يكف عن روايتها.. بل والأكثر من ذلك.. راح خياله المريض يتهم أحلام بأنها سجلت له شرائط جنسية لما بينهما كى تجبره على الزواج منها.. وفى الوقت نفسه، كان يغطى وجهه بملامح البراءة، ويروى لها حكايات الشرائط على أنها من افتراءات كبار الصحفيين عليها.. والغريب أنها كانت تصدقه.. والحقيقة أنها كانت تريد أن تصدقه.

لكن.. الحقيقة الأدق، أنه كان موهوباً فى إقناع من يسمعه بالأكاذيب التى يرويها.. أكثر الناس فطنة كان يصدقه أكثر من مرة.. ورغم أننى لست خبيراً فى التحليل النفسى لمثل هذه الشخصيات المعقدة التى تجمع بين الثروة والتفاهة، فإن ما جمعته من معلومات عن حياته الخاصة كان يكفى لفهم ما يفعل.. لقد كان أبوه رجلاً صارماً.. لا يكف عن ضربه وتوبيخه ولو لم يرتكب

خطأ.. كان أبوه يريد أن يصنع منه رجلاً يعتمد عليه فى وقت مبكر.. فقد كان الأب يعانى من لعنة الموت المبكر التى تطارد رجال عائلته.. الموت قبل الخمسين.. فقد تكررت هذه اللعنة أكثر من مرة حتى أصبحت ظاهرة تسبب المخاوف والهواجس.. وهو ما جعل الأب يحاول أن يجعله رجلاً قبل الآوان لو كانت لعنة الموت القريب من نصيبه.. فكان يضربه لو أكل فى غير المواعيد المحددة.. وكان يضربه لو تأخر فى الإجابة عن سؤال.. وكان يضربه لو لعب أو قرأ أو ذهب إلى السينما مع أصحابه.. ولم يكن أمام الصبى الصغير سوى أن يتحصن بالكذب ليواجه به الضرب المتوقع فى أية لحظة.. وبمرور الوقت تدرب على الكذب بكل ملحقاته.. الوجه البرئ.. الصوت الواثق من نفسه.. والبكاء إذا لزم الأمر.. ثم تحول الكذب إلى خيال.. يتصور نفسه رشيقاً وهو بدين.. يتصور نفسه متفوقاً وهو راسب.. يتخيل نفسه دونجواناً وهو يخاف الفتيات.. ثم تحول الخيال إلى حكايات يرويها تنفخ فى قدراته وتحط من قدرات الآخرين.. وعندما أصبح ثرياً وجد من يصدق كل ما يقول.

على أنها لم تكن قادرة على كشف أكاذيبه.. فهو مثل كل كذاب محترف قادر على إلقاء أخطائه على غيره.. بل أكثر من ذلك طلب منها أن تنهى تعاقداتها الفنية.. وتجهز نفسها للحياة الزوجية.. وعندما سألته عن مصير زوجته، أكد لها أنها ستكون فى عصمته لتربية أطفاله.. وعندما سألته كيف سيجمع بينهما وهو مسيحى؟.. إن الجمع بين أكثر من زوجة جريمة فى أوروبا كلها .. فقال لها: إنه سيشهر إسلامه.. وسألته عن استثماراته وشركاته فى مصر، ماذا سيفعل فيها ؟.. فقال لها: سوف ألعب لعبة كبيرة مع البنوك أحصل بها على ثلاثة مليارات وأهرب بعد أن تكون قد سبقته إلى مدريد.

وبالفعل.. دبر كل شئ كما خطط ورسم وقال لها.. أعاد تقييم شركاته بثلاثة أضعاف قيمتها.. واقترض بضمانها.. وقام بتحويل ما حصل عليه إلى بنوكه فى أوروبا.. وطلب من زوجته أن تأخذ أطفالهما وأمه ويسافرون إلى إسبانيا.. اطمأن أن كل من يهمه من أفراد عائلته الكبيرة والصغيرة ترك

البلاد.. ولم يعد له فى مصر سواها.. حصل لها على تأشيرة دخول إسبانيا .. واستخرج تذكرتين (درجة أولى) على شركة الطيران الإسبانية.. واتفق معها على أن يلتقيا فى المطار قبل موعد السفر بساعتين.. وقبل الموعد المحدد بثلاثة أيام.. عرفت أنه ترك القاهرة.. سافر.. هرب.

ورفعت سماعة التليفون لتتأكد من صحة الخبر.. ولم يكن أمامى سوى أن أؤكد لها ما حدث.. لكن.. بعد ساعات وجدتها تقول لى: لقد اتصل بها من إسبانيا ليقول لها إن أجهزة الرقابة والأمن كانت تتربص به وخشى عليها من الفضيحة لو حدث لها شىء وكانت معه.. وإنه سوف يرسل لها تفاصيل خطة جديدة لتصل إليه.. لقد صدقته من جديد.. فسألتها: من أين اتصل بك ؟.. قالت: من مدريد.. قلت لها: معلوماتى أنه فى لندن وأنه أتى بمجالس إدارات شركاته ليجتمعوا معه فى فندق تشرشل.. ليتدبروا أمورهم فى غيابه.. غضبت مما سمعت.. واتهمتنى بكراهية رجال الأعمال دون مبرر.. بل وأكثر من ذلك لم تعد تتصل بى.. كانت لا تريد لأحد أن يخرجها من الوهم الذى وضعت نفسها فيه.. وهى لا تزال أسيرة له حتى هذه اللحظة.. لقد خدعت أكثر الرجال مهارة.. فخدعها أكثر الرجال بلاهة.. لا يقع إلا الشاطر.



# ٩- بنات البيزنس

## 9 يامولانا.. نسيت لحيتك!

**كان يشعر بأنها لو لم تحبه سيصبح رجلاً من خشب.. من حجر.. سيصبح رجلاً بلا قلب.. فقد أخذت قلبه ووضعته فى مكان مجهول مهجور لا يعرفه.. سيصبح مجرد سمكة ميتة.. لا حياة فيها.. ولا نضارة.. وقد حدث ذلك فى لمح البصر.. مرت أمامه وهو جالس على المقهى المتواضع الذى يحتمل قروشه القليلة، فسمع موسيقى جسدها السائلة بعينيه.. وعندما نظرت إليه، وجد نفسه يتجول فى عينيها، ويأخذ منهما كل مساحة الليل.. وعندما شم رائحة عطرها، ثقبت ذاكرته ودخلت ولم تخرج.**

كان جمالها فضيحة لا تخفيها.. بل تصرُّ عليها.. وتفخر بها.. كل ما فيها كان جرساً يعلنها.. شعرها «المحلول» على آخره.. نهدها الذى يشبه منقار الديك الأحمر.. أصابعها التى تعزف لحناً دون بيانو.. والكحل.. والأساور.. والخوخ.. والرمان.. والجنات التى تجرى من تحتها الأنهار.

لم يكن فى ذلك الوقت يملك سوى الصمت.. كان الصمت سلاحه الوحيد فى الحياة.. فلا هو تخرج فى الجامعة ليبحث عن وظيفة مناسبة.. ولا هو ابن «شهبندر التجار» الذى يقدر على أن يأتى له بست الحسن والجمال.. كل ما كان يقدر عليه هو أن يقول لها بينه وبين نفسه :"أحبك".. ثم نقطة فى آخر السطر.

لم يكن يملك سوى أن يحبها من بعيد إلى بعيد.. فالحب كائن حى يريد أن يأكل ويشرب ويلبس وينام فى بيت مكيف.. وهو لا يملك سوى أن يتسلل كل مساء إلى سطح جدته ليأخذ بيض الدجاج الذى تربيه هناك، وينزل ليبيعه بما يكفى ثمن السجائر والشاى وأحياناً زجاجة بيرة واحدة.. ولو فتح الله عليه رزقه بما يكفى لعدة زجاجات أخرى.. ليعود بعدها إلى بيت شقيقته الكبرى ليأكل ما تقدمه له، مهددا أن يلقى بالطعام فى وجهها لو حاولت أن تهديه إلى ما يبعده عن الحياة الضائعة التى يعيشها.. وأن يكف عن النظر إلى الدنيا من أسفل إلى أسفل.. لكنه.. كان لا يصدق أن الله موجود.. فلو كان موجوداً لما تركه يبحث عن لقمة، بينما غيره يستمتعون بكل شىء حتى الذروة.. لو كان موجوداً لوضع يده على كتفه ولو مرة واحدة طوال عمره.. ودعم إلحاده جاره الذى يدرس فى الجامعة، ويؤمن أن رجال الدين يدفعون الناس إلى الصبر وقبول الواقع مقابل أن يهربوا من الفقر ولايجدوا أنفسهم بين أنيابه القاطعة.

وحاول أن يبحث عن وظيفة تجعله يقترب منها: كشاف كهرباء.. بائع روبابيكيا.. موزع صابون على البيوت.. لكنه فشل فى محاولاته.. فلم يكن أمامه سوى أن يجلس طوال الليل والنهار على المقهى، لعله يحظى برؤيتها.. لعلها تمنحه نظرة ولو عابرة.. وذات يوم وقعت المعجزة.. ابتسمت له.. نعم ابتسمت له.. من المؤكد أنها ابتسمت له.. وشعر أنه لأول مرة يخرج من الحصار الذى وجد نفسه فيه. وسأل الله تعالى أن يديم نعمته عليه.

لقد فاز بها أخيراً.. الصبر مفتاح العشق.. والعشق أكبر من متطلبات الدنيا الزائلة.. والمعجزة حدثت.. ابتسامتها فتحت عينيه بعد أن كان ضريراً يتخبط فى الظلام.. فتحت سكة السلامة.. بعد أن كان يشعر أنه سيموت بحسرته عليها حتى يوم القيامة.. وأخذ شقيقته معه وذهبا إلى بيتها.. لكنهما لم يدخلاه.. فقد تصور أصحابه أنهما فى حاجة إلى مساعدة أو حسنة.. وكان رد الخادم الذى فتح لهما الباب: "البيه مش موجود والهانم سترسل لكما نصيبكما من اللحم فى أقرب فرصة".

فى تلك اللحظة اكتشف نفسه على حقيقتها.. نصف متعلم.. معدم.. عاطل.. متواضع الثياب.. لا يملك ثمن قوت يومه.. ضائع.. لا يعرف كيف يواجه مستقبله.. فى تلك اللحظة فرت دمعة أراد حبسها غصباً عنه.. وقادته قدماه إلى صديقه الملحد فى المدينة الجامعية، ليجده فى حالة يرثى لها بعد أن ضربه زملاؤه فى الجامعة من أنصار الجماعات الدينية حتى كاد يموت.. لقد دخل فى نقاش بالكلمات معهم.. فكان الرد عليه باللكمات.. والطعنات.. واللعنات.. ورغم ذلك اقتسم معه وجبة العشاء.. وراح يفسر له طبيعة المجتمع الذى يعيشان فيه: "إنه يا أحمد مجتمع باع رجاله ليشترى جهاز تكييف، وقايض الشعر بحذاء رياضى.. مجتمع يجعل مطرباً متواضع الموهبة مثل أحمد عدوية أكثر ثراءً من روائى يحترمه العالم مثل نجيب محفوظ.. لا تحزن.. وخذ هذا الكتاب لتعرف كيف تفسر ما يجرى لك".. وقدم له كتاب "رأس المال" لكارل ماركس.. لكنه.. لم يأخذه.. أخذ منه قروشاً تكفيه للعودة إلى بيته.

لم يكن فى حاجة إلى كارل ماركس، وإنما كان فى حاجة إلى وظيفة بعيدة عن المكان الذى يعيش فيه.. وتفتت قلبه فيه.. وكانت هذه الوظيفة فى فرنسا.. حيث يعمل أهل بلدته فى سوق اللحم والخضار، يحملون صناديق التفاح وعجول البتلو وأقفاص الكرنب.. لقد سافر أولهم بحثاً عن عمل فى الخارج.. فوجد فرصته هناك.. ويوماً بعد يوم تحول الواحد إلى عشرة.. والعشرة إلى مائة.. والمائة إلى خمسة آلاف.. وتكونت مستوطنة مصرية صغيرة لم يشأ أن ينضم إليها أو يصبح واحداً من رعاياها.. فقد كان يحتمل الجوع والتشرد مقابل نظرة وابتسامة لكن.. ما كان من نصيبه هو سخرية وإهانة.

إن سوق اللحم والخضار فى باريس يقع فى منطقة سانت دينيس.. وهى منطقة تغذى معدة العاصمة الفرنسية بالطعام.. بحكم وجود السوق.. وتمنحها التوبة من الخطيئة.. بحكم وجود كنيسة القديس دينيس.. وفى الوقت نفسه تحرضها على الخطيئة.. بحكم وجود الشوارع القريبة.. المخصصة للبغاء.. هناك الطعام والجنس والغفران.. وقد جسد فيلم "إيرما الغانية" الذى مثله جاك ليمون مع شيرلى ماكلين

تلك الصورة المعقدة.. المذهلة.. وكان الفيلم مصدر اقتباس لأفلام أخرى منها فيلم"خمسة باب"الذى مثله عادل إمام مع نادية الجندى.

لقد كان جاك ليمون فى الفيلم شرطياً ريفياً طيباً مستقيماً، يخدم فى منطقة العاهرات ووقع فى هوى واحدة منهن، ولم يكن أمامه لإقناعها بالتوبة سوى أن يتنكر فى شخصية مليونير عجوز، يدفع لها مقابل أن تكون له وحده وأن تلعب معه الكوتشينة.. وحتى يحصل على المال اللازم كان يعمل فى سوق الخضار بعد مواعيد ورديته الرسمية فى الشرطة.. وهو ما جعل الفيلم يكشف ما يجرى فى العالمين.. عالم الدعارة.. وعالم سوق الخضار الذى عمل فيه أحمد الناجى بعد أن جاء إلى باريس.

لكن.. الحياة لم تكن سهلة على طريقة السينما التى كان يعشقها ويهرب فيها من الواقع.. فقد كان عليه أن يستيقظ كل يوم، قبل أن تستيقظ باريس من نومها بساعات طويلة.. ويمشى فى البرد والمطر حتى سوق الخضار، ليحمل على ظهره ذبائح العجول والخراف والخنازير.. أو ليجر عربات الخضراوات والفاكهة.. كان يعمل أكثر من عشر ساعات يومياً مقابل فرنكات لم تكن مغرية كما كان يتصور.. وعندما كان يعود إلى حجرته الضيقة المتواضعة لم يكن يجد أحياناً مكاناً ينام فيه.. فالحجرة الخانقة المكتومة يسكنها ثمانية أشخاص.. غيره.. ولو كان العمل بالوردية فالنوم فى الحجرة أيضا بالوردية.. وفور الاستيقاظ كان عليه الخروج من الغرفة.. فلا مكان فيها لشىء آخر غير النوم.

إن باريس الذى تصور أنها ستفتح ذراعيها له فور أن يهبط مطار أورلى، لم تعطه سوى فرصة أن يلحس عرق قدميها.. وأن يكون واحداً من ملايين العبيد العرب القادمين إليها من دول الشمال الإفريقى: تونس.. الجزائر.. المغرب.. ومصر.. ولم يكن أمامه ليحقق طموحه سوى أن يتاجر فى حبوب الهلوسة.. أو يعمل بلطجياً فى كباريه.. أو يعيش فى الحرام مع عاهرة، يتكلم لسانها الفرنسية ويتكلم جسدها العربية.. أو أن يعود إلى وطنه.. خالى الوفاض.. يا مولاى كما خلقتنى.. واختار العودة.. جمع تذكرة السفر إلى القاهرة.. وغادر

باريس وكل ما يملكه هو كرتونة سجائر «جولواز» ليدخنها.. وعندما استقبله أهله فى المطار ووجدوه يحمل أشياء ثقيلة فرحوا.. لكنهم سرعان ما صدموا.. فما كان يحمله هو أمانة عليه توصيلها إلى أصحابها.. كنوع من رد الجميل بعد أن شاركوا فى ثمن تذكرة الطائرة.

لكن.. ذلك كله لم يمنعه من التعلم من الغربة فى تلك البلاد ولو دون أن يقصد.. تعلم أن مثل هذه البلاد التى تبدو براقة على السطح لا تعرف الرحمة.. وإن كانت فى الوقت نفسه تؤمن بفضيلة العقل.. سر تفوقها.. وخاتم سليمان الذى يحقق لها كل ما فيها من معجزات وإنجازات.. وتعلم أن كل شىء مباح إلا الوقوع تحت طائلة القانون.. وتعلم أن الإنسان يلعب بكل ما يقع فى يده من أوراق.. ليكسب.. ويفوز.. ويقفز الحواجز ويعبر السدود.. وهى حواجز وسدود اجتماعية وهمية لا تمنع أفقر الناس أن يتربع على القمة.

ورغم البعاد فإنه لم ينسها.. بل كان يتعذب فى الغربة بسببها.. لقد فصلت من أنوثتها قميصاً لم يخلعه.. ورسمت بسواد عينيها خطاً لم يتجاوزه.. وعبأت رائحة غرورها فى زجاجة خبأها تحت جلده.. لقد جعلت من الحب مسألة حسابية.. وكان نصيبه منه بالطرح والضرب لا بالجمع بين اثنين والقسمة عليهما بجانب النصيب.. ولابد أن الحب الذى جمعه لها على طريقة ثمار المانجو، تحول بالنسبة له إلى كراهية على طريقة ثمار الحنظل.. فالوجه الآخر للحب هو الكراهية.. ومادمنا نكره من كنا نحب فإنه لم يخرج بعد من دمائنا.. لا يزال يسرى فيها.. واللحظة التى ينتهى فيها الحب تماماً ونشفى منه تماماً، هى اللحظة التى نرى فيها من نحب فلا نشعر بشىء.. لا برغبة فى القبول ولا برغبة فى الرفض.. إن الحياد فى المشاعر يعنى تذكرة خروج من مستشفى الأمراض العاطفية المستوطنة.

وفى الحقيقة، لم يقدر بعد عودته على أن يخرج من ذلك المستشفى.. بل بقى على الحال ينتظر أن تمر أمامه وهو جالس على المقهى نفسه، ليشعر بالسخط عليها والغيظ منها.. وما ضاعف من ذلك أنها لم تعد تمر.. بل لم

تعد فى الحى.. فقد تزوجت من طبيب أمراض نساء شهير، يمتلك مستشفى فى حى راقٍ من أحياء القاهرة.. وكان الثمن أنه كتب لها نصف هذا المستشفى الذى أصبحت تديره بنفسها.

وما ضاعف من أحزانه، أن صديقه الوحيد قد قبض عليه وهو يشارك فى مظاهرات الطعام التى وصفها أنور السادات بأنها انتفاضة شعبية.. ولم يتردد فى أن يذهب لزيارته فى السجن.. وفوجئ به قوياً.. صارماً.. سعيداً.. وكأنه فى الجنة.. إن من يعيشون وراء القضبان أكثر حرية من الذين يقفون أمامها أحياناً.. ولم يتردد السجين فى أن يواسى من يتمتع بحريته.. قال له : إن الحياة يا أحمد لا تهمل الذين يهملونها.. ولا تكافئ إلا الذين يقابلون هداياها الجميلة بهدايا أجمل منها.

غادر مبنى السجن وهو مصمم على أن يأخذ من الحياة هدية جميلة.. واقترح على نفسه أن يحترف التمثيل.. لقد فشل فى دخول معهد السينما.. لكن.. ليس كل أساطين التمثيل تخرجوا فى هذا المكان.. وحاول أن يجد فرصة فى السينما أو التليفزيون لكنه لم يجد سوى فرصة كومبارس صامت.. يأكل نفسه أكثر مما يأكل خبزاً.. ورغم فشله فى التمثيل أمام الكاميرات.. فقد نجح فى أن يكون واحداً من أعظم الممثلين على خشبة الحياة.. وإن كان فى الحقيقة لم يلعب سوى دور واحد.. دور المتدين الورع الذى يطلق لحيته.. ويخفض صوته.. ولا يصافح النساء.. وقد حقق بهذا الدور- الذى لم يلعب سواه- ما لم يحققه نجوم التمثيل من يوسف وهبى إلى عادل إمام.. ومن عزيزة أمير إلى إلهام شاهين.. أما المسرحية التى لعب بطولتها وكتبوا اسمه فى مكان بارز على أفيشاتها.. فهى مسرحية"ترويج الحال فى توظيف الأموال".

كانت كل الظروف متاحة لظهور هذا البطل الشاب على المسرح.. فملايين المصريين يعملون فى البلاد العربية الثرية. ويجمعون المليارات ويحولون بعضها فى السوق السوداء.. وفى الوقت نفسه أسهمت تلك الحقبة النفطية التى تفوقت فيها السعودية فى نفى المرحلة الوطنية.. والقومية.. وراحت تروج

لأفكار التشدد الدينى.. وعملت فى خدمتها جيوش كاملة من المفكرين والصحفيين والشيوخ والمسئولين الرسميين.. وبدأ الكلام ينتشر عما سمى بالاقتصاد الإسلامى.. ثم فتحت عدسات التليفزيون الملونة كى تتحدث عن الحرام والحلال فى أموال البنوك.. ثم بدأت حملات الدعاية الإعلانية لشركات توظيف الأموال.. ثم كان فى السلطة من هو مستعد أن يدعم تلك الفكرة ويكسب من ورائها الكثير.

فى ذلك المناخ المشبع بالسبح وسجاجيد الصلاة والسواك و«شرائط» تحويل الشيوخ إلى نجوم، ساقته الأقدار إلى فرصة عمره.. كان يائساً.. جائعاً.. ضائعاً.. لا يجد مكاناً يستريح فيه.. فدخل مسجداً من مساجد إحدى الجماعات الإسلامية الشهيرة، ربما يجد مكاناً لينام فيه.. ولو لبعض الوقت.. وسمع أمير الجماعة وزعيمها الروحى وهو يعظ أتباعه بكلمات موحية مؤثرة، تسيل دموع الندم من عيونهم تمهيداً لغسل قلوبهم.. وهو مشهد حرض فى داخله كل جياد السخرية لتنطلق من مرابطها.. وخرج من المسجد ليزور صديقه الجامعى الذى كان قد أفرج عنه.. وأصبح صحفياً فى صحيفة معارضة.. وحاول صديقه أن يفسر له لعبة الدين والسياسة التى بدأها أنور السادات بتشجيع الجماعات المتطرفة على التهام الجماعات المعارضة.. ثم كان أن تحول الديناصور ناحيته.. ولم يتردد فى التهامه فيما سمى بحادث المنصة.

لم يتوقف إحساسه بالضياع واليأس.. ولم يكن ليعرف أين يذهب تبديداً للوقت وقتلاً له.. فساقته قدماه من جديد إلى حيث مسجد الجماعة التى سخر من زعيمها وشيخها.. وجلس ليستمع إليه.. دون أن تنطلق جياد السخرية.. بل على العكس وجد دموعه تنساب من عينيه.. واقترب من الشيخ الذى كان يرتدى الملابس المدنية.. ونجح فى أن يسليه ويضحكه ويسرق اهتمامه.. إن مواهبه التمثيلية بدأت تعبر عن نفسها بدرجة أكبر من الاتقان.. وكان المقابل توصية بوظيفة لم تعجبه، مرتبها لا يزيد على خمسين جنيهاً فى الشهر.. وفى الوقت نفسه كان ثمن الاستمرار فيها أن يلعب دورًا مزدوجاً على

المسرح.. دور المهرج.. ودور المتدين.. كما أنه كان عليه أن يظل فى خدمة سيده الجديد وإن يحمل حقيبته ويوسع الناس من حوله.. لم يكن أمامه سوى أن يظل فى الكواليس.. مجرد كومبارس.. مثله مثل ملايين الناس الذين نصطدم بهم فى كل لحظة دون أن نتوقف عندهم.

وربما لن تصدق، أنه حتى تلك اللحظة لم يكن قد قرأ المصحف.. كتاب الله.. ولم يكن مد يده على كتاب واحد من كتب التفسير.. لقد اعترف بذلك بنفسه فيما بعد.. لم يكن يعرف من الدين سوى ما يعرفه العامة من أفكار شائعة.. وأحياناً خاطئة.. لكنه.. فور أن اقترب من شيخه وسمع منه ما سمع حتى تصور نفسه المؤمن الوحيد الذى لا يعرف سواه الطريق الصحيح إلى الله.. وجد نفسه فجأة يحتكر الحقيقة.. ويصادرها لنفسه.. وحده.. بل وأكثر من ذلك لم يتردد فى أن يحرمها على غيره.. لكنه.. سرعان ما أدرك أن الطريق الذى اختاره والدور الذى اندمج فيه لن يحققا له ما يريد من حياة ناعمة مترفة.. بل سيؤديان به إلى حالة من الزهد والتقشف لا يريدها.. وكان أن قرر اللعب على الوجه الآخر.. وكانت اللعبة هذه المرة مغرية.. ومجدية.. ومثمرة.

أطلق لحيته.. وخلع بدلته.. وارتدى ثياباً باكستانية كالتى يرتديها أنصار الجماعات الإسلامية. ودفعه شيخه إلى معرض لبيع السيارات ليعمل سمساراً، يتقاضى نسبة من ثمن بيع كل سيارة يبيعها.. ورغم أن القرش جرى فى يده وتكاثر فى جيبه فإن ذلك كان أقل مما كان يحلم ويسعى ويريد.. وبدأ الحلم يتحقق عندما باع سيارة لزبون دفع ثمنها بالريال السعودى.. وبعد أن قبض الثمن، بحث عن تاجر عملة كى يغير الريالات إلى جنيهات.. وفى تلك اللحظة اكتشف أن تجارة العملة أكثر ربحاً من تجارة الهيروين.

كانت قد سبقته لتلك التجارة التى تفتح مغارة على بابا مجموعة من المشاهير الذين أصبحوا ديناصورات : فتحى الريان وشقيقه أحمد.. سامى على حسن.. أشرف السعد.. وغيرهم ممن بدأوا تجارة العملة فى المساجد بين المصلين ثم نقلوها إلى البنوك بين المودعين.. حيث كانت لهم حسابات

رسمية.. وموظفون فى خدمتهم.. ووجد الشاب المتواضع الحال أن الفرصة قد جاءت له على طبق من كريستال.. وأن كل ما عليه هو أن يغمض عينيه ويقرأ الفاتحة ويمسح وجهه بعدها، ثم يمد يده ويقوم بتغيير العملات.

وتغيرت حياته.. أصبحت شهية كالعسل.. صافية كالماس.. مريحة كوسادة من ريش النعام.. لم يعد يمشى على قدميه بحثاً عن رغيف خبز.. لم يعد يرتدى قميصاً واحداً لا يغيره.. لم يعد يفتش فى عيون الناس عن لحظة رحمة.. أصبح يركب المرسيدس.. وينفق بلا حساب.. ويتمدد مثل هارون الرشيد على عشر مخدات.. لكنه.. رغم ذلك كله ظل يشعر أن شيئاً ما يؤلمه فى صدره.. وأن علاجه هو أن يذهب إلى المستشفى الذى تديره المرأة التى أحبها لعله يراها.. ثم وجد أن من الممكن الاقتراب منها أكثر بإجراء فحوصات دورية فى المستشفى.. والمؤكد أن عينيها جاءت فى عينيه أكثر من مرة.. لكنها لم تعرفه.

لقد نجح فى كل شىء إلا فى الوصول إليها والحصول على اهتمامها.. نجح فى خداع الناس بتقمصه شخصية المتدين الورع.. نجح فى تحويل تجارة العملة إلى توظيف أموال.. كسب بالدولار.. وكسب بالجنيه المصرى.. واندفع المصريون - الذين يهون النصب عليهم - إليه كى يقبل أموالهم.. كانوا يأتون بواسطة ويبكون بحرقة ويستعطفونه بشدة ويلثمون الأرض بين قدميه كى يأخذها.. ومن جانبه كان يتنازل ويتواضع ويقبلها.. مؤكداً أن الثواب الذى ينتظره فى الآخرة أهم عنده وأبقى من كل مكاسب الدنيا.

تحولت النقود السائلة إلى خزائن عالية.. وتحولت السيارة الواحدة إلى جراج سيارات.. وتحولت المرأة إلى قبيلة نساء.. لكن.. بقى ما فى القلب.. فى القلب.. على أن فى بلد مثل مصر - حيث السلطة المركزية قادرة وقاهرة - لا يمكن أن يستمر فيما هو فيه دون بركتها ورضاها، وهو أمر يسهل الحصول عليه بشراء ذمم كبار الموظفين، مهما تكن رتبهم وقيمتهم.. فالموظف المرتشى لا يشعر بأنه يأخذ شيئاً حراماً.. وإنما يأخذ نصيبه من الغنيمة.. أليس هو الحكومة.. والحكومة تعز من تشاء وتذل من تشاء.. وتقدر؟!.

كان فى قرارة نفسه يشعر بأن كل ما يفعل سيأتى عليه يوماً ويسجنه بل وربما يقتله.. والذى سيأمر بسجنه محقق فى النيابة.. والذى سينفذ العقوبة ضابط شرطة.. فليكن هذا الطراز من المسئولين هو أول أهدافه فى خلق نفوذه داخل الحكومة.. وليكن هناك غطاء إعلامى له.. إذن ليشترى عدداً من الصحفيين ورؤساء التحرير.. وكانت خطط الشراء سهلة.. أن يبيع المسئول شيئاً برخص التراب ثم يعود ويشتريه منه بسعر الذهب.. والفرق بين السعرين هو الرشوة المقنعة التى لا يمسكها أحد.. وهو ما كان.

وفى أقل من شهرين، كان يضع فى جيبه أصنافاً وألواناً من الكبار فى مجالات يصعب تصورها أو تصديقها.. [illegible].. ذلك لم يمنع وجود شخصيات وقفت فى الحلق.. فقد انطلقت أقلام واعية تكتب عن الظاهرة وتحذر من الكارثة.. وتطالب بوقف المهزلة.. لكن.. شيخاً تليفزيونياً شهيراً خرج ليصف هذه الأقلام بالشيوعية.. والهمجية.. والغوغائية.. [illegible]نت فتواه تبارك تلك العملية التى وصل حجم النصب فيها على مدخرات المصريين إلى أكثر من ١٥ مليار جنيه.. واللافت للنظر أن بين الضحايا من كان يستحق ما جرى له.. أساتذة اقتصاد.. وسفراء.. ومئات من المهندسين والتجاريين والصحفيين والأطباء.. إن من السهل تبرير تصرفات الضحية الجاهلة الساذجة.. لكن.. لا يمكن تبرير تصرفات الضحية العاقلة المتعلمة.

وتحولت مليارات المصريين إلى مشروعات مثيرة للشفقة.. محل أسماك.. مزرعة دواجن.. معارض سيارات.. تجارة أدوات منزلية.. بقالة.. جزارة.. مشروعات لا تحتاج سوى ملايين قليلة.. غطت على نهب المليارات الكثيرة.. على أنه لم يكن يحلم إلا بشراء مشروع واحد.. المستشفى الذى تديره المرأة التى كسرت نفسه وجرحت كبرياءه.. وعرض رقماً على أصحابها لم يكن من الممكن رفضه.. وكان شرطه ألا تتغير الإدارة على الأقل سنتين إن لم يكن أكثر.. كان يريد أن يضمن بقاءها بالقرب منه.. بل كان يريد ما هو أكثر.. أن يشعرها بالندم لأنها لم تنتظره.

والحقيقة أنها منذ كشفت شخصيته وعرفت مقاصده، لم تتردد فى أن تدخل معه فى لعبة الحب والحساب.. لقد عادت من جديد إلى الطرح والجمع والضرب.. وكان الضحية هذه المرة زوجها.. طلبت الطلاق.. وحصلت عليه.. وانتظرت أن يأتى ليطلب يدها.. وجاء على عجل.. وفرش الأرض تحتها بما تريد.. لكنها رفضت الزواج وعرضت عليه نفسها فى الحرام.. لم تتردد فى أن تقول له: اخلع يامولانا لحيتك قبل ثيابك وادخل الفراش.. ولم يصدق ما سمع.. وحاول أن يقنعها بالحلال.. لكنها سخرت منه.. وسخرت من الحلال على طريقته.. الحلال الذى يستبيح أموال الناس بالباطل.. أم الحلال الذى يشترى الحماية من المسئولين بالرشوة؟!.. وأسقط فى يده.. وشعر بأنه يعود شاباً صغيراً متواضعاً لا يقدر على معارضتها.. ودخلا الفراش.. وكان ما كان.. وبعد أن جلست تدخن سيجارة مع كأس من النبيذ، قالت له وهى تطلق ضحكة رنت فى السماء :"لا تنس دقنك يا مولانا".

كان ثمن تلك اللحظات الخفية من المتعة الحرام أن عاد إليها المستشفى من جديد.. أصبحت تملكه مرة أخرى.. ورغم أنه لم يرفض ما طلبت فإنه شعر بالانتصار.. لقد صبر طويلاً.. وفاز بما أراد.. لا يهم ما يحدث بعد ذلك.. لا يهم أن تسجنه الحكومة أو تعدمه.. مسكين الرجل.. تدوخه المرأة وهو فى حاجة إليها وتدوخه وهى فى حاجة إليه.

لكن.. الدوخة اللذيذة لم تستمر.. فقد تحول من صاحب فضيلة إلى أرباب سوابق.. وضاق الخناق عليه.. وحاول الهروب إلى الخارج.. وسعى إلى لواء الشرطة الذى جنده لحسابه: «تصرف يا باشا.. جاءت لحظة رد الثمن الباهظ الذى دفعته لك».. وهز الباشا رأسه.. وزوَّر له جواز سفر.. وضع صورته فيه دون لحية.. وفى منتصف الليل دخل المطار، وهو يرتدى ملابس أوروبية، كى يلحق بالطائرة المتجهة إلى لندن.. ومر كل شىء بسلام.. لكن.. قبل صعود الطائرة وجد من يستدعيه إلى غرفة خاصة..

وما إن دخلها حتى وجد فيها مجموعة من ضباط الشرطة الكبار.. على رأسهم صديقه الباشا.. ووجهوا إليه تهمة التزوير.. وقبضوا عليه.. وقبل أن يمر شهر كانت هناك تهمة أكبر.. النصب على المصريين.. وفى الطريق إلى السجن قال لصديقه الباشا :"لقد خدعتنى.. ولم تتصرف معى بشرف.. إن كل المهن بما فى ذلك المهن الخارجة على القانون يجب أن تخضع لقواعد أخلاقية.. وأنت لم تحترم هذه القواعد".. فرد عليه قائلاً :"لقد نسيت دقنك يا مولانا.. فتش عنها".. وفى تلك اللحظة أغمض عينيه وتذكرها.



# ١٠- بنات البيزنس



10

## أشغال عاطفية مؤبدة!

**هى امرأة محكوم عليها بعقوبة"الأنوثة المؤبدة" .. لا تستطيع أن تفرج عن شهوتها المحبوسة فى زنزانة جسدها ولو زارها ألف رجل.. لا تستطيع أن تحصل على براءة ذمة جنسية من المتعة المخبأة فى لحمها.. لا تخرج إلا بطلوع الروح.. ولو خرجت مرة.. عادت بسرعة.. لتضغط عليها.. وتعذبها.. وتقتلها.. كل ساعة.. بل كل ثانية.**

**إنها مثل كل امرأة تحترم جسدها ولا تهينه. لا تستطيع أن تعطيه إلا لمن يسيطر على عقلها.. إن اختراق المرأة يبدأ باختراق عقلها.. والسيطرة عليه.. والتحكم فيه.. لاباب آخر يمكن الدخول منه.. على عكس ما هو شائع.. على عكس الرجل الذى لا يتردد فى أن يذهب وراء قطة من قطط الشوارع فور أن تهتز أمامه وتموء.**

كانت مثلها مثل نجمات السينما فى مصر.. نصف دمائها مصرية.. سمراء.. والنصف الآخر مستورد من البلاد الشقراء: نادية لطفى.. بولندا، ليلى فوزى.. تركيا، ليلى علوى.. اليونان، مريم فخر الدين.. المجر، نيللى.. أرمينيا الروسية. إن خليط الدماء كان ينتج روحاً شرقية.. وملامح غربية.. لكن.. العشق المنحاز بلا تردد كان دائماً لمصر.. أما هى فجدتها من صقلية.. بلاد الصخور.. والعند.. والمافيا.. والطعام الشهى.. والحياة المتهورة حتى

الموت.. وقد تزوجت الجدة التى جاءت فى زيارة إلى الإسكندرية من عمدة فى صعيد مصر جاء ليضارب فى بورصة القطن.. فبقى بجانبها.. ونسى أهله.. وأرضه.. وهى نفسها نسيت أهلها.. وأرضها.. فالوطن والسكن حيث يوجد من نحب.. ونرفض الابتعاد عنه.

وتحول جدها من زراعة القطن والقصب إلى تجارة السيارات والجرارات الزراعية.. وخلع الجلباب الصعيدى وارتدى الثياب الأوروبية.. ونسى العمودية وقرر دخول البرلمان.. لكنه.. لم يصل إليه.. فقد قتل فى حادث سيارة وهو فى طريقه إلى القاهرة ليقدم أوراق ترشيحه.. وكان ذلك فى وقت بدت فيه سحب الحرب العالمية الثانية على وشك التبخر والتلاشى.. وقد ترك وراءه طفلاً صغيراً، كان قطعة صغيرة من أمه الإيطالية.

ورثت عن جدتها وأبيها ثروة من الملامح الجميلة.. الجذابة.. وعن جدها ثروة من المال السائل.. والمتجمد.. أما أمها فكانت تخاف من كل شىء تلمسه.. مجنونة بمرض النظافة.. تغسل النقود.. تقطع الصفحة الأولى من الجريدة.. ترتدى قفازاً طوال العام.. لا تصافح أحداً.. ولا تكف عن الوضوء.. والاستحمام.. وتطهير ما حولها.. حتى أن زوجها كان يشنع عليها قائلاً: إنه أنجب ابنته الوحيدة منها بعد أن مارسا الحب فى البانيو.. المكان الوحيد الذى كانت زوجته تستريح فيه.. وتقنع به.. وقد كانت الزوجة تتعذب بما فيها.. إنه مرض نفسى شائع يصفه الأطباء بالوسواس القهرى.. فالمريض يعرف أن ما يفعله خطأ وغير مقنع، لكنه لا يقدر على تجاهله أو رفضه.. وفى الحالتين يتألم.. ويكاد يفقد عقله.

كان أبوها مثل نجوم السينما.. لكنه.. رفض أن يكون واحداً منهم.. وقد جنت به.. وانتمت إليه.. وأصبح بالنسبة لها الرجل المثالى الذى لا تجرؤ أن ترفض له طلباً.. وضاعف من ارتباطها به، أنها كانت ترافقه فى كل مكان يذهب إليه بعد أن اعتزلت أمها الدنيا.. وتفرغت للسبحة والسجادة والبخور والأوراد الصوفية.. عاشت مع أبيها الحياة.. سهرت.. سافرت.. رقصت.. لقد عرفت الدنيا مع أبيها.. وعرفت الآخرة مع أمها.

وفى كثير من الأحيان، لم يكن بعض الناس يتصورون أنه أبوها.. فهى لا تمشى معه إلا ملتصقة.. ولا ترقص معه إلا ملتصقة.. وتضع صورته فى سلسلة على شكل قلب تتدلى على صدرها.. ولا تكف عن الحديث عنه مع كل من تعرفه ولا تعرفه.

والحقيقة أنها كانت صورة طبق الأصل من جدتها الإيطالية.. الجسد الممشوق.. الفارع.. العيون الخضراء الواسعة كحقول البرسيم النضر.. الشعر الذهبى المضفر بسنبل القمح.. وهو ما جعل منتجى السينما يتقاتلون عليها.. ويسعون وراءها.. ويقدمون لها عروضاً مفتوحة على بياض.. وقد قبلت بعض تلك العروض من باب التجربة.. وقتل الوقت.. ورغم نجاحها اللافت للنظر.. فإنها لم تكن تميل إلى التمثيل.. كانت تميل إلى الحب.. لم تكن تستطيع أن تعيش دونه.. ورغم تعدد تجاربها التى بدأت مبكرة فإنها كانت لا تتعلم منها.. فى كل مرة تحب.. وتتعذب.. وتبدأ من الصفر.. كأنها فتاة مراهقة لم تكبر.. وهو أمر نادر.. أن تظل المرأة فى حالة العشق الأولى بكل ما فيها من نزق وشغف وتوتر وبراءة وجنون.

كانت تجربتها الأولى مؤلمة.. لم يكن عمرها قد تجاوز الرابعة عشرة، عندما نجح جارها الشاب العراقى، الذى يدرس فى الكلية الحربية، فى أن يقنعها باللعب معه لعبة من ألعاب الفيديو جيم.. الأتارى.. ثم دون أن تدرى وجدت نفسها فى حضنه.. يعبث بها.. وتألمت.. لكنها.. شعرت بأنها مثل ثمرة نضجت قبل وقتها.. وطفلة تحولت إلى امرأة قبل أن تعيش سنها.. وعندما خرجت من عنده.. كان كثير من براءة الجسد قد تبدد.. وإن بقيت روحها صغيرة.. تهوى اللعب رغم مرور السنوات.

كبر الجسد.. وتجمدت الطفولة.. وتفجرت براكين الرغبة الساخنة التى حرقتها، بما ورثت عن جدها الصعيدى من زيت مغلى، يسرى فى عروقه مع دمائه.. وتحرضها على التفتيش عن واحة تطفئ فيها ما يشتعل ويغلى ويفور.. لكنها رغم ذلك بقيت مصرَّة على أن تحب وتعشق قبل أن تخلع وتتعرى..

وسافر الشاب العراقى بعد أن تخرج ضابطاً.. ولم تعد تسمع عنه.. وطرق بابها من يريد أن يتزوجها.. لكنها.. كانت ترفض.. كانت تراهم ضعفاء.. لا يقدرون على اختراق عقلها قبل التعامل مع جسدها.. وربما كانت عقدة أبيها هى السبب.. فالمقارنة بينهم وبينه لم تكن فى صالحهم.

تريد رجلاً ناضجاً.. مسيطراً.. رجلاً يشكمها.. يأمرها.. يجبرها على الطاعة.. وكان ذلك الرجل أستاذها فى الكلية التى درست فيها.. كل العيون المعجبة به رفعت قيمته فى نظرها.. فجنت به.. وسلمت نفسها له.. لا كانت تريد منه درجات لا تستحقها.. ولا كانت تسعى للزواج به.. كانت تريد أن تظل فى حالة العشق الرائعة التى تمنحها كل ما فى الحياة من نشوة وسمو فوق البشر.

وتخرجت فى الجامعة، لتجد نفسها وسط أضواء الشهرة.. لكنها لم تكن تبالى بها.. ولا بالثروة التى تنتظرها من ورائها.. كانت فقط تبحث عن ذلك الرجل الذى يشكمها.. وقد استجابت له فور أن أمرها أن تعتزل التمثيل.. فلم تتردد.. ولم تناقش.. أو تفكر.. لكنه.. تركها وتزوج غيرها.. فقد كانت براءتها وصراحتها سببا لخوفه منها.. لم يفهم أنها لا تسلم نفسها إلا لمن تراه يستحقها.. كان غبياً مثله مثل غالبية الرجال الذين يستمدون ثقافتهم العاطفية من الأفلام الرديئة التى تمثلها.. ثقافة أن المرأة مخلوق ضعيف يمكن التأثير عليه.. وإغراؤه بكل ما هو يبرق.. دون أن يستوعبوا أنها أقوى من الرجل الذى لا تذهب معه إلا إذا كانت تعرف بالضبط ما تريده منه.

على أن نقطة ضعفها الوحيدة، التى فتحت ثغرة واسعة فى حياتها، كانت أباها.. لم تكن لترفض له طلباً.. وقد طلب منها أن تتزوج.. واختار لها زوجها.. ووافقت دون اعتراض.. وزفت إليه.. وسافرت إلى أسوان لتقضى شهر العسل.. لكنها لم تشعر تجاهه بشىء.. بل أكثر من ذلك وجدت نفسها مشدودة لموظف الاستقبال فى فندق كتراكت القديم المطل على أجمل مشهد ساحر للنيل.. أغرى الملك فاروق بالاستسلام له خاصة ساعة الغروب.. من مكان يحمل اسمه حتى هذه اللحظة.. تركت زوجها قبل أن يلمسها ووقعت فى هوى ذلك الشاب

الأسمر.. حاد النظرات.. الذى كان يتصرف كقائد فى معركة يضمن الفوز فيها.. وفى الليل تحججت لزوجها بأن ظروفها الصحية الخاصة لا تسمح لها بالاقتراب منه.. ولم يناقشها.. لقد اختبرت ضعفه.. وتأكدت من ذلك.. وفى الثانية التى شعرت فيها بأنه راح فى سبات عميق، قامت تبحث عن موظف الاستقبال الأسمر الذى جذبها إليه.. وقضت الليلة معه.. وعندما عادت سألها زوجها: أين كانت؟!.. فكانت إجابتها: بأنها راحت تتمشى على النيل حتى شاهدت شروق الشمس من وراء التل المواجه للفندق.. وكان كل ما علق به: ألم يكن الجو بارداً؟.. ثم أعطاها ظهره وأكمل نومه.. وغرق فى الغيبوبة.

فى تلك اللحظة تمنت أن يضربها.. يحاسبها.. يشدها من شعرها.. يشكوها لأبيها.. لكنه.. لم يفعل.. لم يفكر.. وابتسمت فى هدوء.. ودخلت فراشها ونامت هى الأخرى.. مستريحة الضمير.. فكيف تسلم نفسها لرجل لا يقدر عليها.. رجل لا يمسك بخناقها.. رجل لا يشعرها بقوته.. إن الديمقراطية مسألة سياسية لا مسألة أنثوية.. والفاشية مكروهة للناس مفضلة عند النساء مهما قلن وتحدثن وصرحن بكلمات ملونة براقة عن المساواة مع الرجال.

وطلبت من أبيها أن يطلقها.. لم تقل له السبب وهو أنه لم يضربها.. لو قالت ذلك لسخر منها.. لكنها ادعت العكس تماماً.. إنه ضربها.. وحصلت على الطلاق قبل أن يلمسها.. وحملت لقباً أسعدها كثيراً.. فالمطلقة أكثر حرية فى حياتها من الزوجة والفتاة.. لكن.. ما لفت نظرها أنها رغم فوران الدم فى عروقها، لم تفكر فى رجل لا تحبه.. ولا تحترمه.. وراحت تطفئ نيرانها بنفسها.. فى انتظار الرجل المناسب الذى يشكمها ويمسح بها البلاط ويشعرها بأنها تابعة له، لا تتصرف دون أن يأمرها.

وعادت تقف أمام الكاميرات من جديد.. ووجدت نفسها ذات يوم تؤدى مشهداً ساخناً أمام مطرب شهير يجن به الناس، ويعبر عن ما فى العصر من إيقاع سريع وكلمات مؤثرة.. وأحبته.. أحبت مشوار كفاحه العنيد الذى بدأه

فى مدينته الساحلية.. الإسكندرية.. حيث ولد.. وتربى.. وجرب العشاء بالتناوب يوماً بعد يوم هو وأخوته.. ورغم أن صوته ليس قوياً فإنه يفيض ذكاء.. صوت معبر.. وفى الوقت نفسه خادع.. يوهم صاحبه من يسمعه بأنه عاشق يكاد يموت شجناً، وهو فى الحقيقة لا يهتز فى أعماقه إلا للثروة بكل أشكالها المعروفة وغير المعروفة.. إن الفقر أحياناً يقضى على المشاعر.. ويجعل القلب والبلاط البارد شيئاً واحداً.

لكنه.. كان قادراً على أن يعبر عنها.. ويخترق عقلها.. رمى كلمات الحب تحت قدميها.. وراح يتلو عليها كلاماً عن العشق لم يأت فى كتب الأولين ولافى كتب الآخرين.. وبدا وكأنه ينزف فى كل الأوقات.. عند حلول الظلام.. وطلوع النهار.. قال لها: إنه آخر وطن تلجأ إليه.. ليعطيها شرعية الحب.. ويمنحها السلامة.. قال لها: إنه لم يعد مسموحاً لها أن تغادر أقاليمه الاستوائية.. فليس هناك سواه يمنحها خبز الحرية.. قال لها: لم يعد مسموحاً لها أن تضع جسدها الجميل فى حقائبها وتقفل عليه بالمفتاح.. لم يعد مسموحاً لها أن تترك الأنهار التى اغتسلت فيها لترجع إلى حالة التصحر.. قال لها: ثمة ميراث مشترك بينى وبينك، لا يمكنك أن تحمليه معك بعيداً.. لأنه سينفجر بك.

لقد نطق بالكلمات السحرية التى فتحت مغارة الجسد.. بكل ما فيها من ياقوت ولؤلؤ ومرجان وشهوة وجنان.. رش البنفسج على جسمها.. رابية رابية.. فوق تضاريسها العالية.. مرة شعر بأنه متحضر كالمدينة.. مرة بأنه عنيف وقاس كسكان البادية.. فلا كانت مكسوفة وهى عارية.. ولا كانت صاحية ولا نائمة.. وشعرت لأول مرة منذ سنوات أن حياتها ليست خاوية.

طلب أن يتزوجها.. لكنها رفضت.. إنها لا تريد أن تكون مجبرة على فعل شىء بحكم الأوراق والعقود.. فهى لا تعترف إلا بحق واحد.. حق الحب.. وهى تريده بينها وبينه.. لتحافظ عليه.. وعلى حبها له.. لكنه.. أصر.. وبدا وكأنه لا يقدر على أن يعيش بعيداً عنها.. ووافقت.. بشرط واحد.. ألا يخونها.. وقبل أن يوافق.. هددته قائلة: لو خنتنى سأخونك.. لا تستهن بما أقول.. سأنفذه.. دون نقاش.

لكن.. المفاجأة الصاعقة لم تكن فى الخيانة.. كانت فى طريقة ممارسة الجنس التى يفضلها.. كان يتصور أن مؤخرة المرأة أفضل ما تبقى من جسدها.. ورفضت الاستجابة إليه.. وقليلاً ما كان يقبل بما هو طبيعى.. فلا هى تعبت.. ولا هى شبعت.. وكلما كانت تنادى عليه لتبريد اللهيب.. لا تجد عنده ما يجيب.

وفى الوقت الذى تنازلت فيه عن شهرتها من أجله، راح هو يلهث وراء الثروة مليوناً وراء مليون.. وقصرًا فى العجمى وراء قصر فى شرم الشيخ.. وسيارة بورش وراء طائرة خاصة.. وبيروت وراء الرياض.. ولندن وراء لوس أنجلوس.. وفرحاً وراء حفلة.. وإعلاناً وراء شريط.. وفيلماً وراء فيديو كليب.. وفى سنوات قليلة كسب ما لم يكسب بعضا منه عبد الحليم حافظ وأم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وفيروز طوال أعمارهم.. ولم يفكر مرة واحدة فى أن يغنى مجاناً لمرضى السرطان من الأطفال.. بل لم يدفع مليماً للضرائب.. فقد كون شركة فى جزر «الباهاماز» تجعله يحول أمواله إلى هناك دون أن يحاسبه أحد على ما يكسب.. لقد جرب الجوع.. لكنه.. رغم كل ما كسب لم يشعر بالشبع.

وكان مكسبه الأكبر من الغناء فى بلاط الأمراء والأميرات.. طائرة خاصة تحمله إلى قصر فى بلاد النفط.. فيتجمع حوله رجال ونساء يرونه مسلياً لهم مرفهاً عنهم.. ثم يلقون له بأكياس الذهب والفضة.. كما يلقى المصريون بحبات الفول السودانى لقرود ونسانيس حديقة الحيوانات.. ليطير بعدها إلى أوروبا ليخفى ما أخذ فى حساباته السرية هناك.

وفى تلك الأوقات التى كان يحول فيها كلمات الحب التى يجيدها إلى دولارات وريالات كانت هى تتعذب بما فيها.. لا تجد من تحب لتمنحه نفسها.. ولا تستطيع أن تقترب منه.. فقد هجرها.. وجد أميرة من هناك تحرضه على المتعة التى يفضلها.. بالطريقة التى يحبها.. كانت تلك الأميرة مثلها.. نصف شرقية.. ونصف غربية.. شقراء الشعر.. سمراء الإحساس.. وبدا أنه لا يجد

سواها بين نساء العالم من يقترب منها.. تاركاً زوجته التى أنجبت منه طفلاً -وضعته فى عينيها- تتعذب بالوحشة أكثر مما تتعذب بالرغبة.. إن هذا الطفل كان نتاج اللقاء الطبيعى الوحيد الذى جرى بينهما فى فندق يطل على نيل القاهرة.. قبل أن يتزوجا.

فكرت أكثر من مرة أن تسعده بما يريد.. فشلت.. نصحتها صديقة لها أن تجرب تحت تأثير الخمر.. فشلت.. نصحتها الصديقة نفسها أن تجرب تحت تأثير ما هو أشد.. الهيروين.. فشلت.. لكن.. هذه المرة وجدت نفسها تدمن الشم.. وتستسلم له.. وتسقط فى مستنقعه.. وتضيع نفسها عليه.. ونظرت إلى نفسها ذات ليلة فى المرآة.. واحتقرت نفسها.. وبصقت عليها.. لكنها سرعان ما أدركت أنها ليست السبب.. هو السبب.. فانتظرته حتى عاد ليلاً.. وحاولت طعنه بسكين حادة.. ورغم أنه نجا من الموت فإنه لم ينج من الفضيحة.. خاصة أنهما كانا فى العجمى.. حيث يتسلى الناس بالنميمة سواء وقعت جريمة أو جاءت الأخبار من صحيفة قديمة.. وكان الطلاق هو باب الخروج الوحيد لهما من تلك الشرنقة الإنسانية الجافة والخانقة التى وجدا نفسيهما فيها.

سافرت إلى سويسرا للعلاج من إدمان الهيروين.. تنفست هناك هواءً نقياً.. خالياً من الكذب.. استردت طفولتها الضائعة.. وجمعت براءتها المبعثرة.. وهناك وجدت رجل أعمال مصرياً.. من عائلة شهيرة.. تقرب منها برفق.. تسلل إليها ببراعة.. عرف كيف يجعلها تنصت.. وتضحك.. وتسترد قدرتها على السهر.. والرقص.. والمرح.. وعرض عليها الزواج.. فلم تتردد فى الموافقة.. إنها فى حاجة إلى حماية اجتماعية ومالية وإنسانية، تعبر بها فترة النقاهة الصحية والعاطفية.. لكن.. عائلته غضبت.. ورفضت.. على أنها تصرفت معه بحكمة وعقل.. وأرسلته إلى جنوب شرق آسيا ليتابع صفقات مصانعها الجديدة التى ستنقلها من هناك.. وكلما كان ينتهى من مهمة كانوا يعهدون إليه بمهمة أخرى حتى بقى فى تايلاند والفليبين وهونج كونج أكثر من سنة.. سنة كاملة خفت فيها الحب.. ثم انطفأ.. طار فى الهواء.. ثم تبخر.

هى أيضاً نسيته بسرعة.. إنها لم تحبه كما يجب.. كان مجرد رجل عرفته بين السطور.. بين العلاقات.. عرفته فى الغربة.. حيث البحث عن الحنان نوع من الحب.. وحيث الحنين للوطن نوع من الحب.. وحيث الصحبة الطيبة نوع من الحب.. فلو رجعنا إلى الوطن.. نسينا ما كان خارجه.. كأن شيئا لم يكن.

والحقيقة أنها تركت الغربة الجغرافية، لتجد فى انتظارها غربة بشرية.. رجل غير مصرى هذه المرة.. يحمل اللقب الشهير غير المحدد.. رجل أعمال.. بيزنس مان.. لكنه.. فى الحقيقة لم يكن فى حاجة إلى هذا اللقب.. فشهرته ولدت معه بسبب أبيه.. المسئول السابق عن المخابرات فى دولة عربية، الذى كان فى الوقت نفسه جسر الصلة بين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبعض المسئولين فى مصر.. قبل سنوات طويلة.. وقد كان اسم الأب كفيلاً بأن يفتح الأبواب المغلقة أمام الابن.. خاصة فى دنيا ما بعد منتصف الليل التى كانت هى علامة شهيرة من علاماتها المميزة.

وقد دخل لها من الباب الذى لا تميل إليه.. باب الزواج.. لكنها.. هذه المرة وافقت على دخوله من هذا الباب.. وبعد يوم واحد من تعارفهما أعلنت الصحف خطبتها.. ولم تكذب الخبر.. بل أضافت إليه أنها ستسافر إلى لندن لشراء خاتم الخطوبة الذى سيكون من السوليتير المميز، إلى درجة لن ينافسه عندها سوليتير آخر فى مصر.

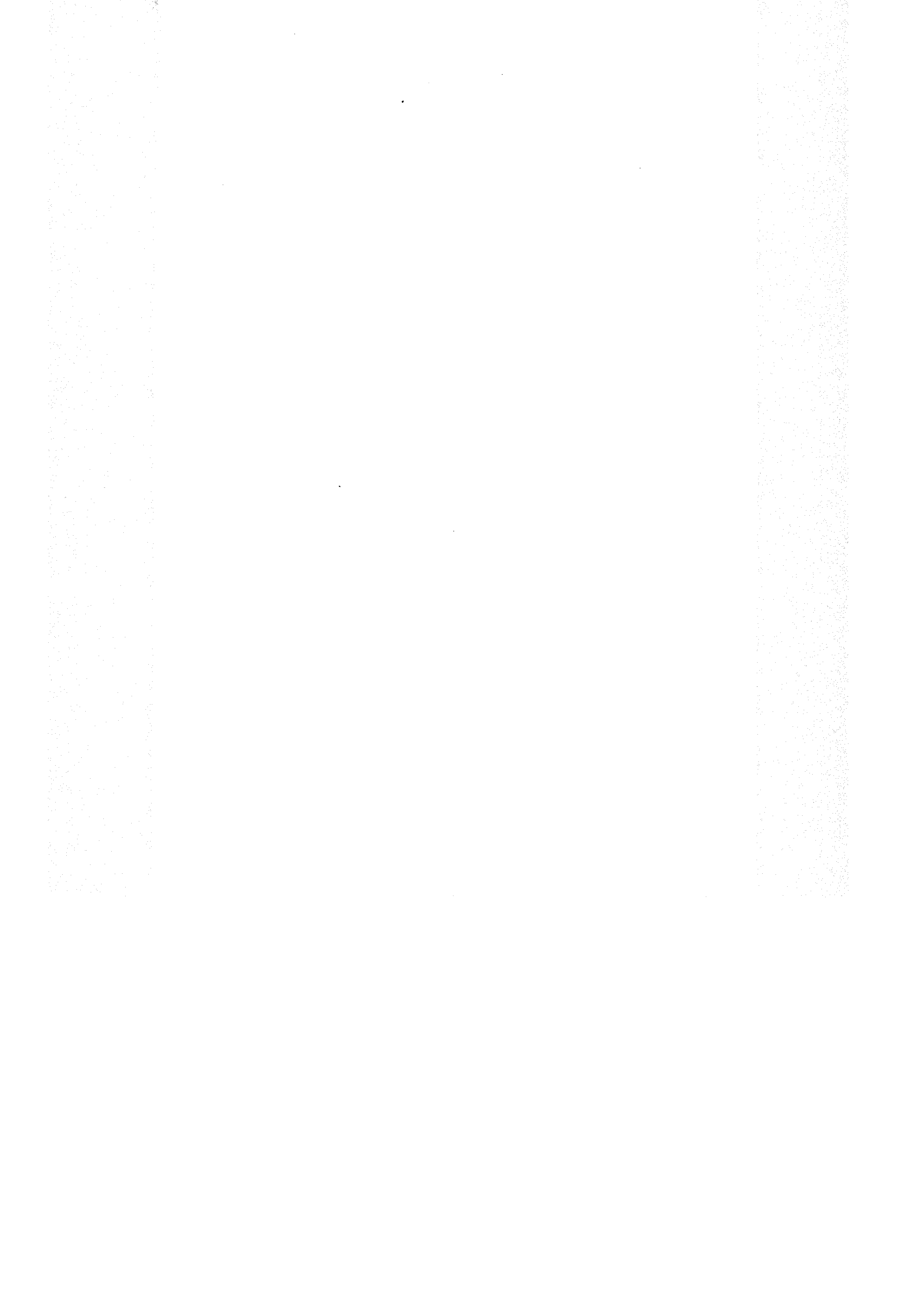
وسافرت معه إلى لندن لشراء السوليتير.. وهناك اتصلت بصديقة لها تعيش هناك كى ترافقها فى جولات الشراء.. وقبل أن تشترى ما تريد.. عادت إلى مصر وهى تغلى وتفور.. فقد أحب ابن رئيس المخابرات السابق صاحبتها.. وأعطاها ظهره.. وكما ولدت القصة فى ساعات.. ماتت فى ساعات.

وقررت أن تعود إلى التمثيل.. إنها لم تفقد جاذبيتها.. ويمكن التخلص من الشحم القليل الذى استخدم بعض مناطق جسمها كموقف سيارات.. وراحت تمارس الرياضة بعنف.. وفرضت على نفسها رجيماً قاسياً.. وكفت عن

السهر.. والتدخين.. وفى أقل من شهر كانت تقف أمام كاميرات السينما من جديد.. كانت تؤدى دورها ببراعة لم تشعر بها من قبل.. خاصة أن السيناريو كان رومانسياً.. والحوار كان ناعماً.. كل كلمة فى الفيلم كانت تعبر عنها.. كانت تحلم بها.. كانت تتمنى أن تعيشها.. لكنها.. لم تجد الحب إلا فى خيال المؤلفين.. إنهم على ما يبدو يصنعون بخيالهم ما لا وجود له فى الواقع.. يرسمون صورة نريدها.. ولا يعكسون صورة نعيشها.. هم يعيشون فى وهم جميل.. ونحن نريده.. وهى أيضا تريده.. "الحب فى الأرض بعض من تخيلنا لو لم نجده عليها لاخترعناه".



# ١١- بنات البيزنس



## 11

## تجربة تكسير وجه أجمل مذيعة فى التليفزيون السعودى

## المشـــوهة!

**كانت ممددة على الأرض.. متجمدة.. مخشبة.. متصلبة.. لا تقدر على الحركة بينما جيوش من النمل البرى الشرس تتقدم نحو وجهها وفمها.. حاولت أن تصرخ.. لكن صوتها لم يخرج.. حبسته حنجرتها من شدة الرعب، فلم يكن أمامها سوى أن تغمض عينيها مستسلمة للموت قطعة.. قطعة.. بلا رحمة.. على أنه فى تلك اللحظة.. ظهرت عمتها فجأة.. وكأنها مصنوعة من السحب.. ومدت يدها لتنتشلها من ذلك المزيج المقزز.. وسحبتها نحو السماء.**

استيقظت رانيا الباز من نومها وهى تلهث بشدة.. وقلبها يقفز خارج صدرها رعبا.. بينما العرق يبلل قميص نومها.. ويسيل فى قطرات مثلجة على جسدها.. أما صوتها فخرج متحشرجا.. مخنوقا.."اللهم ما اجعله خيرا".. لكن.. من أين يأتى الخير والتفسير الوحيد للكابوس الذي قامت منه مفزوعة هو أنها ستموت وتلحق بعمتها المتوفاة التى سحبتها من يدها إلى ملكوت الله العليا؟.

رانيا الباز امرأة سعودية شهيرة.. فهى أول مذيعة فى التليفزيون الرسمى هناك.. ولابد أن ظهور امرأة على الشاشة الصغيرة فى السعودية هو حادث أخطر من هبوط رائد فضاء أمريكى على ظهر المريخ.. فكيف لا

يعرفها الناس فى بلادها؟.. لكن.. الناس فى البلاد الأخرى لم يعرفوها كمذيعة وإنما عرفوها كضحية.

قامت من نومها تبحث عن مفتاح نور الغرفة القريب منها.. وعندما عثرت عليه لمحت زوجها وهو غارق فى سبات عميق.. فنظرت إليه فى ألم.. ثم غادرت مكانها.. وذهبت للنوم بجانب أحد أولادها.

اطمأنت على أنها لا تزال على قيد الحياة.. لكنها سرعان ما أدركت أن الحياة أبعد من التنفس والحركة وتناول الطعام.. الحياة أن تشعر بالأمان.. والحنان.. دونهما يكون الموت البعيد فى السماء أفضل من الموت القريب بجانب زوجها.. على أنها فى الوقت نفسه استوعبت أن الكوارث المرة ثمرة ذاقت طعمها مبكرا.. ربما قبل أن تولد.. قبل أن تصرخ صرخة الحياة الأولى.

كان جدها من أثرياء جدة.. ومثله مثل غيره من السادة كان يشترى العبيد والجوارى.. فقد كان الرق مباحا شرعا فى السعودية حتى ألغاه الملك فيصل فى بداية الستينيات وسمح فى الوقت نفسه بتعليم البنات وتحمس للبث التليفزيونى ووضع حدودا لتدخل رجال الدين المتشددين لإيقاف عجلة التطور.. لكنه.. دفع حياته ثمنا لتلك الثورة الاجتماعية.. فأصيبت بلاده بانتكاسة حادة.

لم يكن جدها يتردد فى شراء أية جارية جميلة يخطفها قراصنة الصحراء من أهلها ولو كانت طفلة صغيرة.. وذات يوم أتوا له بفتاة مميزة الجمال اسمها فرح.. اشتراها وتزوجها على الفور دون أن يهتم بأصلها.. كانت فرح صبية فى الثالثة عشرة من عمرها.. لكنها أنجبت أكثر من طفل.. من بينهم يحيى.. والد رانيا الباز.

لم يكن والد فرح رجلا عاديا.. بل كان ثريا قويا مؤثرا.. فلم يهدأ إلا بعد أن عثر على ابنته.. وإن كان ذلك قد حدث بعد فوات الآوان.. بعد أن

أصبحت زوجة وأما.. فخيرها والدها بينه وبين أطفالها.. وهددها زوجها بحرمانها من أطفالها لو عادت مع أبيها.. فلم تجد مفرا من التضحية بعائلتها القوية واحتفظت بأعز ما تملك.. أطفالها.

وتكررت مأساة الاختيار فى حياة رانيا الباز.. خيرها زوجها بين مواصلة التعليم.. وتربية طفليها.. واختارت الطفلين.. لكنه.. أمام جمالها اللافت للنظر حرمها من التعامل مع الناس.. بمن فيهم أقرب الناس إليها.. وكان عليها أن ترضخ وتستسلم.. فالمرأة هناك جارية ولو كانت تنتمى للسادة.. ووظائفها معروفة ومحددة.. الفراش والإنجاب.. ولو خرجت من بيتها ففى حالة واحدة أن تذهب إلى القبر.

ولو طلقت المرأة فالذنب عليها وحدها مهما تكن الأسباب الحقيقية.. وقد طلقت رانيا الباز قبل أن تبلغ سن الثامنة عشرة.. فشعرت بأنها مرفوضة.. وأنها لم تتمكن من إرضاء رجلها.. وحسب ما سجلته بنفسه: "عشت هذا الطلاق بشكل صعب للغاية.. كنت اشعر به كإهانة.. بل كعار.. كنت اشعر بأننى مذنبة.. واحتجت إلى الكثير من الوقت والحنان كى أتجاوز هذا الانفصال.. كنت واثقة من أنه سوف يحكم علىَّ بأن أعيش وحيدة بقية حياتى.. وكنت لا أرى فيه إلا عقاب العدالة الإلهية.. والثمن المتوجب لغلطتى أمام الخالق".

لكن.. ملامحها الجميلة.. وشخصيتها المريحة.. وروحها الهادئة.. رشحتها لتكون أول مقدمة شابة فى القناة الأولى الرئيسية للتليفزيون السعودى وهو ما شجع الكثيرين من الرجال على طلب يدها.. فكان نصيبها الثانى مطربا عشقها بجنون هو رشيد.. كان متزوجًا من قبل.. وابا لثلاث بنات وصبى.. ولكن.. بمرور الوقت تحول الحب المتقد إلى غيرة مرضية ثابتة جائرة لاتحتمل.."لقد كنت بالنسبة لزوجى شيئاً يمتلكه لنفسه فقط.. لم يكن يقفل على بالمفتاح كما يفعل بعض الرجال فى السعودية ولكنه كان يمنعنى من رؤية أحد حتى صديقاتى من النساء".

لم يحقق رشيد نجاحاً فى حياته الفنية.. ومن ثم كان يعانى من متاعب مادية.. جعلته يسمح لزوجته بالاستمرار فى العمل موحياً لها بتسامحه وشهامته.. فهو لا يعترف بأن عملها هو مصدر دخلهما الوحيد.. ولولاه لماتوا جميعا من الجوع.. فهى التى تدفع فواتير الطعام والسكن والمدارس والكسوة والسيارات.. على أنه رغم ذلك لا يتردد فى أن يصفعها على وجهها لو جرؤت على الغضب أو التمرد.."أردت أن أصرخ ولكن صراخى اختنق فى حلقى وبدأت أذرف سيلا من الدموع".. وتضيف :"فى مجتمعنا.. الرجل يقرر وما على المرأة إلا الطاعة.. إنه السيد بالطبع.. وإن لم يكن رشيد يتمتع فى نظرى بفخامة السيد.. ولكن ذلك لا يغير شيئا فى الموضوع".

ومن شدة ما تعانى منه وجدت الكوابيس طريقها إليها.. ولشعورها بأن زوجها يخبئ لها شيئا أخذت ورقة بيضاء بعد ظهر أحد الأيام الحزينة وبدأت فى كتابة كلمات وضعتها تحت عنوان :"هذه وصيتى".."إذا تعرضت للقتل أريدكم أن تصفحوا حتى إن كان القاتل زوجى لا تطالبوا بتعويض لأننى أنا أسامح".

بعد ذلك الكابوس انتقلت للنوم فى غرفة أولادها.. لكن.. بعد عشرة أيام وجدت أن من المهم المحافظة على زواجها من أجل أطفالها.. إن دماء أمها نوال الهندية الأصل التى تجرى فى عروقها ضاعفت من قبول كل شىء من أجل أسرتها الصغيرة.. وهو ما جعلها تستيقظ مبكراً لتعد لزوجها إفطاراً لذيذاً وضعته على طاولة جميلة بحيث يتمكن عند استيقاظه من الجلوس وشرب الشاى.. وقد استقبل زوجها ذلك بكلمات لطيفة لم تكن معتادة عليها.. بل أكثر من ذلك أخذ أولاده للفسحة فى الخارج لأول مرة فى حياته.. وعندما عادوا بعد منتصف الليل كانوا يحملون لعباً لم تعرف من أين جاء بثمنها؟.

وفى تلك الليلة رن جرس التليفون.. كانت صديقتها الوحيدة ليلى التى

حرم عليها رشيد التكلم معها ولو بالتليفون لا لسبب سوى أنه لا يريدها أن تشكو حالها لأحد.. توقف الدم فى عروقها.. وكادت تنهار بعد أن توقعت مصيرها.. ضربا مبرحا قد ينتهى بموتها.. بزحف النمل الصحراوى على جسدها الممدد كما فى الحلم.

نظر إليها رشيد والشرر يتطاير من عينيه.. فاجتاحتها موجة من الغضب فقالت ورائحة الشياط تخرج من فمها وعينيها :"رشيد كفى، توقف عن إفساد حياتى، لقد أخطأت، لم أحبك أبداً، لقد انتهى الأمر، دعنى وشأنى".

اقترب منها متحفزا.. صرخت: "لو ضربتنى سأخبر والدى".. لكنه أمسك برقبتها قائلا :"لن اضربك.. سأذبحك".. وحسب ما سجلت بنفسها قالت :"انهار كل شىء حولى.. أمسك بى ورمانى أرضا فتحطم وجهى على الرخام الأبيض فى الصالون.. صعقنى ألم شديد وانفجر رأسى.. بدأت أصرخ.. لم أعد أرى بوضوح.. غطى الدم عينى".."بدأت أتلو صلواتى.. خلال بضع ثوان فكرت فى الموت.. شدد رشيد ضغطه حول رقبتى.. ناديت على أطفالى.. كانوا مستغرقين فى النوم.. انتهى الأمر.. لم أعد أقاوم.. شعرت بالحياة تنساب منى.. ثم فقدت الوعى".

حملها فى سيارته إلى أقرب مستشفى والقى بها أمام باب الطوارئ ثم أسرع نحو فندق تعمل فيه شقيقته.. بصعوبة شديدة عرفوا منها اسمها ورقم تليفونها.. كان وجهها مشوها إلى حد أنهم لم يتعرفوا عليها وهى النجمة التليفزيونية الشهيرة.. وعند وصول أهلها إلى المستشفى كانت اثنتا عشرة سيارة شرطة تقف أمام المبنى.. فالاعتداء بالضرب على نجمة تليفزيونية ليس حدثا يحدث كل يوم.. وكان من البديهى أن تحوم الشبهات حول زوجها.

تمكنت من النجاة بعد أربعة أيام فى غيبوبة واستعادت وعيها دون أن

تكون لديها القوة حتى للحقد على زوجها.. لم تكن تتمنى سوى شيئين : النوم والنسيان.

وبينما كانت تنزلق فى فراشها تحت تأثير الأقراص المنومة انتشر ما جرى لها بطول البلاد وعرضها.. بل أكثر من ذلك بدأت الدنيا كلها تتحدث عن تصرف زوجها المجنون تجاهها.. ووصلت قضيتها إلى منظمات حماية المرأة والكونجرس الأمريكى والاتحاد الأوروبى.. وكان ذلك متوقعا بعد أن ألقت هجمات سبتمبر الشهيرة الضوء على ما يجرى فى المجتمع السعودى.. ومعاملته القاسية للمرأة.. وأعتبر ذلك نوعا من الإرهاب المحلى الذى ينتهى إلى ما هو أكبر وأسوأ.. الإرهاب العالمى.

لقد كشفت قضية رانيا الباز عن تعصب الرجل وتخلفه فى المجتمع السعودى وسكوت السلطة القائمة هناك على ذلك.. وهو ما جعل تلك السلطة تحاول أن تأخذ جانبها بعد أن أصبحت الفضيحة بكل اللغات.. وعلى كل المحافل الإعلامية والسياسية.

تصدرت أخبارها الصفحات الأولى وحاصر الصحفيون المستشفى فى انتظار لقائها.. حتى إن الشرطة طردت من على سطح أحد الأبنية المجاورة مصورا كان مجهزا بعدسة الزووم ويوجهها نحو غرفتها محاولا تصويرها.. و"بسماعى تلك الأخبار استعدت وعيى رويدا رويدا وأدركت أننى لا أعرف شيئا عما حدث لى بعد الاعتداء على بما فى ذلك مصير زوجى الذى كان ينتظره عقاب صارم.. السجن عشر سنوات.. وثلاثمائة جلدة فى الساحة العامة وفقا للشرع السعودى.. وهنا فكرت فى ولدينا فمشهد كهذا سوف يصدمهما مدى الحياة.. وقررت أن أطلب من القاضى أن يسامحوا زوجى".

لم يكن أمامها غير الصحافة لتوصل رسالتها قبل أن يفكر زوجها فى الانتحار.. وطلبت مرآة.. لكنهم لم يستجيبوا لها.. فقد كان وجهها مشوها

إلى حد لا يمكنها احتماله.. على أنهم بعد عدة أيام وافقوا على طلبها.. وسجلت بخطها تلك اللحظات التى شعرت بها وهى تمسك بالمرآة.."بدأت يدى ترتعش وأنا أمسك المرآة البيضاوية الشكل ذات الإطار النحاسى المحفور ورحت أؤخر بنفسى هذه المرة المواجهة مع وجهى.. إننى خائفة.. لم أعد أريد التطلع.. إننى أخشى الأسوأ".

«باكتشاف حجم الأضرار فجأة كدت أفقد الوعى.. غير معقول.. لست أنا.. توتر كل جسمى.. لا صراخ.. لا بكاء.. بذلت مجهودا فائقا كى أحبس دموعى مخافة أن تنفجر أمى بدورها باكية.. أراها تعض شفتيها.. علىَّ أن أتحمل.. شعرت برغبة مفاجئة فى التقيؤ.. بدأت المرآة ترتجف فى يدى.. لم أتمكن من رفع نظرى عن المرآة التى لم أعد أتعرف فيها على نفسى.. لقد أصبح وجهى كتلة من اللحم المشوه المتورم المخطط بالندبات والمنقط بالأورام الدموية الزرقاء والقشور.. لم تعد عيناى إلا ثقبين صغيرين غائرين فى هذه الكرة المتورمة القبيحة».

احتاجت ساعات طويلة حتى تستوعب الصدمة.. فقد كان زوجها يستهدف وجهها.. لم يكن يقصد قتلها وإنما تشويه وجهها وجعلها قبيحة حتى لا تثير إعجاب الرجال الآخرين وجذب أنظارهم.. كان يغار من كل شىء.. خاصة من نجاحها.

«غير أنى أسامح زوجى وأريد أن يعرف ذلك لكننى أرغب أيضا أن اقول له بوضوح إنه بعد هذه الجريمة لن يكون ممكنا استعادة حياة مشتركة مهما بلغ ندمه إذا كان هناك من ندم.. إننى أسامح باسم أولادى.. لا أريد أن أفرض عليهم نفى أبيهم.."وكى أتمكن من تمرير تلك الرسالة استقبلت أول مراسل صحفى فى غرفتى هو ومصور يرافقه.. لم يتجاسرا على التعليق لكننى رأيت أنهما ارتعبا من منظر رأسى المشظى والمقطب والمشوه.. لقد طلب منى المصور ولكن دون اقتناع الإذن بأخذ بعض الصور وهو يعتقد بأننى سأرفض لكنه تعذب فعلا لكونى وافقت".

لم تكن المرأة الوحيدة التى تضرب فى السعودية ولكنها المرأة الأولى التى تكشف ما يحدث سرًا فى الخفاء.. وهو ما حول رانيا الباز من شهيدة إلى مناضلة عليها تغيير المجتمع الذى يسيطر عليه الرجل ويملك وحده الحق فى أن يفعل بالمرأة التى تحت يده كل ما يريد.. والغريب أن هذا هو المجتمع الذى يريد أن ينقله التيار الأصولى المتشدد إلينا.. فى مصر.. متأثرا بالتقاليد الوهابية الصارمة التى لا ترى من المرأة سوى أنها عورة.. إنه أمر مثير للدهشة أن تتخلص السعودية من صورتها القاسية فى إهانة النساء بينما نسعى جاهدين لتعميمها فى بلادنا.. إن تجربة رانيا الباز هى تجربة ترسم صورة المستقبل المظلم الذى ينتظر النساء فى مصر على أيدى رجال تأثروا بالأفكار السعودية.

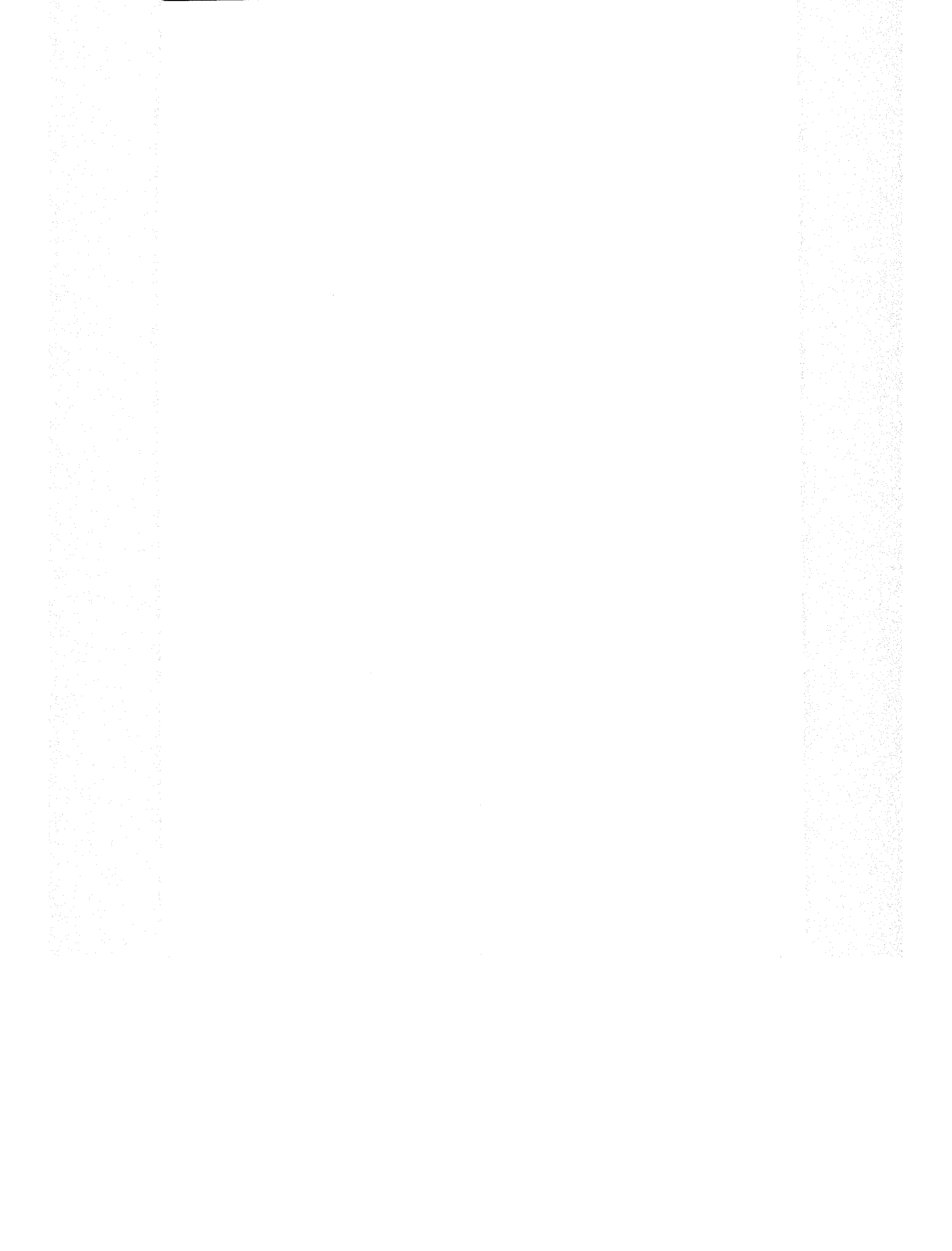
بدأت السفارات السعودية تبلغ عن مقالات تنشر فى الخارج أو عن برامج تبثها محطات التليفزيون المختلفة مرفقة بتعليقات تتجاوز الحدود أحيانا.. تصور المرأة فى السعودية جارية وعبدة لا حق لها فى الكلام والحركة والتصرف بحرية ولو داخل أسوار بيتها.. ولم يقتصر الأمر على الميديا وإنما امتد إلى الجمعيات الاهلية ومنظمات حقوق الإنسان ومنها حركة شهيرة فى فرنسا اسمها"لا بغايا ولا خاضعات "دعت رانيا الباز كى تتكلم أمام أعضائها تحت عنوان"معركة تحرير المرأة رهان دولى على الديمقراطية".. وقد قالت بوضوح فى مواجهة ستمائة عضو :"إننى لم أتعرض للضرب باسم الدين ولكن من قبل رجل غيور كيدى لا أكثر ولا أقل.. إن الذين يتذرعون بالإسلام كى يبرروا تصرفاتهم يكذبون.. أما الذين يعتقدون صراحة أن القرآن يشجع هذه الممارسات فإنهم مخطئون.. إنها قصة رجال ولا شىء آخر.. كان النبى يعلم المحبة وليس الكره كما يشيع بعض المتحمسين له بإفراط".

قبض على زوجها لتكتشف أنه كان يخونها مع عدد غير محدد من النساء.. ولم يكن ليعترف بأخطائه.. لكنها رغم ذلك أصرت على أن

تسامحه حماية لأطفالها.. على أن ذلك أعفاه من عقوبة الجلد.. أما عقوبة السجن فقد خفضها القاضى إلى ستة آشهر فقط.. قضاها فى السجن وخرج ليسكن بعيدا عنها بعد أن طلقها.

ورغم أنه لم يحاول التعرض لها من جديد فإنها كانت تشعر بالقلق من ذلك.. وكانت اقل حركة تشعر بها ليلا كفيلة بأن تستدعى الشرطة.. لقد تركها لهواجس ومخاوف يصعب الشفاء منها.. وتتساءل : «كم من الوقت سيدوم شعورها بالقلق على نفسها؟.. وماذا سيحل بها بعد ذلك».. وتضيف: "إذا عدت إلى الظل سوف يستفيد من ذلك البعض كى يجعلونى أدفع ثمن جرأتى فى لحظة الحدث.. إننى مدركة لذلك.. لهذا يجب التحرك الآن.. يجب التفوق بسرعة على هؤلاء الذين يحرفون الإسلام بغية فرض قوانينهم الخاصة على النساء".

«خلال كل المحن التى مررت بها لم أستسلم أبدا إلى اليأس.. لقد استطعت أن أبقى متفائلة.. تعلمت كثيرا من الكتب والدراسة والمساهمات فى المؤسسات الاجتماعية العديدة.. يجب على المرأة أن تكافح لتحسين وضعها.. إننى أعيش اليوم وحدى مع أطفالى براتب ثابت.. لكننى حرة فى سن الثلاثين.. نويت أخيرا أن أكون راشدة ولست آبهة إذا رفضنى البعض.. من يحب الله يعرف حدود الممنوع وهو ليس بحاجة إلى أحد كى يدله عليه"



# الفهرس

